أَسَاسِيَّات الإِيمان الإِنجيليّ



القس مدحت نادي

أَسَاسِيَّات

الإِيمان الإِنجيليّ

القس مدحت نادي فرج الله

دار الفكر الإنجيلي

طبعة أولى

الكتاب: أساسيات الإيمان الإنجيلي.
الكاتب: القس مدحت نادي.
الناشر: دار الفكر الإنجيلي للترجمة والنشر والتوزيع.
مراجعة لغويّة: جوزيف فتحي، جورج عزت.
إخراج فني وتصميم غلاف وتجهيزات طباعة: القس نصرالله زكريا.
رقم الإيداع: ٧٨٦٣ / ٢٠١٤

إهداء

إلي الوالد القس بولس عزيز

والسيدة الفاضلة أليصابات بطرس

اللذان علماني الخدمة الحقة،

وبذل الذات،

ومحبة الأخرين.

الفهرس

تقديم

الْقِرَاءةُ تُطِيلُ الْعُمر، والكُتُبُ لَيْسَتْ أَكْواماً مِنَ الورقِ الميت المُسْتَكِين وَلكنَّها عُقولٌ عَلَى الأَرْفُفِ تنبُضُ بالعلم والمعرفةِ، والكتابُ هو خيرُ جليسٍ وأَنيسٍ، وبدون الكتاب يَصْمُتُ التَّاريخ، ويَخْرَسُ الأَدب، ويَتَوقّفُ الْعِلْمُ، ويَتَحَجّرُ الفِكْر، وَيَتَجمّدُ التَّأَمُّل، فالكتابُ هو باعثُ الحركة الأَدبيَّة، ودليلُ الحيويَّة الفكريَّة في كُلِّ عصرٍ وفي كُلِّ جيلٍ، لذَا قال عنهُ أَحدهم: «مَا أَعظمَ الْكِتَاب، إِنَّهُ عُصارةُ الْفِكْرِ، وَنِتَاجُ الْعِلْم، وَخُلَاصَةُ الْفِهْمِ، وَدَوحَةُ التَّجَارب، وَهُو عَطِيَّةُ الْقَرائحِ، وَثَمرةُ العبقريَّات»، وَتُعَدُّ صداقة الكتاب أَفضل من صداقةِ النَّاس، فهو لا يتكلَّمُ إِلَّا عِنْدَما نُريد نَحْنُ، ويسكتُ عِنْدَما يكون هُنَاك ما يَشْغَلنَا، إِنَّهُ يُعْطِي دائمًا ولا يطلب أَبدًا، لذلك قال عَنْهُ أَحمد شوقي أَمير الشُّعراء: «أَنَـا مَنْ بَدّلَ بِالْكُتُبِ[1] الصَّحَابَا لَمْ أَجِـدْ لِي وَافِيًا إِلَّا الْكِتَابَـا»، والكتابُ مُعَلِّمٌ صَامت، فهو يُعَلِّمُ بِلَا عَصا وَبِلَا غَضَبٍ، وإِنْ دَنَوتَ مِنْهُ فِي أَيِّ وقتٍ لَا تَجِدهُ نَائِمًا،

---

(١)- هُوَ أَرادَ أَنْ يَقُول: «أَنَا مَنْ بدَّلَ بِالصَّحْبِ الْكِتَاب..»، لأَنَّ الباء تدخلُ على الشَّيء المتروك. وهو يُريد أَنْ يَقُولَ إِنَّ الكُتُبَ أَغنَتهُ عَنِ الأَصدقاءِ، ولَيْسَ الصِّحاب الَّذين أَغنوهُ عَنِ الكُتُبِ.

وهو لا يُمكن أَنْ يَخْتَبِئ، أَو يَتَهَرَّب مِنْكَ أَبدًا، وفي صُحْبَةِ الكتاب لا يُمكن أَن يَشْعُرَ المرءُ بالوحدةِ أَو الوحشةِ، فلقد قِيل لأَحدهم ذَات يوم: أَمَا تَسْتَوحِش؟ فقال: أَيُسْتوحش مَنْ معهُ الأَنْس كُلّه؟! قِيل: وَمَا الأَنْسُ كُلّه؟! أجاب: الكتاب.

ونَظَرًا لأَهمِّيَّةِ وقيمة الْكِتَاب، حَرَصَ مجلسُ الإِعلام والنَّشر بالكنيسة الإِنجيليَّة بمصر مُنْذُ عِدّة سنوات، على نَشرِ العديد مِنَ الكُتُب التَّفْسيريَّة والفِكْرِيَّة الَّتي تَهْتَمُّ بِنَشرِ الْقِيم المسيحيَّة، ومبادئ الْفِكْر الإِنجيليّ المُصْلَح المُسْتَنِير، بُغْيَةَ إِيجاد تَيَّارٍ فِكْريٍّ إنجيليٍّ مَشيخيّ رَصين، قَادرٌ على مُواجهةِ تلك الأَفكار الْغَثَّة، الَّتي تَمْتَلِئُ بها السَّاحة الفكريَّة مِنْ حولنَا، مُتَمنّين أَنْ تكونَ هذه الكُتب -الَّتي تَخْتَارُها بِعِنَايةٍ لَجْنَةٌ مُنْتَقاة من خِيرةِ قادة الكنيسة- أَداةً فَعَّالةً في تحريكِ المياه الرَّاكدة، ونظرًا لأَنَّ مَا يُكتب هُو ما يَبْقَى، وأَمَّا مَا يُقال فَتُذْروهُ الرِّياح، يُسْعدُ دارُ الفكر الإِنجيليّ أَنْ تُقَدِّمَ لَكَ عزيزي القارئ هذا الكتاب الَّذي بَيْنَ يَديكَ، مُصَلّين أَنْ يكونَ سببَ بركةٍ لحياتكَ وخدمتكَ، كما لا يَفُوتنَا أَنْ نَتوجَّه بالشُّكرِ العميق لمؤلِّفِ الكتاب على مجهودهِ المُضنِي، وعمله الدَّؤوب، وتكبُّدهِ مَشاق البحثِ والكِتَابَةِ، لِيَخْرُجَ هذا الكتاب القيّم للنُّورِ .

القس رفعت فكري سعيد

رئيس مجلس الإعلام والنشر

الكنيسة الإنجيلية المشيخية بمصر

مقدِّمة

في عام ٢٠٠٦ بدأَتُ خدمتي في أَحد المناطق الكرازيّة بالقاهرة، وبعد سنوات تمَّ تأْسيس الكنيسة الإِنجيليّة هناك، وفي كُلِّ خدماتي كان يتوجَّه لي سؤالٌ هامٌّ: ما هي الكنيسة الإنجيلية؟! كان هذا التَّساؤل يُصيبُنِي بالدّهشةِ والإحباطِ! دهشةٌ، لأنّه قادمٌ من أُناسٍ إنجيليين، وإِحباطٌ لأنّهم من المفترض أَن يكونوا هُمْ مَنْ يعرفون الإِجابةَ ويُعبِّروا عنها بِكُلِّ الطُّرقِ.

من أَجل هؤلاء كتبتُ هذا الكتاب، ومن أَجْلِ كُلِّ إِنجيليّ لديه نفس التَّساؤل. وقد قُمْتُ بمناقشةِ محتواه معهم، وقد استفدتُ كثيراً منهم، وأَعدتُ صياغتهُ أَكثر من مرَّةٍ حسب طريقة تفكيرهم، وإِنيّ أَعلم أَنَّ هذا الكتاب لا يُجيب عن كُلِّ الأَسئلةِ، ولكنَّهُ سوف يُجيب عن بعضها. وأَتمنّى بالتَّالي، أَن يُثير أَسئلةً بدخلكَ عزيزي القارئ، وأَتطلّع لمناقشتها معكَ.

أَمّا إِذَا كُنْتَ غير إنجيلي، فهذا الكتاب ليس هدفهُ أَن تتّبع الكنيسة الإنجيلية. لكنّه دعوة لكي تَتَعَرَّف على فكرِنَا الإِنجيليّ الأَصيل بعيدًا

عن اتّهاماتٍ وافْتِرَاءاتٍ، رُبَّمَا تكون قد تكوّنت بدخلكَ بسبب هجوم الكنيسة التَّقليديّة.

في هذا الكتاب نرى ما هى الكنيسة الإنجيليّة، من خلال توضيح المعنى وسرد التاريخ في الباب الأول، وفي الباب الثاني نناقش أساسيّات الإيمان الإنجيليّ المصلَح مع التركيز علي الهوية المشيخية. فكما هو معروفٌ أنّ الفكر الإنجيليّ يقوم على خمسة مبادئ إيمانية لاهوتية المسّماة "Five Solae" وهي خمسة عبارات لاتينية صيغت لتؤكد وتلخّص الأسس اللاهوتّية للإصلاح الإنجيلي المعبّرة عن هوية الفكر الإنجيليّ، وكلمة "Sola" هي كلمة لاتينية وتعني «وَحدَه» أو «فقط»:

1. Sola scriptura “by Scripture alone” «الكتاب المقدس وحده»
2. Sola fide “by faith alone” «الإيمان وحده»
3. Sola gratia “by grace alone” «النعمة وحدها»
4. Solus Christus or Solo Christo “Christ alone «المسيح وحده»
5. Soli Deo gloria “Glory to God alone” «مجد الله وحده»

وبما أنّ هذه الدراسة هي نِتاجُ تفاعُلٍ واقعيٍّ مع الشباب. لذا، رتّبْتُ ودَمَجْتُ هذه المبادئ لتُناسِب فِكْرَهم، الذي يُعبِّر عن تفاعُل الفكر الإنجيليّ والفكر التقليديّ في الثقافة الشرقيّة. فوجدتُ إنّه من الأفضل ترتيبهم ودمْجهم، وإضافة أساسٍ هامٍّ للتفاعُل الإنجيليّ التقليديّ.

وكانت النتيجة خمسة أساسيّات: الأساس الأوّل «المسيح وحده،» الأساس الثاني «الكتاب المقدس وحده،» الأساس الثالث «الخلاص بالإيمان وحده بواسطة النعمة وحدها،» الأساس الرابع « مجد الله وحده» الأساس الخامس»كهنوت جميع المؤمنين.» وأخيراً في الباب الثالث نُقدِّم موقفَ الكنيسة المشيخيّة من الاتّهامات التي تُنسَب إليها، والرّد على هذا من خلال أسئلة وأجوبة.

وفي الختام، لا يَسَعْنِي إِلَّا أَن أَتقدّمَ بِكُلِّ الشُّكر إِلى الفاضل الدُّكتور چورچ عزت، لما قام بِهِ من مُراجعة وتحرير للنَّصِّ، وكذلك يجب تقديم الشُّكر للفاضل القسّ عيد صلاح لملاحظاتهِ وتشجيعهِ على إِخراجِ هذا العمل، وكما لا يفوتني تقديم الشُّكر للفاضل القسّ نصرالله زكريَا على محبتهِ وتعبهِ وصبره في إخراج هذا العمل بأفضل صورة.

القس مدحت نادي

الباب الأوّل: المعنى والتّاريخ

المعنى

الكنيسة الإِنجيليّة المشيخيّة تنتمي إِلى عائلة الكنائس الإنجيليّة (المُصْلَحة) وهي الفرعُ الأَكبر والأَعمق فِي هذه العائلة. تُعْرَف فِي مِصر باسم الكنيسة الإِنجيليّة أَو»كنيسة الأَقباط الإِنجيليّين»، وهذا الاسم أُطْلِقَ عليها من قِبَل المِصْرِيِّين في أَوائل القرن الماضي، لأَنّهم وجدوها أَقربَ كنيسة إِلى الإِنجيلِ. لكن هذه التَّسْمِية ليست مصريّة خالصة، فهي تَسْمِيَةٌ أُطلِقَتْ على الإِصلاحِ بطريقةٍ مُزْدَوَجَةٍ:

فالمُصْلِحُونَ أَطلقوا على أَنفسهمْ اسم «الإِنجيليّين»، لأَنّه يُعبِّر عن جوهرِ إِيمانهمْ بالعودةِ للإِنجيلِ، وأَنّه يُشكِّل حياتهم بالكامل.[٢]

أَدرك المسيحيّون فِي كُلِّ مكانٍ مكانةَ الإِنجيلِ ومركزيّتهُ فِي حركةِ

(٢) عبد المسيح استفانوس، الإِنجيليّون أَسماء ومفاهيم، (القاهرة: مجلس الإِعلام والنّشر -سنودس النّيل الإِنجيليّ، ٢٠٠٧)، ٢٨.

الإِصلاح، وأَنّهُ أَساسُ الحياة. ولاحظوا أَنّ كُلَّ فردٍ من الكنيسة المُصْلَحة يُجسِّد الإِنجيل في حياتهِ. لهذا أُطْلِقَتْ هذه التَّسْمِية على كُلِّ الكنائس المُصْلَحة. ولازالت هذه التَّسمية تُطلَق على جميع المؤمنين والكنائس الَّتي تسير في خُطَى الإِصلاح.[٣]

أَمّا التّسمية الأُخرى الشَّائعة هي «البروتستانتيّة». وقد تمَّ إِساءة فَهْم هذا المُصْطَلح في المعنى والمضمون، عندما حَرَّفَتْ الكنائس التَّقليديّة المعنى، وأَشَاعَتْ أَنّها تعني «الاعتراض والاحتجاج»[٤] والانشقاق بالمعني السَّلبيّ فقطْ. وهذا غير صحيحٍ على الإِطلاقِ:

موضوعيًّا: «لم تُطلِق أَيّة كنيسة، لا في عصرِ الإِصلاح ولا ما بعده، على نفسِهَا اسم الكنيسة البروتستانتيّة كمذهبٍ من المذاهبِ الإِنجيليّة. فالتّسميةُ الَّتي استخدمتها كنائس عصر الإِصلاح عن نفسِهَا في أُوربَّا وفي كافّةِ البلاد، ومنها الشَّرق الأَوسط، هي الكنيسة الإنجيليّة.»[٥]

تاريخيًّا: اشتُقَّ اسم «البرُوتستانت» من الكلمةِ اللاتينيّة "Protestatio"، وهذه الكلمة أُطْلِقَتْ على وثيقةٍ قَدّمها خمسةٌ من الأُمراءِ البارزين المُتعاطفين مع حركةِ الإِصلاح في ٢٥ إبريل ١٥٢٩، مُطالِبين فيها بحرِّيَّةِ الضَّمير وحُرِّيَّة الاعتقاد. نظرًا للقرارِ الَّذي اتُّخِذ في البرلمان الإِمبراطوريّ

(٣) المرجع السَّابق، ٢٨.

(٤) المرجع السَّابق، ٣٤.

(٥) المرجع السَّابق، ٣٣.

عام ١٥٢٩ في مدينة «سبيرز» بالسَّماحِ بالعبادةِ الكاثوليكيّة في البلادِ الَّتي أَقرَّتْ الإِصلاح اللُوثَرِيّ. لهذا فهذه التّسمية في معناها الأَصيل تعني: حُرِّيَّة الضَّمير وحُرِّيَّة الاعتقاد.[٦]

لُغويًّا: «فالكلمة اللاتينيّة Protestatio تتكوّن مِن مَقْطَعَيْن: المقطعُ الأَوّل Pro، ويعني لأَجْل أَو يُؤيّد ويُؤكِّد، والمقطع الثاني مُشْتَقٌّ من الفعل اللاتينيّ Testatio والَّذي يعني يشهد أَو يقدِّم شهادة أَو يؤكِّد، وهذا ما كانت تَعْنِيه الكلمة عند استخدمها لِأَوّلِ مَرَّةٍ. وقواميس اللُّغة الإِنجليزيّة وغيرها تؤكِّد هذا الرَّأْي.»[٧]

ذاتيًّا: أمّا السَّببُ الرَّابع والأَهمّ لرفضِ تَسْمية «بروتستانت» فهو لأَنهّا لا تُعبِّر عن «فَهْمِ الإِصلاح لذاتهِ». فحركةُ الإِصلاح فَهَمَتْ ذاتها على أَنّها عودةٌ إِلى الأُصولِ، إِلى المنبع، أَي إِلى «الإِنجيلِ»، كمقياسٍ للحياةِ والعقيدةِ، وكمرجعٍ أَساسيٍّ ونهائيٍّ لكُلِّ نواحي الحياة المسيحيّة. فالإِصلاحُ، إِذًا، أَراد أَن يكونَ إِنجيليًّا بالمعنى الأَساسيِّ للكلمةِ.[٨]

ولكن كما يرفض الإِنجيليّون تسمية البروتستانت بالمعنى السَّلبيّ، فإِنَّهم يقبلونها بالمعنى الإِيجابيّ، لِأَنَّها تُعبّر عن أَبعادِ إِيمانهمْ، وهو

(٦) المرجع السَّابق، ٣٤.

(٧) المرجع السَّابق، ٣٤.

(٨) چورچ صبرا، في سبيلِ الحوار المسكونيّ: مقالات لاهوتيّة إِنجيليّة، (بيروت: دار منشورات النَّفير، ٢٠٠١)، ٦٤.

الاحتجاجُ الرَّافض لِكُلِّ أَشكالِ التَّديُّنِ الزَّائف والعبادة الباطلة(٩) فبكُلِّ حَقٍّ:

يرفض الإِنجيليّون كُلَّ أَشكالِ التَّديُّن،كُلَّ مَنْ يَسْعَى لاحتكارِ المسيح والكتاب المُقدّس، ويُنَادُونَ بأَنَّهمْ هُمْ الطَّريق للسَّماءِ وليس المسيح...

يرفض الإِنجيليّون كُلَّ أَشْكالِ المُمَارسات الدِّينيّة الخاطئة الَّتي لا تَتَّفِقُ مع الكتابِ المقدّس...

يرفض الإِنجيليّون كُلَّ شخصٍ يحاول الاستيلاء على مَكَانَةِ المسيح ويُنصِّب نفسهُ خليفةً لَهُ...

يرفض الإنجيليّون كُلَّ أَشْكالِ التَّعصُّب المبنيّ على الدِّينِ أَوْ العقيدةِ أَوْ اللَّونِ أَوْ الجِنْسِ أَوْ العِرْقِ...

يرفض الإِنجيليّون كُلَّ أَشْكالِ الفسادِ والظُّلم...

يرفض الإِنجيليّون كُلَّ أَشْكالِ العُنْصرِيَّة والتَّمييز واحتقار حقوق الإِنسان...

يرفض الإِنجيليّون كُلَّ أَشْكالِ القَمعِ والدّيكتاتوريّة....

وَيتمسّك الإِنجيليّون بالمعنى الإِيجابيّ للكلمة، وهو «التَّأكيد»: فالإِنجيليّون يؤكِّدون على أَنَّ المسيحَ هو الطّريقُ والحقُّ والحياةُ،

(٩) إيهاب الخرَّاط، التَّحدِّيات اللَّاهوتيَّة والإيمانيَّة والرَّعويَّة في ربيع الثَّورة العربيَّة: خطاب حفل تخرّج الدُّفعة المائة والأَربعين لكليّة اللَّاهوت الإِنجيليَّة بالقاهرة (القاهرة: كليَّة اللَّاهوت الإِنجيليَّة بالقاهرة، ٢٠١١)، ٦.

وليس واحد من الطُّرقِ أَوْ أَفْضَل الطُّرقِ...

فالإِنجيليّون يُنَادُونَ بِأَنَّهم لا يمتلكون المسيح، بل المسيح هو الَّذي يَمْتَلِكَهُمْ...

الإِنجيليّون يؤكِّدون أَنَّهم لا يمتلكون الحقَّ الكتابيّ، بل الحقّ الكتابيّ هو الَّذي يمتلكهمْ...

يُنادي الإِنجيليّون بأَنَّ المسيحيّة ليست دينًا وإِنَّمَا حياة، الَّتي تُنادي بالكلمةِ الحيّة والمكتوبة، وبحقوق الإِنسان بكونه خليقة الله، وتُنادي بمساواةِ الكُلِّ، فهي تلك الحياة الَّتي تُعلِّي من قيمةِ الحُرِّيَّةِ والإِنسانيَّة.

يَتَمسّك الإِنجيليّون بأَنَّ الكنيسة هي المسيح....

وشريعتها هي المحبَّة....

ودستورها الكتاب المقدّس...

وقائدها هو الرُّوح الْقُدُس...

ورسالتها هي تَقْدِيمُ نفسها إِلى العالَمِ لإِعلانِ حُبّ الله وغُفْرَانه ورَحْمَته....

يتمسّك الإِنجيليّون بتلك الكنيسة الأَصيلة الَّتي تُكلّمنا:

عن الله أَكثر مِنَ الشَّيطانِ،

وعـن المسيح أَكـثر مِنَ ذاتِهَا،

وعن يسوع أَكثر مِنَ البشرِ الموتى،

وعـن السَّمَاءِ أَكثر مِنَ الجحيمِ،

وعـن الغُفْرَانِ أَكـثر مِنَ الخطيئةِ،
وعن الجَمالِ أَكثر مِنَ القُبْح،
وعـن الحـُرِّيَّة أَكـثر مِنَ الطَّاعَـةِ العمياء،
وعـن الرَّجاءِ أَكـثر مِنَ السُّلطةِ،
وعن المُسْتقبلِ أَكثر مِنَ الماضي،
وعن الحياةِ أَكثر مِنَ الموتِ،
وعـن المحبَّةِ أَكـثر مِنَ الكراهيةِ،
وعـن العالَمِ الَّذي يَهْلَكُ أَكـثر مِنَ الملائكَةِ والقدِّيسين،
وعـن جُوعِ الفقراء أَكـثر مِنْ مُساهمةِ الأَغـنياء،
وعـن الخـيرِ أَكـثر مِنَ الشَّرِّ،
وعَمَّا هو لا يزالُ قابلًا للبحثِ والتَّنْقِيبِ أَكـثر مِمَّا هو فى حـيِّزِ العِلم،
وعـن اليوم أَكـثر مِنَ الأَمْسِ،
وعن العدلِ أَكثر مِنَ الظُّلم.[١٠]

ربَّما يدور الآن، سؤال هامّ، في عقلِ كُلّ إِنسانٍ يقرأ هذه الكلمات: لماذا الآن يَتِمُّ التَّنبير على خُصُوصِيَّةِ الكنيسة بكونها كنيسة «إِنجيليّة مشيخيّة»، وعدم الميل إِلى استخدامِ «الإِنجيليّة» فقطْ أَوَ «البرُوتستانتيّة»؟

(١٠) راجع: خوان ارياس، ترجمة كميل حشيمة اليسوعيّ، لا أُومن بهذا الإله، ط٧، (بيروت: دار المشرق، ٢٠٠٧)، ٨٤- ٩٢.

والإِجابةُ على هذا السُّؤال تَتَمَحْوَرُ في نُقْطَتَيْنِ رَئِيسِيَّتَيْنِ:

لأَنّ الكثير من الجماعات والأَفرادِ -في الغرب- تُطْلِقُ على نفسِهَا أَنَّها إِنجيليّة أَوْ برُوتستانتيّة، وهي في جَوهرِهَا بعيدةٌ كُلُّ البُعْدِ عن الكنيسة الإِنجيليّة الحقيقيّة. بل إِنّها، في حقيقةِ الأَمرِ، بعيدةٌ عن المسيحيّةِ بشكلٍ أَسَاسيٍّ في لاهوتِهَا الَّذي يُشوِّهُ المسيحيّةَ وعبادتَها الزَّائفة. ومن هذه الجماعات خَرَجَتْ اتّجاهات لاهوتيّة هدّامة تحاول تدمير المسيحيّة.

وأَمام هذا الموقف المُعقَّد، اتّخَذَت الكنائس الإِنجيليّة أَسْلُوبَيْنِ في تَعَامُلِهَا مع هذه المُشكلةِ الخطيرة. رُبَّما طبيعة المجتمع فرَضَتْ عليهم طريقة الحلِّ. ففي الغرب تمسّكت الكنائس بالتّسمِيات العامّة، مع التَّأكيد المُستمر على خصوصيّتِها في النِّظامِ والعقيدةِ. لأَنَّها تعلم أَنّ الإِنسان الغربيّ يدرس ثُمَّ يُقرِّر، ولا ينساق وراء أُمورٍ مغلوطةٍ. وفي الشَّرقِ، نتيجةً للطَّبيعةِ الشَّرقيَّة الَّتي تُقرِّر آرائها دون أَيّةِ دراسة موضوعيَّة، كان لابُدَّ من التَّنبير على الخُصوصيَّة. فمجرَّد أَن قالت بعض الجماعات والأفراد، غير المقبولين من الكنيسة العامّة، أَنَّهم إِنجيليّون صدَّقَ الكثير من أَبناء الشَّرق هذا. ممَّا أَتاح للبعض فرُصةً ذهبيّةً لاتّهامِ الكنيسة الإِنجيليّة بأَنّها تَتبنّى هذه التّجمُّعات. لهذا كان على الكنيسة الإِنجيليّة في الشَّرقِ، أَن تُنبِّرَ وتُؤكِّدَ على هويّتِهَا الخاصّة - المشيخيّة- دون رفض الأَسماء العامّة في معناها الحقيقيّ، وبهذا تكون التّسمية الدَّقيقة «الكنيسة الإِنجيليَّة المشيخيَّة».

وكلمة مشيخيّة تُشير إِلى «النِّظامِ والهيكلِ الإِداريّ»[١١] وهو النِّظامُ المشيخيّ «فالقسوس شيوخ مُعلِّمون، وشيوخ الكنيسة هُمْ مُدبِّرون يُعَاوِنُونَ القسوس في تأَديةِ مَهَام وظيفتهم.»[١٢]وبكلماتٍ أُخرى، هذا النِّظام يقوم على اختيارِ الشَّعب (لقادةٍ) من بينهم:

شمامسة: لخدمة أُمور الكنيسة الزَّمنيّة، وجَمْعِ التَّقْدِمَات، والعناية بخدمةِ الفُقراء.

شيوخ: مُدبِّرون، وَهُمْ الَّذين يُدبّرون أُمور الكنيسة الإِداريّة، ويقومون بزيارةِ الأَعضاء وَيَفْتَقِدُونهمْ، وشيخًا مُعلِّمًا هو القسيس الَّذي يَعِظُ بالكلمةِ، وَيَرْأس مجلس الكنيسة.[١٣]

«نؤمن أَنّ النِّظام المشيخيّ هو أَقربُ النُّظُمِ لنصوصِ الكتاب المُقدّس وروح الكلمة المقدّسة، فللشِّيوخِ دورٌ واضحٌ سواء في العهد القديم أَو في العهد الجديد (خر٢٤: ١- ١٨؛ تث١٩: ١- ١٣؛ أَع١٥: ١٩ – ٢١؛ أَع٢٠: ١٧- ٣٨؛ ١تي٥: ١٧- ٢٢).»[١٤] وتَمَّ تَعْيين الشّيوخ في كنيسة أُورُشَلِيمَ (أَع١١: ٣٠)، وبُولُس الرَّسول عَيَّن شِيوخًا في كُلِّ كنيسة أَسَّاسها (أَع١٤:

(١١) دارين كنيدي، مُحَاضرات في العقيدة أُلْقِيت بكليّة اللّاهوت الإِنجيليّة بالقاهرة، (القاهرة: غير منشورة، ٢٠٠٩)، ٣.

(١٢) دستور الكنيسة الإِنجيليّة بمِصْر، (القاهرة: دار الثَّقافة، ١٩٨٥)، ١٥.

(١٣) فايز فارس وآخرون، إِيماني الإِنجيليّ، (القاهرة: دار الثَّقافة، ١٩٨٨)، ١٩.

(١٤) مجلس العمل الرّعويّ والكرازيّ -سُنودس النّيل الإِنجيليّ، إِقرار الإِيمان الإِنجيليّ، (القاهرة: مجلس العمل الرَّعويّ والكرازيّ، ٢٠٠٧)، ١٠٣.

٢٣)، وكذلك باقي الرُّسل عيَّنوا شيوخ في كُلِّ كنيسة تمَّ تأْسيسها (يَعْ٥: ١٤؛ ١بُطْ٥: ١).[١٥] فالكنيسة المشيخيّة تقوم على النِّظام الكتابيّ من أَساقفة، وقساوسة، وشيوخ، شمامسة. وكُلّ الأَعضاءِ مَدْعوّون للخدمةِ بحسب إِيمان الكنيسة الرَّاسخ بكهنوتِ جميع المؤمنين (غَلَا٣: ٢٨؛ ١بُطْ٢: ٩- ١٠؛ رُؤْ٦:١). وجديرٌ بالذِّكرِ هُنا، أَنّه من خلال الرّجوع إِلى الكتاب المقدّس، نجد أَنَّ الوظائف الكنسيّة الأُخرى المذكورة من أَساقفة، قسوس، شيوخ ونُظّار «لا تُشِير إِلى رُتَبٍ مُختلفة أَو مُتَدَرِّجَة، بل تُشيرُ إِلى أَشخاصٍ لهم رُتبةٌ واحدةٌ هي رُتبةُ الرِّعاية الرُّوحيَّة.»[١٦] كما في (أَع٢٠: ١٧، ٢٨؛ تي٢: ٥- ٧)، وهذا لتطابق الصِّفات الَّتي يُوصي بها بُولُس الرّسول لاختيار الأَشخاص المرشَّحين (١تيمو٣: ٢- ٧ بالمقارنةِ مع ١تي١: ٥- ٧)، والرَّسول بُولُس لا يُفرِّق بين أَيّةِ خدمةٍ، ويخاطبهم بكونهِمْ خدمة واحدة لكنَّها مُتميِّزة في الدَّورِ (راجع: أَع٢٠: ١٧، ٢٨؛ في١: ١؛ ١بُطْ٥: ١، ٢)، استخدم الرّسول بُولُس كلمة يونانيّة واحدة «برزبتروي» لوصفِ الشّيوخ والقساوسة (راجع أَع١٤: ٢٣، ٢٠: ٧؛ مع ١تي٥: ١٧، ٢: ٢)، وعلى مَرِّ الزَّمن، تمَّ التَّمييز بين هذه الوظائف المتساوية في المكانةِ بحسب نُوع الخدمة الَّتي يقوم بها الخادم. وأُضِيف مُرادِفٌ آخر إِلى كلمة «برزبتروي» هو « أَبسكوبس» أَي قَسّ يُشْرِفُ على عددٍ

(١٥) صموئيل ذكي، المسيحيّة والوظائف الكنسيّة، (القاهرة: دار الثَّقافة، ١٩٩٦)، ٧٩.
(١٦) إِلياس مقار، إِيماني والقضايا المسيحيَّة الكُبْرَى، (القاهرة: دار الثَّقافة، ١٩٨١)، ٤٧٠.

من الكنائس، أَي أُسقف.[١٧] [١٨] والكنيسة تَفْعِيلًا للعملِ الجماعيّ ترى في المجمع كُلّه أَنّه هو الأُسقف، ويُمثِّلُ المجمع من خلال رئيسهِ الَّذي يُنْتَخَبُ مِنْ بين قساوسة المجمع.

نبذة تاريخيّة:

تنتمي الكنيسة الإِنجيليّة المشيخيّة للكنيسة المُصلَحة في العالَم، لكن جذور الفكر الإِنجيليّ المُصْلَح موجودةٌ في الكنيسة مُنْذُ عصرها الأَوَّل، وفي كُلِّ العصور. حتَّى ولو كان نور الإِصلاح ضئيلًا، لكنَّهُ موجود من خلال روَّاد، حاولوا إِصلاح الكنيسة وإِخْرَاجها من حالةِ الضَّعفِ والجُمُودِ، الَّذي حلَّ بها بسبب: اهتمامات الكنيسة الدنيويّة، وضَعف التَّعليم، وانتشار الفساد والعبادة الزَّائفة والشَّعوذة، وأَصبحت الكنيسة عبارةً عن مُجرَّدِ طقوس خالية من الرُّوحِ. لكن لا يُمكننا إِنكار أَنّه في وسطِ الظَّلامِ كان هُنَاكَ نُورٌ من خلال حركات إِصلاحيّة قام بها روّاد إِصلاح لم يُوفَّقوا مثل: القدِّيس «برْنَارد» (١٠٩٠- ١١٥٣)، القدِّيس «دُومُنيك الأَسبانيّ» (١١٧٠- ١٢٢١)، القدِّيس «فَرنْسِيس الأَسيزي» (١١٨٢- ١٢٢٦)، اللَّاهوتيّ «چون ويكليف» (+ ١٣٨٤)، الواعظ «چون هِس» في أَواخرِ القرن الرَّابع عشر وبداية القرن الخامس عشر، الرَّاهب «سَافونَا رُولا» (+ ١٤٩٨).[١٩]

(١٧) صموئيل ذكي، ٧٩- ٨٢.

(١٨) بخيت متّى، إِيماننا الإِنجيليّ: مرجع للعقائدِ الإِنجيليَّة، (القاهرة: سنودس النّيل الإِنجيليّ، ٢٠٠٥)، ٦٦- ٧٥.

(١٩) فايز فارس، أَضواء على الإِصلاح الإِنجيليّ، (القاهرة: دار الثَّقافة، ١٩٨٤)، ١٠- ٢١.

لقد ذكرنا في السَّابق أَنّ الكنيسة المشيخيّة تنتمي للكنيسة - العائلة- المُصلَحة في العالَم «وهي عائلةٌ ذَات نَسَبٍ مُدْهِشٍ، إِذْ ترجع أُصولها إِلى المؤمنين المسيحيّين الَّذين عاشوا في أُوربَّا خلال القرن السَّادِس عشر.»[٢٠] والَّتي قامت بفضلِ آباء الإِصلاح: مارتن لوثر (١٤٨٣- ١٥٤٦)، چُون كَالڤِن (١٥٠٩- ١٥٦٤)، أَلريك زونجلي (١٤٨٤- ١٥٣١). ويرى كاتب هذه السّطور أَنّه من الأَفضل التَّعرُّف على مارتن لوثر الَّذي أَطْلَقَ مَسيرةَ الإِصلاح، ثُمَّ التَّعرُّف على الأَبِ الثَّانِي للإِصلاحِ، واللّاهوتيّ العظيم، ومُؤسِّس الكنيسة المشيخيّة چُون كَالڤِن.

مارتن لوثر:

وُلِد لُوثر في ١٠ نُوفمبر سنة ١٤٨٣، في بلدة أَيسليبين في مقاطعة سكسونيا بأَلمانيا. كانت أُمُّهُ «مرجريت زيكلر» من عائلةٍ ريفيّةٍ مُتواضعة. بدأَ الأَبُ «يوحنَّا (هانس) لوثر» حياتَهُ بشكلٍ مُتَواضِعٍ لكنَّه كان طموحًا ومُجاهدًا فَمِنْ عَاملٍ في منجمٍ إِلى صاحبِ عملٍ يمتلك اثنى عشر مَسْبَكًا، واُخْتِير عُضْوًا في مجلسِ مدينة «مانسفلد» وأَصبح يتمتّع بالغِنَى في نهايةِ حياتهِ.

تدرَّج مارتن لوثر الابن في التَّعليم في مدارس مانسلفد ومجد بورج وأَيزناخ. ودَرَسَ اللُّغة اللَّاتينيّة والفلسفة والمنطق والتَّاريخ والموسيقا

(٢٠) دونالد كِي مكيم، ترجمة هدى بهيج، العقائد المشيخيّة: شرح مُخْتَصر للأَساسيَّات الإِيمانيَّة، (القاهرة: دار الثَّقافة، ٢٠١٠)، ١٢.

واللَّاهوت. وبعد أَن أَنْهَى مارتن دراستَهُ الثَّانويَّة في مدرسةِ القدِّيس چورچ بمدينة أَيزناخ الْتَحَقَ بجامعة «Erfurt»في مايو ١٥٠١، ودرس الفلسفة والمنطق والقواعد والفَلَك والهندسة والتَّاريخ وتعاليم القرون الوسطى. ثُمَّ حصل على درجة الماجستِير في الآداب عام ١٥٠٥ وعُيِّنَ محُاضرًا في جامعة أَرفورت. وفي أَثناءِ ذلك التحق بدراسةِ القانون في كُليّة الحقوق بُناءً على رغبةِ والده. وفي ٢ يوليو ١٥٠٥ عندما كان عائدًا إلى البيتِ، تعرَّض لعاصفةٍ شديدةٍ كانت سوف تُودي بحياتِه، لهذا نَذَر نفسَهُ للرَّهبنةِ. وفي ١٧ يوليو ١٥٠٥ أَعْلَنَ دخولهُ الرَّهبنة ليُصبح راهبًا أُوغسطينيًّا، وتمّ اختيار لوثر في ٤ ابريل ١٥٠٧ ليكون كاهنًا في كاتدرائيةِ أَرفورت.(٢١) وحصل على دَرَجَةِ الدُّكتوراه في اللَّاهوتِ ١٥١٢، ثُمَّ عُيِّن أُستاذًا لتدريسِ الكُتب المُقدَّسة في جامعة فيتمبرج.

كان لوثر يحاول بكُلِّ الطُّرق أَن يكون بارًّا أَمام الله من خلال الصَّلاة وأَعمالِ التَّقشُّف والزُّهدِ وإِمَاتَة الجسد. لكنَّه كان يصطدم بِـ»برِّ الله» الَّذي لابُدَّ أَن يُعَاقِبَ الخاطئ لأَنّه عادلٌ، وبالتَّالي فإِنَّ الأَعمال ليس لها أَيّةُ قيمةٍ، لأَنّها تأْتي من إِنسانٍ مُلَوَّث بالخطيَّة.(٢٢) يقول لوثر «لقد كَرِهْتُ هذا التَّعبير (برّ الله) لأَنِّي فهمتهُ بمعنى أَنَّ الله العادل لابُدَّ أَن يُعَاقِبَ الخُطاة. ولم أَستطِعْ أَن أُحِبَّ هذا الإِله البارّ المُنتقِم.»(٢٣) لكنّه

(٢١) حنّا جرجس الخُضرِيّ، مارتن لوثر، (القاهرة: دار الثَّقافة، ١٩٨٣)، ١١- ٥٧.

(٢٢) فايز فارس، المرجع السَّابق، ٢٨.

(٢٣) المرجع السَّابق، ٢٩.

اكْتَشَفَ نعْمَةَ ومحبَّةَ ورحمةَ الله في (رُو١: ١٦، ١٧) «لأَنِّي لَسْتُ أَسْتَحِي بِإِنْجِيلِ الْمَسِيحِ لأَنَّهُ قُوَّةُ اللهِ لِلْخَلاَصِ لِكُلِّ مَنْ يُؤْمِنُ: لِلْيَهُودِيِّ أَوَّلاً ثُمَّ لِلْيُونَانِيِّ. لأَنْ فِيهِ مُعْلَنٌ بِرُّ اللهِ بِإِيمَانٍ لإِيمَانٍ كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ «أَمَّا الْبَارُّ فَبِالإِيمَانِ يَحْيَا».» وصرخ لوثر قائلًا: «أخيراً أَشْفَقَ الله عليَّ وبدَأَتُ أَفْهَم أَنَّ عبارةَ (برّ الله) تعني أَنّ الإنسان الّذي يُؤمن-بمجرّد إِيمانِه فَقطْ يحيا بالبرِّ الَّذي يمنحهُ لَهُ الله- هذا البرُّ هو رحمةٌ ونعْمَةٌ من الله ننالها بالإيمان.»[٢٤] ويُضيف لوثر: «وحالًا شَعَرْتُ بأَنِّني أُولَدُ من جديد، وأَنّ أَبواب السَّماءِ قَدْ فُتِحَتْ عَلَى مِصْرَاعَيْهَا أَمَامِي... وبقدرٍ ما كُنْتُ أكره عبارة (برّ الله) صِرْتُ أُحبُّها... وهكذا أَصبح هذا النَّصّ بالنِّسبةِ لِي بابَ السَّمَاءِ.»[٢٥]

واستمرّ لوثر في التَّدريسِ والتَّعمُّقِ في دراسةِ الكتاب، واستمرّت الكنيسة أَيضًا في السَّيرِ بعيدًا عن الكتابِ المقدّس حتَّى وصلت إِلى حَدِّ التَّمادِي الشَّديد في بيعِ صُكُوك الغُفْرَان. وعلَّمُوا أَنّها تَغْفِرُ الخطيَّة، مهما يكن من الأَمر، فإِنّ صكوك الغفران صارت مَوردًا هامًّا لماليّة البابويّة، وبلغ هذا أَوْجَهُ في أَيَّامِ لوثر. كان هناك راهب دُومِينِيكَانِيّ اسمهُ تيتزل يَجُوبُ أَنحاء أَلمانيا، ويبيع صكوك الغفران من على عَرَبَةٍ وُضِعَ في وسطِها صندوقًا كبيرًا دَاعِيًا النَّاسَ لإِيداعِ بعض النُّقودِ المعدنيّة فيه وهو

(٢٤) المرجع السَّابق، ٢٩.

(٢٥) المرجع السَّابق، ٢٩.

يُنَادي: كُلَّمَا سمعتُمْ في الصَّندوقِ رنّةً قَفَزَت نَفْسٌ من المَطهَر للْجَنّةِ.[٢٦]

لذلك كتب لوثر ٩٥ نقطة ينتقد فيها مُمَارسات وأَفكار الكنيسة البعيدة عن الكتابِ المقدّس وعلّقها على باب كنيسة وتنبرج في ٣١ أَكتوبر ١٥١٧. ومن هذا اليوم بَدَأَت حركة الإِصلاح، وانتشرت في كُلِّ العالَمِ على يدِ آباء الإِصلاح. واستمرّ لوثر في التَّعليم والكتابةِ وترجمةِ الكتابَ المقدّس، وتُوفِّي يوم ١٨ فبراير ١٥٤٦. قال الأَب «دَانيَآل أُوليفيه» الكاثوليكيّ: «ليس لوثر وتعاليمه مِلْكًا للكنيسة البرُوتستانتيّة وحدها، بل هُمَا مِلْكٌ للكنيسة الجامعة.» ثُمَّ نَاشَدَ الْعَالَمَ الكاثوليكيّ أَن يدرسَ تعاليم لوثر وقال: «لو وُجِدَ لوثر في عصر البابا يُوحَنَّا الثَّالث والعشرين وليس في عَصْرِ البابا لِيو العاشر لأُصْلِحَتْ المسيحيّة كُلّها.»[٢٧]

جون كالفن:

وُلِد كالڤن في ١٠ يوليو ١٥٠٩، في مدينة نويون بفرنسا، تَقَلَّد أَبوهُ «جيراد كالڤن» عِدّة وظائف مَرْمُوقة في الكنيسة الكاثوليكيّة، تُوفِّيت أُمُّهُ وهو طفلٌ. تدرَّج في التَّعليم بين نويون وباريس، في ١٥٢٨ حصل على الليسانس وهي درجةٌ تعليميّةٌ تجمع بين الدِّراسة الثَّانويّة وجُزءٍ من الدِّراسةِ الجامعيّة في ذلك الوقت. ثُمَّ الْتَحَقَ بجامعةِ أُورليان لدراسةِ الحقوق وحصل على الليسانس في عام ١٥٣٢، وفي هذه الفترة آمَنَ كالڤن

(٢٦) چورچ صبرا، المرجع السَّابق ، ٧٣.

(٢٧) فايز فارس، المرجع السَّابق، ٢٩.

بالعقيدةِ الإِنجيليّة. وحصل في نفسِ الوقت على درجةِ الدُّكتوراه عام ١٥٣٣ من نفسِ الجامعة، إِلى جانبِ دراستِهِ اللّاهوت واللُّغات القديمة والأَدب. ومنذ عام ١٥٤١ استقرّ كالڤن في چنيف، وبحلولِ عام ١٥٥٥ بَدَأَ في تَنْظِيمِ الحياة والكنيسة هناك من خلال تَأْسيس النِّظام المشيخيّ. ومن چنيف انتشرت المشيخيّة إِلى كُلِّ أَرجاءِ العالَم، في ٥ يونيو ١٥٥٩ أَسّس كالڤن أَكاديميةَ چنيف لإِعدادِ الخُدّام للكنيسة الإِنجيليّة، والَّتي أَمدَّت الكنيسة بالخُدَّامِ في مُخْتَلَفِ الأَماكن، تُوُفِّي في ٢٧ مايو ١٥٦٤ بعد حياةٍ مجيدةٍ، من خلالها:

أَسّس الكنيسة المشيخيّة الَّتي تقود الفكر المسيحيّ، وبفضلها انتشر الإِنجيل في كُلِّ المسكونَةِ، مِنْ خلال إِرْساليّتها في كُلِّ بِقَاعِ الأَرْضِ.

أَنْتَجَ تِسْعَةً وخَمْسِين مُجلّدًا في الدِّراساتِ الكتابيّة والعقائديّة، أَهمّها «أُسس الدِّيانة المسيحيّة.»

يتميّز كالڤن بأَنّه «لَاهوتيّ، كتابيّ، آبائيّ، ومُعَاصِر» فالكتاب المقدّس هو مركزُ كتاباتِهِ -هذا لا يحتاج إِلى تعليقٍ- وِفقًا للمُؤرّخينَ واللَّاهُوتِيِّين، يحتلُّ كالڤن مكانةً مُتَمَيِّزةً ومرموقة في الكنيسة، يُشِيدُ بها كُلُّ المسيحيّين. فقد أَصاب الدّكتور القَسّ حنّا جرجس الخُضريّ حينما وصفهُ بأَنّه «أُستاذُ عَصْرِهِ في التَّفْسيرِ والتَّعليم.»[٢٨] ويتميّز بكونِهِ آبائيّ، ففي تسعةٍ وخمسين مُجلّدًا اقتبس فيها ثلاث آلاف اقتباس من أَقوالِ

(٢٨) حنّا جرجس الخضريّ، چون كالڤن دراسة تاريخيّة عقائديّة، (القاهرة: دار الثَّقافة، ١٩٨٩)، ٩.

وتعاليمِ الآباء.[٢٩] ويتميّز تعليمهُ ولَاهوتهُ بأَنّه يَتَحدَّى الزّمن.

بداية الكنيسة المشيخيّة بمصر:

شَهِد العَالَمُ تغيُّرًا كبيرًا في القرنِ السَّابع عشر، وكان الشَّرق الأَوسط الكبير هو المسرحُ. وامتدّت هذه التَّغيُّرات إلى النِّصْفِ الأَوَّل من القرنِ الثَّامن عشر، وقد لَعِبَتْ الدَّولةُ العُثْمَانِيَّة الَّتي كانت مِصْر خاضعةً لها، دورًا كبيرًا مع فرنسا وانجلترا. وقد ساهمت هذه التَّغيُّرات، الَّتي كان محورها منطقتنا العربيّة، في ضَعفِ المسيحيّة بسبب انتشار الإِسلام، وضعف الكنيسة إِلى درجةٍ كبيرةٍ جِدًّا خُصوصًا في التَّعليمِ اللَّاهوتيّ، وانتشار الجهل، وأَيْضًا بسبب تقليد المسيحيّين لأَنماطِ الحياة الغربيّة المُتناقضة مع حياتهم... إِلخ. لهذا أَدرك الإِنجيليّون، وخصوصًا في العالَمِ الجديدِ، أَنّ عليهم مسئولية الإِرساليّة العُظْمَى[٣٠] لهذه المنطقة. نظرًا لمدى الاحتياج الرُّوحيّ الَّذي كان يُعَاني مِنْهُ المسيحيّون. فكانت المسيحيّة ضعيفةً لدرجةٍ تَقْتَرِبُ من الموتِ، لذلك كان لابُدَّ من إِعطاءِ حياة جديدة لها من خلالِ العمل على إِنْهَاضِ الكنيسة المصريّة. لأَنَّهُ لو قَوِيَتْ الكنيسة

(٢٩) المرجع السَّابق، ٨- ١٣٤.

(٣٠) ولهذا تمَّ تكوين مجلس الإِرساليَّة المشيخيّة الخارجيَّة بأَمريكا ليقوم بهذه المسئوليَّة، وقد بدأَت الإِرْساليَّة نشاطها في الكثيرِ مِنَ البُلدَانِ مِثْلَ تُرْكِيَا وَإِيران وبيروت قبل المجيء لِمصر. لمزيد من الدِّراسةِ: يُمْكِنُكَ الرّجوع إِلى رِسالةِ الدُّكتوراه المُقدَّمة من القَسّ حبيب بدر بعنوان:

«Mission TO Nominal Christian» والَّتي تتناول بداية الإِرساليَّة الأَمريكيَّة بِلُبْنَان وسوريًا خاصّةً في الفترة ما بين ١٨٢٠- ١٨٦٥.

المصريّة، فسوف يَتَغَيّرُ الشَّرق الأَوسط، كما حدث وقادت الكنيسة المصريّة العالَمَ المسيحيّ في القرونِ الأَرْبعة الأُولى. وفي ١٥ نوڤمبر ١٨٥٤ وصلت إِلى القاهرة مجموعةٌ من المُرْسَلين وبدأَت الخدمة الإِنجيليّة، وبحلول عام ١٨٦٠ تَمَّ تَأْسيس أَوّل كنيسة إِنجيليّة بمصر، في منطقة دَرْبِ الجنينة في القاهرة. وتَمّ تَشْكِيل أَوّل مجمع إِنجيليّ بمصر في ١٣ أَبريل ١٨٦٠. ثُمَّ امتدَّ العملُ الإِنجيليّ إِلى كُلِّ أَرْجَاءِ مِصْرَ والَّتي كانت تُعْرَف آنذاك «الكنيسة الإِنجيليّة المشيخيّة في وادي النّيل.» وبحلولِ عام ١٨٩٧ تَمَّ تَأْسيس سُنُودس النّيل الإِنجيليّ.[٣١] ويُلَاحَظُ هُنَا أَنّ الكنيسة الإِنجيليّة مُنْذُ بدايتها تَهَتمُّ (اهْتَمّت) بالإِنسانِ كَكُلٍّ: رُوحيًّا من خلال الكنيسة، اجتماعيًّا وثقافيًّا من خلالِ إِنشائها المدارس والمُستشفيات ودُور الرِّعاية المختلفة وتطوير المجتمع، واقتصاديًّا من خلال الأَنشطة التَّنْمَويّة لِرَفْعِ مُستوى المعيشة، نفسيًّا في تحقيقِ الرِّضا والسَّلام الَّذي نَتَجَ من خِلَالِ عَلاقة الإِنسان باللهِ وتحسين حياتِهِ في مُخْتَلَفِ المجالات.

ولكي نَعْرِف ما هي الكنيسة المشيخيّة، علينا أَن نَقْتَرِبَ إِليها ونفهمها من خلال تَوضِيح أَربعة أَساسيّات رئيسيّة للإِيمان المشيخيّ، تجُيب على التَّساؤل: ما هي الكنيسة الإِنجيليّة المشيخيّة؟ لكن أُرِيدُ أَنْ أُنوِّهَ هُنَا، على أَنَّ هذه النِّقَاط هي بسيطةٌ في صياغتِهَا ولَاهُوتِها، لأَنَّها مُقدَّمةٌ للشَّبَابِ الإِنجيليّ الَّذي يرغب في أَنْ يَعْرِفَ كنيستهُ.

(٣١) راجع: أَديب نجيب سلامة، تاريخ الكنيسة الإِنجيليّة بمصر، (القاهرة: دار الثَّقافة، ١٩٨٢)، ٣٩- ١٤٠.

البابُ الثَّاني:

خَمْسةُ أساسِيَّات رَئِيسِيَّة في الإِيمَانِ الإنجيلي.

إِنّ الإِيمان المشيخيّ هو طريقةٌ
لِكَيْ تُصْبِحَ مُؤمنًا مسيحيًّا،
ولكنّه ليس الطَّريقة الوحيدة...
ولكنّ المشيخيّين قد أَخَذُوا مُعْتَقَدَاتهمْ اللّاهوتيّة بِجدِّيةٍ
لِأَنّهمْ يَتَعَامَلُونَ مَعَ الله بِجِدِّيةٍ...
وهكذا فإِنّ اللّاهوت المشيخيّ هو إِحْدَى الطُّرق لمساعدتنا على فَهْم
مَنْ هُوَ الله
وما الَّذي يفعله الله في التَّاريخِ البشريِّ،
على أَساسِ تَواصل الله مع البشرِ من خلال الكتاب المقدّس.[٣٢]
دُونَالد كِي مَكِيم، العقائد المشيخيّة

---

(٣٢) دونالد كي مكيم، ١٧.

الأَساسُ الْأَوَّل: مَرْكَزِيّة المسيح «رِئَاسَةُ الْمَسِيح وحده»:

كُلُّ مَعشرِ الشعوبْ
للمسيح يسجدونْ
اِسمُ مجدهِ إلي الأدهارْ
اِسمهُ حيٌّ مَهُوبْ
وإلي الدهرِ يكونْ
باركوهُ أجمعينْ
لِيتعالَ اسمُ فادينا
وَلتمتلِي الأرضُ من مجدهِ
آمِينْ
آمِينْ

«نظم المزامير»

لِكَيْ نَشْرَحَ مركزيّة المسيح في الفكرِ الإنجيليّ، سوف نُقَسِّمُ هذا الموضوع إِلى جزأَيْن: الأَوّل، مركزيَّةُ ورئاسةُ المسيح وحده. ثُمَّ في الجُزءِ الثَّاني، نتناول موقف الكنيسة الإِنجيليّة المشيخيّة من المُنادِين بِوجُودِ وُسَطاء غير المسيح «شفاعة القدّيسين.»

أَوّلًا: رئاسةُ المسيح وحده:

تعني رئاسة المسيح أَنّ المسيح هو البدايةُ والنِّهايةُ، هو الأَوَّلُ والآخِر، لا شَيْءٌ يُضاف إِليهِ ولا شَيْءٌ يُؤخَذُ مِنْهُ. كُلُّ شَيءٍ يَنْبُعُ مِنْهُ وَيَرْتَكِزُ عَلَيْهِ. هذا هو جوهرُ الإِيمان المسيحيّ وموضوعهُ، مُحرِّكهُ وَغايتهُ. فلا تجوز مُساواة المسيح بشخصٍ أَوْ كِتَابٍ أَوْ عَقِيدَةٍ أَو نِظَامٍ أَوْ مَبْدَإٍ، ولا يجوز أَن يَأْخُذَ أَحَدٌ مكانَهُ فِي شَفَاعَتهِ وَفِي رِئَاسةِ كنيستهِ، وكَأَنَّ المسيحَ الحيَّ غَائِبٌ لَا وُجُود لَهُ، والرُّوح الْقُدُس لَيْسَ رَبًّا.[٣٣]

فَنَحْنُ «نُؤمِنُ وَنَعْتَرِفُ»:

نؤمن أَنّ الحياةَ الأَبديّة هي معرفةُ الإِله الحقيقيّ وحده والرَّبَّ يسوع المسيح، معرفة الإِيمان والثِّقة والطَّاعة (يُو١٧: ٣). وهي معرفةٌ لا تَتَحَقّق إِلَّا بِعَمَلِ الرُّوح الْقُدُس فِي القلبِ (١كو ١٢: ٣). ونُؤمن أَنّ المسيحيّة تَتَميّز بإِيمانِها بِرَبٍّ واحدٍ، يسوع المسيح ابْن الله، رَبّ الكنيسة ورَأْسها الوحيد (١كُو٨: ٦؛ أَف٥: ٢٣). [٣٤]

ورغم أَنّنا نتحدّث أَوَّلًا عن إِيمانِنَا باللهِ الآب، إِلّا إِنّ إِيمانِنا بِرَبِّنَا الواحد يسوع المسيح، الله الابْن، هو الَّذي يكشف لنا الطَّريقَ لمعرفةِ الآبِ. فلا سبيلَ لمعرفةِ الآبِ إِلَّا عَنْ طَرِيقِ الْابْنِ (مَتَّ١١: ٢٧؛ لُو١٠:

(٣٣) چورچ صبرا، المرجع السَّابق، ٧٨.

(٣٤) مجلس العمل الرَّعويّ والكرازيّ، المرجع السَّابق، ٥٢.

٢٢؛ يُو١: ١٨)، والَّذي يَعْرِفُ الابْنَ يَعْرِفُ الآبَ (يُو١٤: ٩). وعقيدتُنَا بِشَأْنِ الابْن هي حجرُ الزَّاويةِ فِي الإِيمانِ المسيحيِّ، وتُمثِّلُ المكان المركزيّ في التَّعليمِ المسيحيِّ.

ونؤمن أَنّ اعترافَنَا بِرَبٍّ واحدٍ، يسوع المسيح، يعني أَنْ تكونَ لَهُ السِّيادةُ والسُّلطانُ في حياتِنَا الشَّخصيَّة والعائليّة، وفي عَلاقاتِنَا الكنسيّة وكُلِّ مُعَامَلَاتِنَا في المُجتمع، وفي استخدامِنَا لِكُلِّ وسائل العصر. فنثبت فيه ونرتبط بِهِ في ثقةٍ تامّةٍ، وطاعةٍ كاملةٍ. وكُلّ ما نقوم بِهِ مِنْ قولٍ أَوْ عملٍ فإِنمّا نفعلهُ بِاسمهِ، مُقدِّمين بِهِ الشُّكرَ للهِ الآب (كو٣: ١٧).

وإِذْ نُؤمِنُ بِرَبٍّ واحدٍ، يسوع المسيح، فإِنّنا نُصلِّي باسمهِ (يُو١٤: ١٣، ١٤)، وَنَتَعَبَّدُ باسمهِ في الرُّوحِ القدس، وفي ثِقَةٍ أَنّه حيٌّ وَيَشْفَعُ فِي المُؤمنين (عَبْ٧: ٢٥؛ ١يُو٢: ١).[٣٥]

فالمسيح هُو السَّبيلُ الوحيدُ لإِدراكِنَا لله: كما يقول القدّيس أَثناسيوس، أَعظم لاهوتيّ مِصرِيّ:[٣٦] «إِنّه يكون أَكْثر تَقْوى وَحقّ، أَنْ نَتَعَرَّفَ على الله من خلالِ الابْنِ وَنَدْعُوهُ الآب، عَنْ أَنْ نُسمّيه مِنْ خِلَالِ أَعْمَاله فَقَطْ وَنَدْعُوهُ غَيْرَ المخلُوق.»[٣٧] يَشْرحُ هذا الحقَّ اللّاهوتيّ المشيخيّ تُوماس

(٣٥) مجلس العملِ الرَّعويّ والكرازيّ، ٥٢.

(٣٦) يُنَادي البَاحثُ بِأَنّ فكرَ الكنيسةِ الجامعة الأُولى هُوَ مِلْكٌ لِكُلِّ المسيحيّين، لِأَنّها كانت كنيسَةً واحدَةً، وَلَيْسَ حكْرًا عَلَى أَحَد.

(٣٧) توماس ف. تورانس، ترجمة عمادٍ موريس اسكندر، الإِيمان بالثّالوث، (القاهرة: مكتبة باناريون، ٢٠٠٧) ،٧٣.

ف. تُورانس: «فَإِذا أَردنا أَن نَعْرِفَ اللهَ الآب بِطريقةٍ مُحدَّدةٍ ودَقيقةٍ، فإِنّنا يجب أَن نَعْرِفَهُ وِفْقًا لطبيعته،كما أَعلنها هُو في يسوع المسيح ابنه المتجسّد، الَّذي فيه لم يُعطِنَا شَيْئًا عَنْ ذَاتِه بَلْ صَمِيم ذَاتِهِ.»(٣٨) من خلال الإِيمان والتَّقوى: الإِيمان بالله يَتِمُّ مِنْ خِلَالِ يسوع المسيح الطَّريق الوحيد لِإِدْرِكنَا لله «إِنّ الإِيمان بِأَنّ يسوع المسيح هو (الطَّريقُ والحقُّ والحَيَاةُ)، يَسْتَبْعِدُ الوصول إِلى الآبِ بأَيّةِ طريقةٍ أُخرى غير تلك الَّتي قَدّمها اللهُ ذاتهُ فِي تَجَسُّدِ كلمتهِ فِي يسوع المسيح، أَي فِي ما هو يسوع المسيح في كيانهِ الأَقْنُومِيِّ الخاصّ»(٣٩). والتّقوى هي أَنْ نجعلَ المسيح هو مركزُ حَياتِنَا وَعِبَادتِنَا.» كانت التَّقوى تُعَرَّفُ وَتُحَدَّدُ لَيْسَ فَقَطْ على أَنّها بحسب يسوع المسيح ... بل إِنّه من خلال يسوع المسيح نفسه... من جِهَةِ عَلاقتِهِ الفريدة بالْآبِ كَابْنِ الله، وأَيْضًا من خلال عَلَاقَتِهِ الفريدة بِنَا كَرئيسِ كَهَنَتِنَا الَّذي فيه ومن خلالهِ نَعْبُدُ الْآبَ.»(٤٠)

ولا يوجد سبيل إِلى الله إِلَّا من خلال الابْنِ، «حيث إِعلان الله عَنْ ذاتِهِ كآبٍ يَتِمُّ مِنْ خِلَالِ إِعطاء ذَاتِهِ لنا في يسوع المسيح ابنه.»(٤١) يقول أَثناسيوس «فَإِنَّ يسوع المسيح ليس فقط صورة الله، بل صميم حقيقة الله في توصيل ذاته لنا، لذلك فالالتقاء بِهِ والتَّعرُّف عليه هو نفسه

(٣٨) المرجع السَّابق، ٩.
(٣٩) المرجع السَّابق، ٣٠.
(٤٠) المرجع السَّابق، ٥٣.
(٤١) المرجع السَّابق، ٧٢.

الالتقاء بالله الآب والتَّعرُّف عليه، لِأَنّه هو فِي الآبِ والآبُ فِيهِ.»[٤٢] يشرحُ القدِّيس أَثناسيوس هذه الجُزئيّة ويقول: «وبما أَنّ الآب لا يكون قطّ بِدُونِ الابْنِ،كَمَا أَنّ الابن أيضًا لا يكون بدون الآب، فكلّ ما يصنعه الآب يتمّ فِي الابن ومن خلاله، وكلّ ما يصنعه الابن يكون هو نفسه ما يصنعه الآب. ونفس الشَّيء ينبغي أَنْ يُقَالَ لِلْعَلَاقَةِ بَيْنَ اللهِ وكلمتِه. فبما أَنّ الله لا يكون قطّ بِدُونِ كلمتِهِ، كما أَنّ الكلمةَ لا يكون بِدُونِ الله، فَكُلّ شَيْءٍ مخلوق قد خلقهُ الله من خلالِ كلمتِهِ وبِكَلِمَتِهِ وَفِي كَلِمَتِهِ.»[٤٣]

موقف الكنيسة الإنجيليّة مِنْ وَسَاطَةِ القدِّيسين:

إِنّ كَلِمَةَ «قدّيسين» هِيَ لَقَبٌ عَامٌّ أَطْلَقَهُ الله والرُّسل على المؤمنين. وتَرجِعُ خَلفيّة هذا اللّقب إِلى (خُر٢٢: ٣١؛ لَا١١: ٤٤)، عندما دعا الرَّبُّ بني إِسْرَائِيلَ لِيَكُونُوا «قدّيسين» أَي مُكرَّسين لله.كما أَكّدَ العهدُ الجديدُ على أَنّ الرَّبَّ يسوع هو «قُدُّوس الله « (مَرْقُس١: ٢٤). ونجد أَيْضًا خلفيّة هذا اللَّقب فِي نبوّة دَانِيَآل (٧: ١٨، ٢١- ٢٧. ارجع أَيْضًا إِلَى لُغَةِ مَزْ٧٩: ٢)، وفِي العهدِ الجديدِ أَصبح هذا اللَّقب هو أَحدُ أَسماءِ المسيحيّين، ليس لقداستهم الشَّخصيّة، بل لأَنّهم مُقدَّسون فِي المسيح، حَتَّى لَوْ كان لديهم ضعف (١كو١: ٢). وكانت كلمة «قدّيسين» عند الرّسول بُولُس مِنْ أَحَبِّ الأَسماءِ للمسيحيّين (رُو١: ٧؛ ٨: ٢٧؛ ١٢: ١٣؛ ١٥: ٢٥، ٢٦، ٣١؛ ١٦: ٢، ١٥)، عِلَاوةً على واحدٍ وثَلَاثِين مَرّة أُخرى اسْتُخْدِم هذا اللَّقب

(٤٢) المرجع السَّابق، ٨٩.

(٤٣) المرجع السَّابق، ١١٠.

لِيَصِفَ المسيحيّين عُمُومًا في رَسائله بِغَضّ النَّظر عن مكانتِهِمْ الرُّوحيَّة أَوْ الاجتماعيّة. كما يَرِدُ هذا الاسم أَربع عشرة مرّة في سِفْرِ الرُّؤْيَا،كما يستخدمهُ آخرون من كُتَّابِ العهد الجديد بِنَفْسِ المدلول (عِب١٢: ١٠؛ ١٣: ٢٤؛ يَهُوذَا١٣). فَهُمْ مُقدَّسون لأَنّ المسيح القدّوس يسكن فيهم، والرُّوح القدس يُقدِّسهم، فقد أُفْرِزُوا للهِ وَصَارُوا «كَهَنُوتًا مُقَدَّسًا»، تَركُوا طَرِيقَ الْعَالَمِ (١بُطْ٢: ٥، ٩؛ ١: ١٥، ١٦). ويَفْتَرِضُ هذا الاسم أَن يجتهد المسيحيّون لِأَنْ يَكُونُوا مُقدَّسين في كُلِّ زَمَانٍ وَمَكَانٍ (١تي٤: ٣؛ عِبْ١٢: ١٠؛ رُؤْ٢٢: ١١).[٤٤]

يتمسَّك المشيخيّون بمبدأ «لَا أَوّليّة في الكنيسة: لقد مَنَعَ (المسيح) رُسُلَهُ وَأَتْبَاعهم أَنْ يكونَ لهم أَوليّة وسيادة في الكنيسة.»[٤٥] فالمسيح هو رَأْسُ الكنيسة، وكُلّ الأَعضاءِ واحدٌ في المسيح يسوع،كما تقول إِقْرارات إِيمان الكنيسة المشيخيّة:

ولكنَّنا فِي الوقتِ نفسه لا نحتقر القدّيسين ولا نظنّ سوءًا بهم، لأَنّنا نُقِرّ أَنّهم أَعضاء فِي المسيح وأَصدقاء الله الَّذين غَلَبُوا الجسد والعالم بمجد. لذا فَنَحْنُ نُحبّهم كَإِخْوَةٍ لنا ونُكْرِمهم، ولكن لَيْسَ بِعِبَادَةٍ بَلْ بِتَفْكِيرٍ حَسَنٍ عَنْهُمْ وَبِتَمْجِيدِهِمْ. وكذلك فإِنّنا نَقْتَدِي بِهِمْ. نَسْعَى مُخلصِين بَشَوقٍ حَارٍّ وابتهالات أَن نُقلِّدَ إِيمانهمْ وفضائلهم، وَنُشَاركهم الخلاص الأَبديّ، ونسكن أَبديًّا معهم في حضرةِ الله وَنَفْرحُ معهم في

(٤٤)دائرة المعارف الكتابيَّة، ج٧، (القاهرة: دار الثَّقافة، ١٩٩٨)، ١٥٧. وليم وهبة بباوي،
(٤٥) چورچ صبرا، نؤمن ونعترف، (بيروت: كليّة اللّاهوت للشَّرق الأَدنى، ١٩٩٠)، ١٦٤- ١٦٥.

المسيح. وفي هذا المجال نَسْتَحْسِنُ قول القدّيس أُغسطينوس... «لا تكن تَقْوانا عِبَادة بَشَرٍ قَدْ ماتوا. فإذَا كانوا قد عَاشُوا حَيَاةً مُقدَّسةً فَهُمْ أَبْعَدُ النَّاسِ عَنْ نشدانِ حَفَاوَة كَهَذِه. بل العكس أَنّهم يُرِيدُونَنَا أَن نَعْبُدَ الَّذي بِنُورِهِ يَفْرَحُونَ بِأَنّنا خُدّامٌ مُشارِكُونَ في استحقاقاته. لذلك يجب تكريمهم بواسطةِ الاقتداء بهم وليس بالتَّعبُّدِ لَهُمْ في طريقةٍ دينيّةٍ.»[٤٦]

شفاعةُ القدّيسين:

لكي نُدرِكَ مفهوم المشيخيّين عن شفاعةِ القدِّيسين يجب إدراك مفهوم الشَّفاعة: يستخدمُ العهدُ الجديدُ ثَلاثَ كلمات ليُعبِّر لنا عَنِ الشَّفاعةِ:[٤٧]

١ – «وَسِيط»:[٤٨] فالشَّفيعُ هو الوسيطُ بَيْنَ اللهِ والنَّاسِ:

يؤكِّدُ الكتابُ المقدّس على حقيقة هامّة لا تَقْبَلُ أَيَّ شَك، هي أَنّ المسيح يسوع هُوَ الوسيطُ الوحيدُ بَيْنَ اللهِ وَالْإِنْسَانِ «لأَنَّهُ يُوجَدُ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَوَسِيطٌ وَاحِدٌ بَيْنَ اللهِ وَالنَّاسِ: الإِنْسَانُ يَسُوعُ الْمَسِيحُ.» (١تيمو٢: ٥)، «وَلَكِنَّهُ الآنَ قَدْ حَصَلَ عَلَى خِدْمَةٍ أَفْضَلَ بِمِقْدَارِ مَا هُوَ وَسِيطٌ أَيْضًا لِعَهْدٍ أَعْظَمَ، قَدْ تَثَبَّتَ عَلَى مَوَاعِيدَ أَفْضَلَ.» (عِبْ٨: ٦)، «وَلأَجْلِ هَذَا هُوَ وَسِيطُ عَهْدٍ جَدِيدٍ، لِكَيْ يَكُونَ الْمَدْعُوُّونَ -إِذْ صَارَ مَوْتٌ لِفِدَاءِ التَّعَدِّيَاتِ الَّتِي فِي الْعَهْدِ الأَوَّلِ- يَنَالُونَ وَعْدَ الْمِيرَاثِ الأَبَدِيِّ.» (عِبْ٩: ١٥).

(٤٦)چورچ صبرا، ١٣١.

(٤٧) فهيم عزيز، سلسلة الأَغصان: الشَّفاعة ٧، (القاهرة: دار الثَّقافة، ١٩٨٠)، ١٤.

(٤٨) فهيم عزيز، ٢٠.

الوسيط، أَيّ الشَّفِيع، لَابُدَّ أَنْ تَتَوفَّرَ فِيهِ مُؤهِّلَات الوسَاطَةِ:

«أَنْ يَكُونَ إِنْسَانًا: وَقَدْ اتَّخَذَ المسيحُ طَبِيعَتَنَا، وَلَيْسَ طبيعة الملائكة. لقد جاء ليفدينا، فكان ضروريًّا أَنْ يُولَد تَحْتَ النَّامُوسِ الَّذي خَالَفْنَاهُ لِيُكَمِّلَ كُلَّ بِرٍّ، وَيَتَأَلَّمَ ويموت كذبيحة لِيُكفِّر عن خطايانا، وليشترِكَ في حياتِنَا البشريَّة لِيَشْعُرَ بضَعفَاتِنَا. فَلِذَلِكَ «كما تَشَارَكَ الأَوْلاَدُ فِي اللَّحْمِ وَالدَّمِ، اشْتَرَكَ هُوَ أَيْضًا كَذَلِكَ فِيهِمَا» (عِبْ٢: ١٤).»[٤٩] فالمسيحُ بكونِهِ إِنْسَانًا بارًّا، قَدَّمَ نَفْسَهُ كَذَبِيحَةٍ.

بِلَا خَطِيَّة لِكَيْ يَسْتَطِيعَ أَنْ يُكفِّرَ عَنْ كُلِّ خَطِيَّة، فلا يستطيع الخاطئُ أَنْ يَكُونَ كفَّارةً لأَنَّهُ مُدَانٌ، فلا يُوجدُ إِنْسَانٌ بَارٌّ «كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ: «أَنَّهُ لَيْسَ بَارٌّ وَلاَ وَاحِدٌ. لَيْسَ مَنْ يَفْهَمُ. لَيْسَ مَنْ يَطْلُبُ اللهَ. الْجَمِيعُ زَاغُوا وَفَسَدُوا مَعًا. لَيْسَ مَنْ يَعْمَلُ صَلاَحًا لَيْسَ وَلاَ وَاحِدٌ. (رُو١٠:٣- ١٢). والمسيح وحده هو المقدَّسُ بلَا خَطِيَّة «الَّذِي لَمْ يَفْعَلْ خَطِيَّةً، وَلاَ وُجِدَ فِي فَمه مَكْرٌ» (ابُطْ٢: ٢٢)، «أَنَّهُ كَانَ يَلِيقُ بِنَا رَئِيسُ كَهَنَةٍ مِثْلُ هذَا، قُدُّوسٌ بِلاَ شَرٍّ وَلاَ دَنَس، قَد انْفَصَلَ عَنِ الْخُطَاة وَصَارَ أَعْلَى مِنَ السَّمَاوَاتِ» (عِبْ٧: ٢٦)، «أَنْ لَيْسَ لَنَا رَئِيسُ كَهَنَةٍ غَيْرُ قَادِرٍ أَنْ يَرْثِيَ لِضَعَفَاتِنَا، بَلْ مُجَرَّبٌ فِي كُلِّ شَيْءٍ مِثْلُنَا، بِلاَ خَطِيَّةٍ.» (عِبْ٤: ١٥). وأَيْضًا يجب يمتلك في ذاتهِ قُدْرَةً تستطيع أَنْ تَتَخَطَّى الخطيَّة والموت.

(٤٩) جميس أَنس، تحرير منيس عبد النُّور، علم اللاهوت النِّظَاميّ، (القاهرة: الكنيسة الإِنجيليّة بقصر الدُّوبارة، ١٩٩٩)، ٤٥٤.

أَنْ يَكُونَ إِلَهًا: لِأَنَّهُ لا يقدر أَن يَنْزِعَ الخطيَّةَ، إِلَّا دم مَنْ هُوَ أَعظم مِنْ مُجَرَّد مَخْلُوق. ولأَنَّ المسيح هو اللَّهُ، فقد قَدّم نَفْسَهُ ذَبِيحَةً مرّةً واحدةً فَأَكْمَلَ إِلَى الْأَبَدِ المؤمنين (عب٧: ٢٧؛ ٩: ٢٦). وكذلك لا يقدر إِلَّا شخصٌ إِلهيّ أَن يَبِيدَ سُلطانَ الشَّيطانِ وَيُنْقذ الَّذين سباهم. ولا يقدر على تتميم عمل الفداء العظيم إِلَّا القادرُ على كُلِّ شَيْءٍ، صَاحِبُ الْحِكْمَةِ وَالْمَعْرفَةِ غَيْرِ الْمَحْدُودَتَيْنِ، ليكونَ رئيس كنيسته ودَيّانًا للجميع. ولا يقدر أَن يكون مصدر الحياةِ الرُّوحيَّة لجميع المفديّين، إِلَّا مَنْ حَلَّ فِيهِ كُلُّ مِلءِ اللَّاهوت.»[٥٠]

٢- «يَشْفَعُ»:[٥١] فالشَّفِيعُ هُوَ الَّذِي يَشْفَعُ ويجب أَنْ يَكُونَ لديه:

الإِمكانية (امتلاك الذّبيحة الكفّاريّة) لهذه الشَّفاعة: «مَنْ هُوَ الَّذِي يَدِينُ؟ الْمَسِيحُ هُوَ الَّذي مَاتَ بَلْ بِالْحَرِيِّ قَامَ أَيْضًا الَّذي هُوَ أَيْضًا عَنْ يَمِينِ الله الَّذي أَيْضًا يَشْفَعُ فِينَا!» (رُو٨: ٣٤). وأَيْضًا عمل الرُّوح الْقُدُس «وَلَكِنَّ الَّذي يَفْحَصُ الْقُلُوبَ يَعْلَمُ مَا هُوَ اهْتِمَامُ الرُّوحِ لأَنَّهُ بِحَسَبِ مَشِيئَةِ اللهِ يَشْفَعُ فِي الْقِدِّيسِينَ.» (رُو٨: ٢٧).

المكانة الَّتي تُؤهِّلهُ لذَلكَ: «يَا أَوْلاَدِي، أَكْتُبُ إِلَيْكُمْ هَذَا لِكَيْ لاَ تُخْطِئُوا. وَإِنْ أَخْطَأَ أَحَدٌ فَلَنَا شَفِيعٌ عِنْدَ الآبِ، يَسُوعُ الْمَسِيحُ الْبَارُّ...

(٥٠) جميس أنس، ٤٥٤- ٤٥٥.

(٥١) فهيم عزيز، ٢٠.

أَكْتُبُ إِلَيْكُمْ أَيُّهَا الأَوْلاَدُ لأَنَّهُ قَدْ غُفِرَتْ لَكُمُ الْخَطَايَا مِنْ أَجْلِ اسْمِهِ.» (١يُو٢: ١، ١٢).

أَن تَكُونَ شَفَاعتهُ شَامِلَةً وَليست مقصورة على فئة مُعَيّنة: «وَهُوَ كَفَّارَةٌ لِخَطَايَانَا. لَيْسَ لِخَطَايَانَا فَقَطْ، بَلْ لِخَطَايَا كُلِّ الْعَالَمِ أَيْضًا.» (اُيُو٢: ٢).

أَن تَكُونَ شفاعتهُ مُسْتَمِرةً: «فَمِنْ ثَمَّ يَقْدِرُ أَنْ يُخَلِّصَ أَيْضًا إِلَى التَّمَامِ الَّذِينَ يَتَقَدَّمُونَ بِهِ إِلَى اللهِ، إِذْ هُوَ حَيٌّ فِي كُلِّ حِينٍ لِيَشْفَعَ فِيهِمْ» (عِبْ٧: ٢٥).

٣- «المُعزِّي أَوْ المُدَافِع»:[٥٢] الشَّفِيعُ هو المُعزِّي والمُدافِع، وهذا الاسم أُطْلِقَ عَلَى:

المسيح: يعني أَنّه في خطايانا يَشْفَعُ فينا السَّيِّدُ المسيح في السَّمَاء: «يَا أَوْلاَدِي، أَكْتُبُ إِلَيْكُمْ هذَا لِكَيْ لاَ تُخْطِئُوا. وَإِنْ أَخْطَأَ أَحَدٌ فَلَنَا شَفِيعٌ عِنْدَ الآبِ، يَسُوعُ الْمَسِيحُ الْبَارُّ.» (١يُو٢: ١).[٥٣]

الرّوح الْقُدُس: فشفاعةُ الرُّوح هُنَا أَنّه يقف مع المؤمنين في المواقف المختلفةِ الَّتي يحتاجون فيها لمعونةٍ وَإِرشادٍ. فهو يكشف لنا عملَ النِّعْمَةِ، ويقودنا للتقابُلِ مع المسيح، ويقف مَعَنَا ويُرشدُنَا وَيَعْضُدُنَا وَيُقوِّينا في المواقفِ الصَّعبةِ، ويُعطِي الحكمةَ والمشورةَ، وينشرُ التَّعزِيَةَ

(٥٢) المرجع السَّابق، ٢٤.

(٥٣) المرجع السَّابق، ٢٤.

في وقتِ الحُزْنِ، وَيُعْطِينَا ثَمَرَهُ.

مِمَّا سَبَقَ:

أَكّدَ الكتابُ المقدّس بكلِّ وضوح، أَنّ المسيح هو الوسيط الوحيد: «لأَنَّهُ يُوجَدُ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَوَسِيطٌ وَاحِدٌ بَيْنَ اللهِ وَالنَّاسِ: الإِنْسَانُ يَسُوعُ الْمَسِيحُ.» (١تيمُو٢: ٥)، «وَلَكِنَّهُ الآنَ قَدْ حَصَلَ عَلَى خِدْمَةٍ أَفْضَلَ بِمِقْدَارِ مَا هُوَ وَسِيطٌ أَيْضًا لِعَهْدٍ أَعْظَمَ، قَدْ تَثَبَّتَ عَلَى مَوَاعِيدَ أَفْضَلَ.» (عبْ٨: ٦)، «وَلأَجْلِ هَذَا هُوَ وَسِيطُ عَهْدٍ جَدِيد، لِكَيْ يَكُونَ الْمَدْعُوُّونَ -إِذْ صَارَ مَوْتٌ لِفِدَاءِ التَّعَدِّيَاتِ الَّتِي فِي الْعَهْدِ الأَوَّلِ- يَنَالُونَ وَعْدَ الْمِيرَاثِ الأَبَدِيِّ.» (عِبْ٩: ١٥).

ولم يذكر الكتاب المقدّس أَيَّةَ وساطة إِنسانيّة، من القدّيسين الَّذين رقدوا، لكنّه علّمَنا أَنْ نُصلِّي لبعضِنَا البعض. ويذكر العهد القديم بالفعل وساطة إِنسانيّة مثل إِبْرَاهِيم (تَكْ١٨: ٢٢- ٢٣)، مُوسَى (خُر٣٢: ٣٠- ٣٣)، وَصلاة سُليمان (١مُلُ٨: ٢٢- ٥٣)، وَوَساطة إِرْمِيَا (إِرْمِيَا١٤: ٧- ٩)، وكاتب (مَزْمُور١،٨٠؛ ١تَسَ٥: ٢٥؛ ٢تس٣: ١). وَنُلَاحظ عِدّة نقاط في هذه الصَّلوات:

لم تعتمد هذه الصَّلوات على وساطةِ المُصلِّي، لكن على رحمةِ الله وعدلِهِ (تَكْ١٨: ٢٧).

نجد في هذه الصَّلوات جميعها أَنَّ الوسيط كَانَ حَيًّا وليس مَيْتًا،

وهذا أَمْرٌ كتابيٌّ يقبله الجميع. فالكتاب المقدّس يُعلِّمنا أَنْ نُصلّي من أَجْلِ بعضنا البعض، ومن أَجْلِ الكنائس (أَع١٢: ٥؛ رُو١٥: ٣؛ ١كُو١: ١١؛ يَعْ٥: ١٦).

الوساطةُ الإِنسانيّة لَمْ تَكُنْ كاملةً، فقد تَمَّ رفض بعض الصَّلوات مِثْلَ صلاةِ إِبْرَاهِيم لِسَدُوم وَعَمُورَة، وَتَمَّ الاستجابة للبعضِ الآخر مِثْلَ صَلَاةِ مُوسَى.

نَعلم أَنّ المؤمنين الأَحياء يسمعون ما نطلبهُ منهم في هذه الحياة، وأَمّا أَهْلُ السَّمَاءِ فلا يشاركون اللّه في صِفَاتِهِ، ومنها: الحضُور في كُلِّ مكانٍ، واستماع الصَّلاة، ومعرفة خفايا القلبِ وسرائرِه. وبدون هذه الصِّفات لا نرى كيف يسمعون صَلَواتنَا ويشفعون فينا عند اللّه؟ أَمّا أَنّ أَهْلَ السَّمَاءِ يفرحون بخاطئٍ واحدٍ يتوب، فَلأَنَّ السَّمَاء تُعْلِنُ لهم الخبر. لكن الصَّلاة لهم والاستغاثة بهم لا تبلغهم.»[٥٤]

الرَّسول يَعْقُوب يُقدِّم جوهر الصَّلاة من خلالِ شركة الجسد الواحد، أَي أَنَّها ليست بحسب مكانة أَوْ سِنّ أَوْ جِنْس المُصلِّي، وَإِنَّها لكُلِّ مسيحيّ «اعْتَرِفُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ بِالّزَلاَّت، وَصَلُّوا بَعْضُكُمْ لأَجْلِ بَعْضٍ لِكَيْ تُشْفَوْا. طَلْبَةُ الْبَارِّ تَقْتَدِرُ كَثِيراً فِي فِعْلِهَا. كَانَ إِيلِيَّا إِنْسَانًا تَحْتَ الآلاَمِ مِثْلَنَا، وَصَلَّى صَلاَةً أَنْ لاَ تُمْطِرَ، فَلَمْ تُمْطِرْ عَلَى الأَرْضِ ثَلاَثَ سِنِينَ وَسِتَّةَ أَشْهُرٍ.» (يَعْ٥: ١٦- ١٧).[٥٥]

---

(٥٤) جميس أنس، ٤٥٧.

(٥٥) فهيم عزيز، ٣٠- ٣٤.

لا يستطيع أَيُّ إنسانٍ أَنْ يقومَ بِدَورِ الوسيط، لأَنّه لا يمتلك مُؤهِّلات وصِفَات الوسيط كما سبق. فمَنْ هو الإنسان -مهما كانت درجةُ قداستِه- حتَّى يكون لديه الإمكانيّة الكفّاريّة للشَّفاعة، فمَنْ لا يمتلك شيئًا لا يستطيع أَنْ يُقدِّمهُ للآخرين. وكذلك مَنْ يمتلك المكانة الَّتي تُؤهِّلهُ لِعَمَلِ هذا، مَنْ هُوَ جَالسٌ عَنْ يَمِينِ الْآبِ غَيْر يسوع المسيح. بالإِضافةِ إِلى مَنْ يُنادي بالشَّفاعةِ البشريّة يُدْرِكُ أَنّها قاصرة على فئةٍ معيَّنةٍ وَلَيْسَتْ مُسْتَمِرة، وهذا عكس صفات الشَّفاعة.

المُشكلة الكبرى في الشَّفاعةِ البشريَّة أَنَّها تَسْتَبْعِد عمل الرُّوح الْقُدُس «وَكَذَلِكَ الرُّوحُ أَيْضًا يُعِينُ ضَعَفَاتِنَا لأَنَّنَا لَسْنَا نَعْلَمُ مَا نُصَلِّي لأَجْلِهِ كَمَا يَنْبَغِي. وَلَكِنَّ الرُّوحَ نَفْسَهُ يَشْفَعُ فِينَا بِأَنَّاتٍ لاَ يُنْطَقُ بِهَا.» (رُو٨: ٢٦). يُعطي الرُّوحُ الْقُدُس الحُبَّ الإلهيّ للإنسانِ، الَّذي هو ثمرةٌ مِنْ ثمارِ الصَّليب، وضروريّ لأَنّه أَوّل علامة من علامات الاقتراب الشَّديد إِلى اللهِ، الَّذي يُمهّد للاتّحاد، لأَنّ الله محبَّة. وهذه المحبَّة يُعطيها الرُّوحُ الْقُدُس لِكُلِّ واحدٍ حسب احتياجِه، حتَّى يُصبح كُلُّ إنسانٍ قريبًا إِلى اللهِ، وأَيْضًا إِلى أَخيهِ الإِنسان.[٥٦] فالرُّوحُ الْقُدُس هُو «أَثمن ما يَقْتَنِي الإِنسان في حياته على الْأَرْضِ، هو رباطُ الشَّركة، الشَّركة مع اللهِ والقدّيسين. وَلا شَرِكَة بدون حُبٍّ، ولا حُبّ بدون الرُّوح الْقُدُس.»[٥٧]

---

(٥٦) متّى المسكين، مع الرّوح الْقُدُس في جهادِنَا اليوميّ، ط. ٥، (بريّة شهيت: دير القدّيس أنبا مقار، ٢٠٠٤)، ٣٨، ٣٩.

(٥٧) المرجع السَّابق، ٣٩.

الله ليس بعيدًا عَنَّا: فالإنسان كان لديه عَلاقة وثيقة بالله «وَسَمِعَا صَوْتَ الرَّبِّ الإِلَهِ مَاشِيًا فِي الْجَنَّةِ عِنْدَ هُبُوبِ رِيحِ النَّهَارِ فَاخْتَبَأَ آدَمُ وَامْرَأَتُهُ مِنْ وَجْهِ الرَّبِّ الإِلَهِ فِي وَسَطِ شَجَرِ الْجَنَّةِ.» (تكْ٣: ٨) هذا العدد يُوضِّح أَنّه قَبْلَ السّقوطِ كانت هناك عَلاقةٌ قويَّةٌ مُباشرة مع الله، وعندما سقط الإنسان كَسَر العهد؟ لكن في المسيح يسوع تمّت المُصالحة بين الله والإنسانِ (٢كُو٥: ١٨- ٢٠). وبهذا استعاد الإنسانُ هذه العَلاقة، وأَصبح لديه القُدرة أَنْ يَدْخُلَ إلى عرشِ النِّعْمَةِ وَيتمتّع بمحضرِ الله «لأَنْ لَيْسَ لَنَا رَئِيسُ كَهَنَةٍ غَيْرُ قَادرٍ أَنْ يَرْثِيَ لِضَعَفَاتِنَا، بَلْ مُجَرَّبٌ فِي كُلِّ شَيْءٍ مِثْلُنَا، بِلاَ خَطِيَّةٍ. فَلْنَتَقَدَّمْ بِثِقَةٍ إِلَى عَرْشِ النِّعْمَةِ لِكَيْ نَنَالَ رَحْمَةً وَنَجِدَ نِعْمَةً عَوْنًا فِي حِينِهِ.» (عِبْ٤: ١٥، ١٦). فَنَحْنُ «نُؤمِنُ وَنَعْتَرِفُ»:

فِي كُلِّ مِحَنِ حياتِنَا وَتجارِبِهَا، ندعو الله وحده وذلك بواسطةِ شفيعنا وشفيعنا الوحيد، يسوع المسيح. فَقَدْ أُوصِينا بِكُلِّ صَرَاحَة: «ادْعُنِي فِي يَوْمِ الضِّيقِ أُنْقِذُكَ فَتُمَجِّدُنِي» (مَزْمُور٥٠: ١٥). وأَيضًا لنا وعدٌ كريمٌ من الرَّبِّ الَّذي قال: «إِنَّ كُلَّ مَا طَلَبْتُمْ مِنَ الآبِ بِاسْمِي يُعْطِيكُمْ» (يُوحَنَّا١٦: ٢٣) وَأَيْضًا: «تَعَالَوْا إِلَيَّ يَا جَمِيعَ الْمُتْعَبِينَ وَالثَّقِيلِي الأَحْمَالِ وَأَنَا أُرِيحُكُمْ» (مَتَّى١١: ٢٨). وَبِما أَنّهُ مكتوبٌ: «فَكَيْفَ يَدْعُونَ بِمَنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ؟» (رُومِيَة١٠: ١٤)، وَبِمَا أَنّنا نُؤمن بالله وحده ندعوهُ بالتَّأْكيدِ وحده ونفعل ذلك بالمسيح. لأَنّ الرَّسولَ يقول: «لأَنَّهُ يُوجَدُ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَوَسِيطٌ وَاحِدٌ بَيْنَ اللهِ وَالنَّاسِ: الإِنْسَانُ يَسُوعُ الْمَسِيحُ.» (١تِيمُوثَاوُس٢: ٥)، وكذلك: «إِنْ أَخْطَأَ أَحَدٌ فَلَنَا شَفِيعٌ عِنْدَ الآبِ يَسُوعُ الْمَسِيحُ الْبَارُّ» إِلخ. (١يُوحَنَّا٢: ١).[٥٨]

(٥٨) چورچ صبرا، ١٣٠.

قام المسيحُ بالفداءِ إلى درجةِ الكمالِ، حتَّى لَمْ يَبْقَ وَجْهٌ لدخولِ غيره في ذلك. وكمالُ عَمَلِ المسيحِ ناتجٌ من سُمُوِّ شَأْنِه وكمال صفاته «لأَنَّهُ بِقُرْبَانٍ وَاحِدٍ قَدْ أَكْمَلَ إِلَى الأَبَدِ الْمُقَدَّسِينَ. (عِب١٠: ١٤؛ كو٢: ١٠). [٥٩]

فكرة الشَّفاعة تُؤدِّي إلى التَّقليلِ مِنْ قِيمَةِ المسيح، لأَنّنا نَطْلُبُ من بشرٍ رغمِ وجود المسيح، وهذا اعترافٌ ضِمنيٌّ بعدمِ قُدرة المسيح. حتَّى لَوْ قِيلَ أَنّ القدّيسين يقرِّبونَنَا إلى المسيح، فهذا أَيَضًا خطأٌ، لأَنَّ مُهمّةَ المسيح على الصَّليبِ هِي سَدٌّ وإزالةُ الفجوة بين اللهِ والإنسانِ. واعترفُنَا بوجودِ هذه الفجوة وضرورة وجود شخص يُعبِّر عن طلباتِنَا، فهذا اعترافٌ بعدمِ كمال الفداء. إنَّ السِّرَّ الأَعظم في قُدرةِ المسيح على توحيدِ الأَجناس والشُّعوب، وإلغاء كُلّ الفوارقِ بين كافّةِ النَّاسِ على الأَرضِ (الجامعيّة الكنَسيّة) هو أَنّه إلهٌ مُتَأَنّسٌ، ابْن الله وابن الإنسان في آنٍ واحد، لاهوت المسيح جعل ناسوتَهُ يَرْقَى فَوْقَ كُلِّ عُنْصُرِيّةٍ وَجِنْسِيَّةٍ وَتَحزُّبٍ، بَلْ وَفَوْقَ الخطيَّةِ والموتِ. وبنُوّة المسيح جعلتهُ يجمع شمل الإنسان في بنوّةٍ للهِ واحدةٍ. لذلك كُلّ مَن يأَكلُ جسدَ المسيح تذوب مِنْهُ جميع الفوارق والخطيَّة أَيضًا والموت، فيصير إِنْسَانًا واحدًا مع كُلِّ واحد، إِنْسَانًا جديدًا مخلوقًا جديدًا نقيًّا على صُورةِ المسيح، وبالتّالي ابنًا لله في بنوّةِ المسيح الوحيدة! وهكذا أَصبحت الطَّبيعة »الجامعة« في الكنيسة تعتمد على جسدِ المسيح الإلهيّ كَقُوَّةٍ لتجميعِ شمل البشريّة وتوحيدها جميعًا في بنوّةٍ لله واحدةٍ!![٦٠]

(٥٩) جميس أنس، ٤٥٦.

(٦٠) المرجع السَّابق، ٢٣.

«الخلاصُ بالمسيح تامٌّ وكاملٌ لِكُلِّ مؤمنٍ حقيقيٍّ، وليس بغير المسيح خلاصٌ، ولا يقدر أَحدٌ من البشرِ أَن يأْتي إِلى الآبِ إِلَّا بِهِ (يُو١٤: ٦؛ أَع٤: ١٢).»[٦١]

الشَّفاعةُ تَمْحُو الاتّحاد بالمسيح، فنحن عندما نرجو الاتّحاد مع الله، هذا ليس تَعَالٍ أَوْ كبرياء، وإِنّما من صميمِ حقّنا. لِأَنّه هو عملُ الله بالْأَساسِ فِي المسيح. هذا الحقُّ مبنيٌّ على مركزيّة المسيح الَّذي بَرّرنَا وقدّسنا وأَهّلنا من خلال فدائه للاتّحادِ بالله.[٦٢] كما يقول الأَبُ مَتّى المسكين: «الاتّحادُ مع الله، هو جوهرُ رِسالة المسيح ومحورُ تعاليمِه، وعلَّةُ موتِهِ ورجاءُ قيامتِهِ وَمَشْغُوليّةُ شَفَاعَتِهِ الْآنَ لَدَى الآب عَنْ ضَعْفِنَا.»[٦٣] فنحن لا نحتاج إِلى وساطةٍ لِأَنّ المسيح فينا بالفعلِ، لِأَنّنا هيكلُ الله «أَمَا تَعْلَمُونَ أَنَّكُمْ هَيْكَلُ اللهِ وَرُوحُ اللهِ يَسْكُنُ فِيكُمْ؟» (١كو٣: ١٥) ونحن موجودون دائمًا فِي حضرةِ الله.

فكرة الشَّفاعة تُعلِنُ عَن أَنّ هناك طُرقٌ أُخرى لله غير المسيح، مُتَمَثّلة في القدّيسين. وهذا يُنَاقِضُ القاعدة اللَّاهوتيَّة لِأَصحابِ هذا الرَّأي الَّتي أَسَّاسها أَثناسيوس وَتَبنّاهَا القدّيس كيرلّس الكبير: مِنَ الْآبِ بِالْابْنِ فِي الرُّوحِ الْقُدُس.[٦٤]

(٦١) جميس أنس، ٤٥٦.

(٦٢) متّى المسكين، المدخل لشرحِ إِنجيل القدّيس يُوحَنَّا: دراسة وتحليل، (بريّة شهيت: دير القدّيس أنبا مقار، ١٩٩٧)، ١٧٤.

(٦٣) المرجع السَّابق، ١٧٤.

(٦٤) المرجع السَّابق، ١٨٧.

فَلِكَيْ نُقيم وَنَحيا ونتّحد في حضرةِ الله، كُنّا نريد أَن نخرج من تَحْت قضاءِ غضب الله بالموتِ واللّعنةِ. وندخل إِلى برِّ اللهِ، أَي قضاء الرّحمة والتّزكية. وهذا تَمَّ من خلالِ عملِ النِّعْمَةِ في يسوع المسيح، فهو ليس لباب والطَّريق الوحيد فقطْ بل هو الَّذي يَدْخُلُ بِنَا إِلى اللهِ لِنَجِدَ سلامًا ونِعْمَةً وإِقامةً.(٦٥)

يلخّص الدّكتور القَسّ فهيم عزيز الموقف الإِنجيليّ: أَمّا القدّيسون فإِنّنا نُكْرمهمْ إِكْرَامًا عَظِيمًا وَذَلكَ بِالْكَيفِيَّةِ الَّتي يُظْهِرُهَا لنا كَاتبُ الرِّسَالَةَ إِلَى الْعِبْرَانيِّينَ، فَالْأَحْيَاءُ مِنْهُمْ: «أَطِيعُوا مُرْشِدِيكُمْ وَاخْضَعُوا، لأَنَّهُمْ يَسْهَرُونَ لأَجْلِ نُفُوسِكُمْ كَأَنَّهُمْ سَوْفَ يُعْطُونَ حِسَابًا، لِكَيْ يَفْعَلُوا ذَلِكَ بِفَرَحٍ، لاَ آنِّينَ، لأَنَّ هَذَا غَيْرُ نَافِعٍ لَكُمْ.» (عِبْ١٣: ١٧).

أَمّا الَّذين رَحَلُوا: «اُذْكُرُوا مُرْشِدِيكُمُ الَّذِينَ كَلَّمُوكُمْ بِكَلِمَةِ اللهِ. انْظُرُوا إِلَى نِهَايَةِ سِيرَتِهِمْ فَتَمَثَّلُوا بِإِيمَانِهِمْ.» (عِبْ١٣: ٧).

هَذَا حقٌّ، أَمّا أَنْ نَنْسبَ إِليهُمْ عَمَلَ السَّيِّدِ أَوْ الرُّوح الْقُدُس، فهذا ليس من الكتابِ المقدّس ولا من التَّقوى فِي شَيْءٍ.(٦٦)

(٦٥) متّى المسكين، شرح رسالة القدّيس بُولُس الرَّسول إِلى أَهْلِ رُومِيَة، (برية شهيت: دير القدّيس أَنبا مقار، ١٩٩٢)، ٢٥٣، ٢٥٤.

(٦٦) فهيم عزيز، ٤٢.

الْأَسَاسُ الثَّانِي: «الكتاب المقدّس وحده»:

«إِنَّ مصدرنا لِتَأْمُّلِ الله هو الكتابُ المقدّس،
لِأَنَّ الْكِتَابَ المقدّس هو الَّذي يُعْلِنُ مَنْ هُوَ الله.»
ستيفن وبلونكيت، أَساسيّات الإِيمان الإِنجيليّ

لم يكن الكتاب المقدّس ذو مكانةٍ كبيرةٍ في قُلُوبِ وعقولِ المسيحيّين في القرون الوسطى، وهذا الموقف الغريب والخطير على المسيحيّة كان نابعًا من الكنيسة في ذاتِ الوقت! وهُنَا نُلَاحِظُ عِدّة أُمور هامّة:

كانت اللُّغة الرَّسميَّة للكنيسة هي اللَّاتينيّة في مُعْظمِ أَنحاء أُوربَّا في العُصورِ الوسطى، وبالطَّبع كان الكتاب المقدّس يُقرَأ بها، بالرّغمِ من أَنَّ الشَّعب كان يتكلّم لُغات محليّة مُتَعَدِدة.

كانت الكنيسة تُعطِي حَقَّ التَّفسير للكهنةِ (الإِكْلِيرُوس) مُرورًا بالرُّتَبِ إِلى البابا نَفْسَه. ولم يكن مَسْمُوحًا للمسيحيِّ العادي (الْعِلْمَانِيّ) أَن يحاول التَّفكير في النَّصِّ المقدَّس، بل إِنّ الكتاب المقدّس كان يُربَط بسلاسلٍ ويُوضَع على الرُّفُوفِ.

تمتَّع البابا بِسُلْطَانٍ وعِصْمَةٍ في تفسيرِهِ للكتابِ المقدّس في هذه الفترات.

عُقدَتْ الكثير من المجامع[٦٧] ولكن، قَرارات هذه المجامع في كثيرٍ مِنَ الأَحيانِ كَانَتْ مَسَايسةً.

من هذه النِّقاط نَرَى:

انفصال المسيحيّ العامّيّ عن الكتابِ المقدّس، مِمَّا أَدّى إلى انفصالهِ عَنِ العبادةِ وروحِ الحياةِ المسيحيّة.[٦٨] حتَّى بعد الإِصلاح، اجتمعت الكنيسة في مجمع ترِنت ١٥٤٥، ووَضَعَت قِيُودًا تُزيدُ من بُعْدِ المسيحيّ عن الكتابِ المقدّس كما يقول قرار المجمع: «لمّا كَانَ قَدْ ظَهَرَ منَ الاخْتِبَارِ، أَنَّهُ إِذَا سُمِحَ لِكُلِّ إِنْسَانٍ بِدُونِ تَمْيِيزٍ قِرَاءَة الْكِتَاب المُقَدّس المُترجَم إِلَى لُغَةِ الشَّعْبِ، فَإِنّ تَهوُّر الْبَشر النَّاجِمْ عَنْ قِرَاءتِه يُسبِّبُ شَرًّا أَكْثَر مِنَ الْخَيرِ. لِذَلِكَ وَجَبَ الحصُول عَلَى رُخْصَةٍ خَاصَّةٍ لِلسَّمَاحِ بِقِرَاءَةِ الْكِتَابِ المقدّس المُترجَم إِلَى لُغَةِ الشَّعْبِ.»[٦٩]

انتشار الخُرافات والعادات والشّعوذة والجهل كنتيجةٍ طبيعيّةٍ لبُعْدِ الكنيسة عن الكتابِ المقدّس.

---

(٦٧)مجامع غير مسكونيّة، خاصّة بالكنيسة الغربيّة.

(٦٨)فايز فارس، ٦٤.

(٦٩) فريد عوده وإبراهيم مطر، التُّراث الإِنجيليّ، (بيروت: مكتبة المِشعَل الإِنجيليّة، ١٩٥٥)، ٤٧، ٤٨.

تدهور المستوى اللّاهوتيّ للكهنةِ لبُعدِهم ومنعهم من تفسيرِ الكتاب.

انتشار تعاليم وممارسات بعيدة كُلّ البُعْدِ عَنِ المسيحيّةِ واكتَسَبَت حقَّ الشّرعيّة من سُلطانِ البابا والمجامع مِثْل «الشَّفاعة، صكوك الغفران، الصَّلاة لِذَخَائرِ القدّيسين وغيرها» لهذا عندما طُلِبَ من لوثر سَحْبَ كتابتهِ صَرَخَ وقال «يستحيل عَلَيَّ أَنْ انْسَحِبَ إِلَّا إِذَا ثَبَتَ مِنَ الْكِتَابِ المقدّس أَنّني على خَطَإٍ.. إِنّ ضميري مُقيّدٌ بِكَلِمَةِ الله، وَلَنْ أَكُونَ مُخلِصًا أَوْ خَالِصًا إِذَا عملت ضميري. ساعدني يا الله. آمين.»(٧٠)

يُؤمن المشيخيّون بأَنَّ الكتاب المقدّس هو كلمةُ الله الحقيقيّة المكتوبة، فهو وحيُ الله للبشرِ مِنْ خِلالِ الرُّوح الْقُدُس، أَي «إِعلان الله الخاصّ» -مع المسيح كلمة الله الحيّة إِعلان الله الخاصّ والكامل والكافي- فهو يكشف لنا مَنْ هُوَ الله، ويُعطينا معرفةً وإِدراكًا لا نستطيع الحصول عليهما بأَيٍّ وسيلةٍ.(٧١)

ينادي المشيخيّون بالمبدأ الإِصلاحيّ: «الْكِتَاب الْمُقَدّس وحده»، كالأَساسِ الوحيد للإِيمانِ والْأَعْمَالِ -كثَمَرٍ للإِيمانِ- أَي «بِسِيَادَةِ « الكتاب المقدّس عَلَى كُلِّ تقليدٍ وفكرٍ وتاريخ. كما يُشير دارين كِينَدي إِلى أَنَّ هُنَاكَ خَطَأٌ فِي التّفسيرِ الشَّائع لهذا المبدأ الَّذي يتجاهَل «التّقليد

(٧٠) المرجع السَّابق، ٤٨.

(٧١) دونالد كي مكيم، ٢٦.

الصَّحيح: الَّذي هُوَ تَصفيةُ التّقليد في ضُوءِ الكتاب المقدّس.»[٧٢] الَّذي هو عبارة عَنْ عَمَلِ الرُّوح الْقُدُس في التّاريخ لأَكثر مِنْ أَلْفَيّ عَام.[٧٣] لَقَدْ أَصرّ الإِنجيليّون على مَركزيّةِ الكتاب المقدّس في وجْهِ سُلطةٍ كَنَسيّة كانت تقول غير ما يقولهُ الكتاب، وأَخْضَعُوا كُلَّ فِكْرٍ وعِبَادَةٍ وَمُمارَسَةٍ لَهُ. كان تركيزهم هو إِعادةُ الكنيسة إِلى الكتابِ المقدّس، أَي أَن تقول الكنيسة ما يقولهُ الكتابُ، وَأَنْ تُعلِّمَ الكنيسة ما يُعلِّمهُ الكتابُ، وأَنْ تُصْغِي الكنيسة لا لِصَوْتِهَا بَلْ للصَّوْتِ الَّذي تسمعهُ مِنْ خلالِ الكتاب، ذاك الصَّوْت الَّذي هو صوتُ كَلِمَة الله الحيّة «المسيح».[٧٤]

فالكتابُ المقدّس هو طريقُ الخلاص، لِأَنّه يحتوي على البشارةِ السَّارّة، وهو أَيْضًا صاحب السُّلطان لِأَنّهُ يدلُّ عَلَى مَنْ لَهُ السُّلطان -الإِله الحيّ- رَبّنا يسوع المسيح. لهذا نرى اهتمام الإِنجيليّون بترجمةِ ونشرِ الكتاب المقدّس، وَتَأْسيس جَمْعِيَّات الكتاب المقدّس في كُلِّ مكانٍ، بل إِنّهم يقومون بِمَحْو الْأُمِّيَّة حَتَّى يَتَمَكَّنَ كُلُّ إِنسانٍ مِنْ قِرَاءَتِه.[٧٥]

يُميِّز الإِنجيليّون بين:

كلمةُ الله الحيّة، أَي شَخْصُ الرَّبّ يسوع المسيح «فِي الْبَدْءِ كَانَ

(٧٢) هذا التّعريف مَبْنِيٌّ عَلَى مَلْحُوظَةٍ قَالَها لِي الْقَسّ عيد صلاح.

(٧٣) دارين كيندي، ١٠.

(٧٤) چورچ صبرا، في سبيل الحوار المسكونيّ: مقالات لاهوتيّة إِنجيليّة، ٢٥.

(٧٥) المرجع السَّابق، ٤٩.

الْكَلِمَةُ، وَالْكَلِمَةُ كَانَ عِنْدَ اللَّه، وَكَانَ الْكَلِمَةُ اللَّهَ. هَذَا كَانَ فِي الْبَدْءِ عِنْدَ اللَّه. كُلُّ شَيْءٍ بِهِ كَانَ، وَبِغَيْرِهِ لَمْ يَكُنْ شَيْءٌ مِمَّا كَانَ. فِيهِ كَانَتِ الْحَيَاةُ، وَالْحَيَاةُ كَانَتْ نُورَ النَّاسِ» (يُو١: ١- ٣)، «وَالْكَلِمَةُ صَارَ جَسَدًا وَحَلَّ بَيْنَنَا، وَرَأَيْنَا مَجْدَهُ، مَجْدًا كَمَا لِوَحِيدٍ مِنَ الآبِ، مَمْلُوءًا نِعْمَةً وَحَقًّا.» (يُو١: ١٤). «إِذًا، هذا الاستخدام ليس شائعًا، لَكِنَّه يُبيِّن أَنّ ابْنَ اللهِ بشكلٍ خاصٍّ بَيْنَ أَقانيم الثَّالوث، هو الَّذي يقوم في شخصهِ أَوْ في كلماتهِ بِتَوصِيلِ شَخْصِية الله لنا، وبالتَّعبيرِ عَنْ إِرادتِهِ مِنْ نحونا.»[٧٦]

كلمةُ الله المكتوبة أَيّ الكتاب المقدّس، الَّتي نراها من خلال أَرْبع خصائص أَوْ جوانب للكلمةِ:

سلطان كلمة الله: يُعَرِّفُ الإِنجيليّون هذا المصطلح بأَنَّهُ يعني أَنّ كُلّ كلمات الكتاب المقدّس هي كلمات الله الَّتي أَعلنها لنا. فالكتابُ المقدّس هو صاحبُ السُّلطانِ عَلَى المؤمنِ الحقيقيّ بكونه فردًا، وعلى جماعةِ المؤمنين ككنيسة، فهو أَعلى وأَعظم مِنْ أَيٍّ تقليدٍ أَوْ شخصٍ أَوْ ممارسةٍ، فهو الحَكَمُ والمرجِعُ والمعيَارُ الأَساسيّ عند الاختلاف. ببساطةٍ إِنَّ مكانةَ الْكِتَاب المقدّس لدى الإِنجيليّين فَوْق الْكُلّ «كُلُّ الْكِتَابِ هُوَ مُوحًى بِهِ مِنَ اللهِ، وَنَافِعٌ لِلتَّعْلِيمِ وَالتَّوْبِيخِ، لِلتَّقْوِيمِ وَالتَّأْدِيبِ الَّذِي

(٧٦) واين جرودم، المُحَرّر رياض قسيس، بماذا يُفكِّر الإِنجيليّون في أَساسيّات الإِيمان المسيحيّ: رُؤيَةٌ معاصرة في ضوءِ كلمةِ اللهِ، (القاهرة: برنامج التَّعليم اللَّاهوتيّ بالامتدادِ ومطبوعات إِيجلز، ٢٠٠٢)، ٣٥.

فِي الْبِرِّ، لِكَيْ يَكُونَ إِنْسَانُ الله كَاملًا، مُتَأَهِّبًا لِكُلِّ عَمَلٍ صَالِحٍ.» (٢تي٣: ١٦، ١٧)، «لأَنَّهُ لَمْ تَأْتِ نُبُوَّةٌ قَطُّ بِمَشِيئَةِ إِنْسَانٍ، بَلْ تَكَلَّمَ أُنَاسُ اللَّهِ الْقِدِّيسُونَ مَسُوقِينَ مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ.» (٢بُطْ١: ٢١).

نؤمنُ كمشيخيّين بسُلطانِ كلمة الله على حياتِنَا وكُلِّ ما لنا. فإذا كانت كلمة «إعلان» تُشير إلى مُبادرةِ الله بإعلانِ ذاته منْ خلال الكتاب المقدّس، وكلمة «وحي» تُبْرِزُ وَتدلُّ عَلَى كَيْفَ فَعَلَ اللهُ ذَلِكَ، فإنَّ كلمة «سُلطة» تُشيرُ إلى النَّتيجةِ. فالكتابُ هُوَ إعلانُ الله بواسطةِ وحي الرّوح الْقُدُس لِذَلِكَ لَهُ سُلطانٌ علينا.[٧٧]

وضوح كلمة الله: يرى الإنجيليّون أَنَّ جوهر كلمة الله واضحٌ لِكُلِّ مَنْ يطلبهُ. بالطَّبع هناك أَجزاءٌ صَعْبَةٌ وَعَسِرةُ الفهمِ وتحتاج إلى الاستعانةِ بِوسَائلِ مُسَاعِدَةٍ مِثْلَ التَّفْسيرِ، لكن رِسالة الكتاب المقدّس وَمُعظم أَجْزَائِهِ واضحةٌ تمامًا. حتَّى الأَجزاء عَسِرة الفهم نَراها واضحةً فِي أَجْزَاءٍ أُخْرَى، أي أَنّ الكتابَ المقدّس يُفسِّر نَفْسَهُ. لهذا يستطيع كُلُّ إنسانٍ أَنْ يَتَمتَّعَ بالشَّركةِ ومعرفةِ الله من خلال كتابهِ ويعلن عَنْهُ كما أَمر اللهُ (تَثْ٦: ٦، ٧). والكتابُ المقدّس هو فَرِيدٌ، لأَنَّهُ يستطيع أيّ إنسانٍ أَن يتمتَّعَ بِهِ، كما يؤكِّد الكتاب المقدّس ذاته (مَزْ١١٩: ١٣٠؛ مَزْ١٩: ٧؛ يُو٥: ٣٩). والرُّوح الْقُدُس (يُو١٤: ٢٦؛ ١كُو٢: ١٣).

(٧٧) چون ستوت، ترجمة وجدي وهبة، الإنجيليّون والحقيقة: رؤيةٌ معاصرة للعقيدةِ، (القاهرة: دار الثَّقافة، ٢٠٠٨)، ٦٩.

ضرورة كلمة الله: نحن نؤمن أَنّ «الْكِتَابَ المقدّس ضروريٌّ لمعرفةِ البشارة السَّارّة، وللحفاظِ على الحياةِ الرُّوحيَّة الصَّحيحة، ولمعرفةِ مشيئة الله.»[٧٨] (رُو١٠: ١٣، ١٤، ١٧؛ مَتّ٤: ٤). فكلمةُ الله تَصْبِغُنَا بصفاتهَا وَتجعلها سمات لنا، فهي كاملةٌ ترُدُ النَّفْسَ، صَادقَةٌ تُصيِّرُ الجاهل حَكيماً، مُسْتَقِيمَةٌ تُفَرِّحُ الْقَلْبَ، طَاهِرَةٌ تُنِيرُ الْعَينَيْنِ، ثَابِتَةٌ إِلَى الْأَبَدِ، عَادِلَةٌ فِي كُلِّ أَحْكَامِهَا، مُشْبِعَةٌ لِكُلِّ جَوانب الْإِنْسَانِ، تَحْفَظُ الْإِنسان (مَزْ١٩: ٧- ١١)، فَهِيَ تَبْنِينَا (أَع٢٠: ٣٢)، تَغْسِلُنَا وَتُنْعِشُنَا (تَثْ٣٢: ٢)، وَتُنَقّينا (يُو١٥: ٣)، تُرْشِدُنَا للنَّجَاحِ (يَش١: ٧)، تُنَمّينا فِي مَعْرِفَةِ الله (١يُو٢: ١٤)، نُصَلِّي بِهَا (مَزْ١١٩: ٥٨)، نَغْلِبُ بِهَا إِبْلِيس (مَتّى٤: ١٠)، وَسِرَاجٌ فِي وَسَطِ الظُّلْمَةِ (مَزْ١١٩: ٦٥).

كفاية كلمة الله: أَي أَنَّ الكتابَ المقدّس يحتوي على «كُلِّ كلمات الله الَّتي أَراد لِشَعْبِهِ أَن ينالها، فهو يحتوي على كُلِّ كَلِمَاتِ الله لِكُلِّ مَراحلِ الفداء، كما يحتوي الْآنَ عَلَى كُلِّ كلماتِ الله اللَّازمة للخلاصِ وللثِّقَةِ وللطَّاعةِ الكاملة.»[٧٩] هُنَا يجب أَنْ نُدْرِكَ أَنَّ الكتابَ المقدّس كافٍ للحياةِ المسيحيّة، وهو في ذاتِ الوَقْتِ ليس كتابٌ عِلْمِيّ أَوْ تاريخيّ ... إِلخ. فهو كافٍ لرِسالتهِ وهدفه، وهو إِعلانُ الله، وَخلاص البشر وإرشادهم للطَّريقِ والحقِّ والحياة، أَي المسيح، «أَمَّا هَذِهِ فَقَدْ كُتِبَتْ لِتُؤْمِنُوا أَنَّ يَسُوعَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ وَلِكَيْ تَكُونَ لَكُمْ إِذَا آمَنْتُمْ حَيَاةٌ بِاسْمِهِ.»

(٧٨) المرجع السَّابق، ٩٧.

(٧٩) المرجع السَّابق، ١٠٧.

(يُو٢٠: ٣١)، «وَأَنَّكَ مُنْذُ الطُّفُولِيَّةِ تَعْرِفُ الْكُتُبَ الْمُقَدَّسَةَ، الْقَادِرَةَ أَنْ تُحَكِّمَكَ لِلْخَلاَصِ، بِالإِيمَانِ الَّذِي فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ.» (٢تي٣: ١٥).

فالكتابُ المقدّس هو الدّستورُ والأَساسُ الجوهريّ للتّفكيرِ الإنجيليّ. فالإنجيليّون يؤمنون أَنّهُ يحتوي على كلمةِ الله المكتوبة، وفي ذاتِ الْوَقْتِ «لَا يُجِيبُ عَلَى جميعِ أَسْئِلَتِنَا. فإِنّنا سنحتاج أَنْ نَعْرِفَ لَيْسَ فَقَطْ مَا نُؤمِنُ بِهِ عن اللهِ ولكن أَيْضًا كَيْفَ يُريدنا اللهُ أَنْ نَعِيشَ. نحتاج أَنْ نَعْرِفَ ما هي القِيَمُ الَّتي نتبنّاها في الحياةِ، أَوْ ماذا يجب أَنْ يكونَ أَساس قَرارتنا. وَهذا يعني أَنَّهُ ستكون هُنَاكَ حَاجةٌ دَائِمَةٌ لِتَفْسِيرِ الكتاب المقدّس.»[٨٠] والمشيخيّون يؤمنون أنّه ليس لهم مُفسّر سُوى الرّوح الْقُدُس،[٨١] الَّذي بحسبِ إِلهامِهِ للبشريَّةِ أَوجَدَ الكثيرَ مِنَ الأَدواتِ والوسائلِ لتفسيرِ الكلمة، خُصوصًا إِلهامه للمُفسِّرين الَّذين نَسْتَعِين بِهِمْ فِي فَهْمِ الكلمة.

يتلخَّصِ إِيمان المشيخيّون في إِقرارات الإِيمان، وقد رأى الباحثُ تقديم مُقْتَطَفات مِنْهَا:

الأَسْفَارُ القانونيّة: نُؤمنُ وَنَعْتَرِفُ بِأَنّ الْأَسْفَارَ القانونيّة للأَنبياءِ والرُّسل القدّيسين في عهدَيْهما (القديم والجديد) هِيَ كَلِمَةُ الله الحقّ، وأَنَّ سُلطتها كَافِيَةٌ مِنْ ذَاتِهَا لَا مِنَ البشرِ. فإِنّ الله ذاتهُ كَلّمَ الْآباءَ والأَنبياءَ

(٨٠) دونالد كي مكيم، ٢٧، ٢٨.

(٨١) فريد عوده وإِبراهيم مطر، ٤٩.

والرُّسُلَ وَمَازال يُكلِّمنا بواسطةِ الأَسْفَارِ المقدّسة. وتجد كنيسة المسيح الجامعة فِي هذه الأَسْفَارِ المقدّسة الشَّرحَ الأَوفى لِكُلِّ مَا يتعلَّق بالإِيمانِ المُخَلِّص وَبالحياةِ المَرْضِيّة لله. وفِي هذا المجال قد أَوصى الله بأَلَّا يُضافُ إِلَيهَا وَلَا يُحْذَفُ مِنْهَا شَيْءٌ أَبدًا.

الأَسْفَارُ تُعَلِّمُ كُلَّ تَقْوى: لذلك فإِنّنا نعتقد بأَنَّ الحكمةَ والتّقوى الحقيقيتَيْن وإِصلاح الكنائس وإِدارتها يجب أَن تُستَمدَّ مِنْ هذه الأَسْفَارِ. وكذلك كُلّ واجبات التّقوى، وما يتعلّق بِتَثْبِيتِ العقائد ودَحْض الأَخطاء. ونعتقدُ أَيضًا بِكُلِّ تَوبِيخٍ نافعٍ بحسب ما قالهُ الرّسُول: «كُلُّ الْكِتَابِ هُوَ مُوحّى بِهِ مِنَ الله وَنَافِعٌ لِلتَّعْلِيم وَالتَّوبِيخ...» (٢ تِيمُوثَاوُس٣: ١٦، ١٧). وَأَيْضًا: «هَذَا أَكْتُبُهُ إِلَيْكَ» يقول الرَّسولُ لِتِيمُوثَاوُس «لِكَيْ تَعْلَمَ كَيْفَ يَجِبُ أَنْ تَتَصَرَّفَ فِي بَيْتِ الله.» (١تِيمُوثَاوُس٣: ١٤، ١٥). الأَسْفَارُ هِيَ كَلِمَةُ الله، ويقول أَيْضًا الرّسولُ نَفْسه إِلى أَهْلِ تَسَالُونيكي: «لأَنَّكُمْ إِذْ تَسَلَّمْتُمْ مِنَّا كَلِمَةَ خَبَرٍ مِنَ الله قَبِلْتُمُوهَا لَا كَكَلِمَةِ أُنَاسٍ بَلْ كَمَا هِيَ بِالْحَقِيقَةِ كَكَلِمَةِ الله.» (١تَسَالُونيكي٢: ١٣). فالرَّبُّ نَفْسُهُ قَالَ فِي الإِنْجِيلِ «لأَنَّ لَسْتُمْ أَنْتُمُ الْمُتَكَلِّمِينَ بَلْ رُوحُ أَبِيكُمْ الَّذِي يَتَكَلَّمُ فِيكُمْ»، لِذَلِكَ «الَّذِي يَسْمَعُ مِنْكُمْ يَسْمَعُ مِنِّي. وَالَّذِي يُرْذِلُكُمْ يَرْذِلُنِي، وَالَّذِي يَرْذِلُنِي يَرْذِلُ الَّذِي أَرْسَلَنِي» (مَتّى١٠: ٢٠؛ لُوقَا١٠: ١٦؛ يُوحَنَّا١٣: ٢٠).[٨٢]

(٨٢) چورچ صبرا، نُؤمِنُ وَنَعْتَرِفُ، ١٢٣، ١٢٤.

الأَساسُ الثَّالث: «الخلاصُ بِالنِّعْمَةِ وحدها» بِواسِطَةِ الإِيمَان:

الكنيسة الَّتي أُحِبُّهَا
تِلْكَ الَّتي تُكَلِّمُني:
عن اللهِ أَكثر مِنْهَا عَنِ الشّيطانِ،
وَعَـنِ السَّمَاءِ أَكثر مِنْهَا عَـنِ الجحيمِ،
وَعَـنِ الجَمَالِ أَكـثر مِنْهَا عَـنِ الخطيئة،
وَعَـنِ الْحُـرِّيَّة أَكـثر مِنْهَا عَـنِ الطَّاعَـةِ،
وَعَـنِ الرَّجَاءِ أَكـثر مِنْهَا عَـنِ السُّلطة،
وَعَنِ الحيَاةِ الأَبَدِيَّة أَكثر مِنها عَنِ الْمَوْتِ،
وَعَـنِ المحبّةِ أَكـثر مِنْهَا عَـنِ الْكَرَاهية،
وَعَـنِ المسيح أَكـثر مِنْهَا عَـنْ ذَاتِهَا،
وَعَـنِ العالَم أَكـثر مِنْهَا عَـنِ الْمَلَائِكَة،
وَعَـنْ جُوعِ الْفُقَرَاءِ أَكـثر مِنْهَا عَـنِ الْمُسَاهَمةِ مَعَ الأَغْـنِيَاءِ،
وَعَـنِ الْخَـيرِ أَكـثر مِنْهَا عَـنِ الشَّرِّ،
وَعَمَّا هُوَ حَـلَالٌ أَكـثر مِنْهَا عَمَّا هُوَ حَـرَامٌ،

وَعَمَّا هُوَ لَا يَزَالُ قَابِلًا لِلْبَحْثِ وَالتَّنْقِيبِ أَكثر مِنْهَا عَمَّا هُوَ فِي حَيِّزِ الْعِلْم،
وَعَنِ الْيَوْم أَكثر مِنْهَا عَنِ الْأَمْس،
وَعَنِ الْعَدْلِ أَكثر مِنْهَا عَنِ الظُّلْم.(٨٣)

خوان ارياس، لا أُومنُ بِهَذَا الإِله

يُؤكِّد الكتابُ المقدّس أَنّ رجاءَ الإِنسان الوحيد هو النِّعمةُ والتّبريرُ بالإِيمانِ وحده وليس بالأَعمالِ (رُو٤: ٥؛ ٤: ٩، ١٨، ١٩؛ ١٠: ٣؛ ١١: ٦؛ غَلَا٢: ١٦؛ ٣: ٩؛ فِي٣: ٩). وهذا ما اكتشفهُ لوثر بعد أَن جَرَّبَ كُلَّ الطُّرقِ والأَعمال وَكُلَّ درجاتِ الذُّل للتَّقرُّبِ إِلى اللهِ، وفشل في ذلك، إِلَّا أَنّ الله فتح عينيه ليُدْرِكَ هذه العطيّة العظيمة «أَمَّا الْبَارُّ فَبِالإِيمَانِ يَحْيَا». (رُو١: ١٧).

وكما تقول رِسالةُ الإِنجيل لنا: إِنّه لا حياة ولا شفاء ولا خلاص ولا انتشال من وضعِنَا البائس إِلَّا بقبولٍ واثقٍ بما صنعهُ الله من أَجْلِنا في يسوع المسيح أَي المصالحة. النِّعمةُ هي نعمةُ يسوع المسيح، فيسوع المسيح هو النِّعمةُ ذاتها لأَنّهُ هو محبّةُ الله لنا، ومحبّةُ الله أَيْضًا لغير المستحقّ.(٨٤)

(٨٣) خوان ارياس، ٨٤- ٩٢.

(٨٤) چورچ صبرا، في سبيل الحوار المسكونيّ: مقالات لاهوتيّة إِنجيليّة، ٧٨.

النّعمةُ ليست شيئًا يُعْطِينا إِيَّاهُ الله، إنّما هي كيفيّةُ إعطائنا الله لذاتهِ في المسيح يسوع الَّذي من خلالهِ عَبَرَ الفجوة الَّتي كانت تَفْصِلُنَا عن اللهِ وجعل نفسَهُ جِسْرًا لكي يصلَ اللهُ للإِنسانِ ويصل الإِنسانُ إِلى اللهِ. النِّعمة هي عَلاقةُ الله الشَّخصيَّة بنا، ولكنّها علاقة لا تقوم على الجدارةِ والاستحقاقِ من جهتِنَا. لِأَنَّنَا أَمواتٌ بالذُّنوبِ والخطايا، ولا نستطيع أَن نُقدِّم شيئًا لفداءِ نفوسنا لِأَنَّنَا ببساطة لا نمتلك أَيَّ شيءٍ. وفي المسيح يسوع يُجدِّد اللهُ عهدَهُ وعَلاقَتَهُ مع البشر، الَّتي كُسِرَتْ بسبب خطيّة الإِنسان. ليس لأَنّنا مُستحقّون قُرْبَهُ أَو نَتقدّم إِلى الله بأَعمالٍ تُقرّبنا إِليهِ، أَو لأَنّه يحتاجنا، ولكن فقطْ لأَنّ الله مُحبٌّ ولأَنَّهُ أَمينٌ في عهدِهِ عندما قرّر أَن يَدْخُلَ في عَلاقةٍ مع الإِنسانِ. والمحبّةُ لا تقدر إِلَّا أَن تفيضَ وتُعطِي بحسب غناها. فالنِّعمةُ إِذًا هي عهدُ ومحبّةُ ورحمةُ الله. ومن خلال الإِيمان ينتقل الإِنسان من الموتِ إِلى الحياةِ، من الظُّلمةِ إِلى النُّورِ، من اتّجاهِ الرّفضِ إِلى كونهِ مَقْبُولًا، من العبوديّةِ إِلى البَنَوِيّةِ.(٨٥)

عندما يُنبِّر الإِنجيليّون أَنّ الخلاصَ بالنِّعمةِ بواسطةِ الإِيمان وحده، هذا يُؤكِّد مُبادرة الله ومحبّتهُ نحو الإِنسانِ. فقد نَظَرَ اللهُ إِلى حالتِنَا الميّتة، وَتَصَرَّفَ نيابةً عنَّا. لقد جاء الله إِلينا ومن أَجلنا في شخص يسوع المسيح، لكي يصنع بنا ما لم يكن في مقدورنا أَن نصنعه لأَنفسِنَا على الإِطلاق.(٨٦) يؤمن المشيخيّون أَنَّ المسيح هو السَّبيلُ الوحيد للحصولِ

(٨٥) المرجع السَّابق، ٧٨.

(٨٦) دونالد كي مكيم، ٨٥.

على الخلاصِ من خلالِ «النِّعمة الَّتي لا تُقاوَم»[٨٧] الممنوحة مجّانًا، من خلال تجسُّدِ وصَلْبِ وَقيَامَةِ المسيح ابن الله الوحيد، «فالتّبرير مجّانيٌّ... الخلاص مجّانيٌّ... ليس لِأَنَّهُ بلا قيمة، بل لِأَنَّ قيمتَهُ أَغلى من أَنْ يدفعها الإِنسان... فدَفَعَهَا المسيحُ بحياتِهِ إِذْ قَدّم ذاتَهُ فِديةً على الصَّليبِ.»[٨٨]

وما مكانة الأَعمال إِذًا؟ عندما يقول الإِصلاح الإِنجيليّ «بواسطة الإِيمان وحده» هل يُقْصي الأَعمال عنِ الحياةِ المسيحيّة؟ الفكرُ الإِنجيليّ المبنيّ على الكتابِ المقدّس يقول إِنّ أَعمال الإِنسان لا تُبرِّرهُ أَمام اللهِ لأَنَّ البرّ الَّذي يستطيع أَن يقف أَمام الله يجب أَن يكونَ كاملًا، أَي إِطاعة تامّة للشَّريعةِ الإِلهيّة وللوصايا. وهذا غير ممكنٍ للإِنسان السَّاقط والمُبتعد عَنِ الله. وحده المسيح أَتمَّ الشّريعةَ، ووحده قدَّم ذبيحةً كاملةً، أَمّا نحن فأَفضل أَعمالنا وأَسْمَاها تَبقى نَاقصَة ومُلوَّثة أَمام الله القدُّوس. هذا بالإِضافة إِلى أَنَّهُ إِذا كانت الأَعمالُ تُبرِّر فهذا يعني أَنّ الإِنسانَ قادرٌ أَنْ يُخلِّصَ ذاتَهُ، وما الدّاعي إِذًا لعملِ الله وصليبه. إِذًا الأَعمال لا تُبرِّر وليست شرطًا للتَّبريرِ أَو مُسبِّبًا لَهُ «فَإِنْ كَانَ بِالنِّعْمَةِ فَلَيْسَ بَعْدُ بِالأَعْمَالِ وَإِلاَّ فَلَيْسَتِ النِّعْمَةُ بَعْدُ نِعْمَةً. وَإِنْ كَانَ بِالأَعْمَالِ فَلَيْسَ بَعْدُ نِعْمَةً وَإِلاَّ فَالْعَمَلُ لاَ يَكُونُ بَعْدُ عَمَلًا.» (رُو١١: ٦).[٨٩]

لكن الإِصلاح الإِنجيليّ يُؤكِّد أَنَّها ضروريّةٌ، وضرورتها تنبع من

(٨٧) إدوين بامر، ١١١.

(٨٨) فايز فارس، ٥٢.

(٨٩) چورچ صبرا، في سبيل الحوار المسكونيّ: مقالات لاهوتيّة إِنجيليّة، ٧٨.

كونهَا نتيجة الإيمان وثمرتهُ وليست شرطًا للتّبرير. الإنجيليّون يقولون إنَّ الأَعمال الصَّالحة هي ثمرةُ التّبرير الحتميّة لِأَنَّهُ من المستحيلِ أَلَّا يُثمِر الامْتِنَانُ والشُّكر في أُولئك الَّذين آمنوا (أَي الَّذين اتّحدوا بالمسيح بواسطةِ الإِيمان).(٩٠)

*يقودنا الخلاص بالنِّعمةِ بواسطةِ الإِيمان وحده إِلى عَقِيدَتَيْنِ مَرْكَزِيَّتَيْنِ فِي الكنيسة المشيخيّة:

العقيدة الأُولَى هي الخلاصُ

كُمل الكنيسة المشيخيّة إِرْساليّة العهد الجديد -إرساليّة الخلاص- فهي تُعلِن خلاص المسيح في كُلِّ خدماتِهَا وعبادتِهَا «إِنّ الفكرَ الإِنجيليّ يُؤكِّد أَنّ الخلاصَ هو بنعمةِ الله وحدها.»(٩١) كما سَبَقَ، فهي تُعْلَمُ تمامًا أَنَّ الله أَوجدها لتكونَ نُورًا وخلاصًا لِكُلِّ الشُّعُوبِ. هُنَا تَنْظُرُ إِلى كُلِّ البشريَّةِ بكونهم أَبناءَ الله من خلال الخَلْق، لهذا فهي تُعلِن الخلاص بِكُلِّ قُوَّةٍ.»

لذا فإِنّ الكنيسة تشارك رسالتها للكُلِّ: مسيحيّين وغير مسيحيّين، فعلى مدار أَكثر من خمسمائة عام، رَبِحَتْ مئات من المناطق والجماعات للمسيح. ولكي نرى الصُّورةَ بأَكثرِ وضوحٍ، نَوَدُّ أَن نُركِّز هُنَا على إِيمانِ

(٩٠) المرجع السَّابق، ٧٩.

(٩١) فايز فارس، ٥١

الكنيسة بعقيدةِ الخلاص من خلال ثلاثة أَوجه:

الوجهُ الأَوَّل هو التّبريرُ: وهو استقبالُ خلاص المسيح الممنوح لنا من خلال النِّعمة، أَي أَنّ الله يَنْظُرُ إِلينا من خلال موت وقيامة المسيح وكأَنّنا لَمْ نُخطِ، بفضل ذبيحة المسيح الكفّاريّة الَّتي تُغطِّي وتُكفِّر عن كُلِّ ضَعفٍ.

هُناك أَربع نقاط تتعلّق بوجهةِ النّظر المشيخيّة عن التّبريرِ:

التَّبْرِيرُ هُوَ بالنِّعْمَة فَقَطْ.

إِنَّ التَّبْرِيرَ مَبْنِيٌّ عَلَى يَسُوع المسيح وحده.

إِنَّ التَّبْرِيرَ يَتَأَلّفُ مِنْ تَبْرِيرٍ مَحْسوبٍ (برّ المسيح المنسوب لنا).

إِنَّ المفهوم المُصلَح عَنِ التّبريرِ يعني أَنَّ المسيحيّ يَظلُّ خاطئًا بقليلٍ أَو كثيرٍ طيلة حياتِهِ وأَنَّ الخطيَّةَ لَابُدَّ أَنْ تُحَارَبَ بِصَبْرٍ.[٩٢]

الوجهُ الثَّاني هو التَّقْدِيسُ: بكونِنَا تَبرَّرنا، هذا لا يعني أَنّ الأمر قد انتهى، فالخلاص يبدأُ بالتّبريرِ ويستمرُّ بالتَّقديسِ إِلى أَن نكون في السَّماءِ ونُمجِّد المسيح. فالتّقديسُ هو الاتّحادُ مع المسيح في شركةِ محبّتهِ وفرحهِ وآلامهِ أَيْضًا، إِنّهُ سيادةُ وقيادةُ الرُّوح الْقُدُس الَّذي يجعلُني أَنمو إِلى قياسِ قَامَةِ ملءِ المسيح. إِنَّهُ الحياةُ السَّماويّة الَّتي بَدَأَت على الأَرضِ. هُنَا لابُدّ من الوقوفِ للحظةٍ، لِأَنَّ هُناك أَصواتٌ كثيرةٌ اتّهَمَت الكنيسة المشيخيّة

(٩٢) دارين كنيدي، ٣٥- ٣٦.

بأَنَّ غايةَ تعاليمها عن الخلاص هو أَنّهُ يَبدأُ وينتهي في لحظةٍ! وهذا اتّهامٌ غير صحيحٍ، فالكنيسة تُعطي أَهمِّيَّةً لكُلٍ مِنَ التّبريرِ والتّقديسِ، فهي ترى أَنَّ الإِيمان الدَّاخليّ لابُدّ أَن يُعبَّر عَنْهُ في الحياةِ الخارجيّة. فالخلاصُ يبدأُ بلحظة لكنَّهُ يستمرُّ طُول العُمْرِ، ومن هُنَا كان اهتمام الكنيسة المشيخيّة بالأَخلاقِ على أَساسٍ كتابيّ.

الوجهُ الثَّالث هو التّمجيدُ: وهذا سوف يكون في السَّماءِ.

العقيدةُ الثَّانية هي الاختيارُ:

فَنَحْنُ «نُؤمِنُ وَنَعْتَرِفُ»: «في الاختيار الإِلهيّ السَّابق واختيار القدّيسين»:[٩٣]

- اختارنا اللهُ في النِّعمةِ: لقد اختار اللهُ مُنْذُ الأَزل بِحُرِّيَّتِهِ وبنعمتهِ الخالصة ودُوْنَ مُحاباةٍ القدّيسين الَّذين يشاء أَن يُخلِّصهم في المسيح بحسب قول الرَّسول بُولُس: «اخْتَارَنَا فِيهِ قَبْلَ تَأْسِيسِ الْعَالَمِ» (أَفَسُس١:٤). وأَيْضًا «الَّذِي خَلَّصَنَا وَدَعَانَا دَعْوَةً مُقَدَّسَةً لاَ بِمُقْتَضَى أَعْمَالِنَا بَلْ بِمُقْتَضَى الْقَصْدِ وَالنِّعْمَةِ الَّتِي أُعْطِيَتْ لَنَا فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ قَبْلَ الأَزْمِنَةِ الأَزَلِيَّةِ، وَإِنَّمَا أُظْهِرَتْ الآنَ بِظُهُورِ مُخَلِّصِنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ.» (٢تيِمُوثَاوُس١:٩، ١٠).

(٩٣)چورچ صبرا، نؤمن ونعترف، ١٤٠.

- نَحْنُ مُخْتَارُونَ فِي المسيح: لهذا فبدون استحقاق منَّا اختارنا اللهُ ليس مباشرةً بل فِي المسيحِ وبسببِ المسيح، لكي يختار أَيضًا الَّذين هُمْ الآن مُطعّمون فِي المسيحِ بالإِيمان. ولكن الَّذين كانوا خارج المسيح قد رُفِضُوا بحسب كلمة الرّسول: «جَرِّبُوا أَنْفُسَكُمْ هَلْ أَنْتُمْ فِي الْإِيمَانِ. امْتَحِنُوا أَنْفُسَكُمْ. أَمْ لَسْتُمْ تَعْرِفُونَ أَنْفُسَكُمْ أَنَّ يَسُوعَ الْمَسِيحَ هُوَ فِيكُمْ إِنْ لَمْ تَكُونُوا مَرْفُوضِينَ». (٢كُورِنْثُوس٥:١٣).

- نَحْنُ مُخْتَارُون لِغَرَضٍ مُعَيَّن: أَخيرًا، إِنَّ القدِّيسين مُخْتَارون من اللهِ بالمسيحِ لقصدٍ مُعيَّنٍ يُفسِّرهُ الرّسول نفسهُ حين يقول: «اخْتَارَنَا فِيهِ... لِنَكُونَ قِدِّيسِينَ وَبِلاَ لَوْم قُدَّامَهُ فِي الْمَحَبَّةِ. إِذْ سَبَقَ فَعَيَّنَنَا لِلتَّبَنِّي بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ لِنَفْسِهِ حَسَبَ مَسَرَّةِ مَشِيئَتِهِ لِمَدْحِ مَجْدِ نِعْمَتِهِ» (أَفَسُس١:٤-٦). ينبغي أَن يكون لنا رجاءٌ صالحٌ للجميع. ومع أَنَّ الله يَعْلَمُ خَاصّتَهُ هُنَا وهناك يُصار إِلى ذكرِ عدد المختارين القليل، إِلَّا أَنّه يجب أَن يكون لنا رجاءٌ حسنٌ للجميعِ وأَلَّا نَحْكُم على أَيِّ إِنسانٍ بتسرُّعٍ بأَنَّهُ من المرفوضين. لأَنَّ بُولُس يقول لأَهْلِ فِيلِبِّي: «أَشْكُرُ إِلَهِي... لأَجْلِ جَمِيعِكُمْ (وَهُوَ يُخَاطِبُ هُنَا كُلَّ كَنِيسَة فِيلِبِّي) لِسَبَبِ مُشَارَكَتِكُمْ فِي الإِنْجِيلِ... وَاثِقًا بِهَذَا عَيْنِهِ أَنَّ الَّذِي ابْتَدَأَ فِيكُمْ عَمَلًا صَالِحًا يُكَمِّلُ إِلَى يَوْمِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ. كَمَا يَحِقُّ لِي أَنْ أَفْتَكِرَ هَذَا مِنْ جِهَةِ جَمِيعِكُمْ.» (فِيلِبِّي١:٣- ٧).[٩٤]

تُؤمنُ الكنيسة المشيخيّة بالاختيارِ غير المشروط، فهي بكُلِّ شجاعةٍ لا

(٩٤) المرجع السَّابق، ١٤٠-١٤١.

تَتَجَاهَلُ نصوص الكتاب المقدّس الواضحة والصَّريحة أَو تُلْوِي ذِراعَ هذه النَّصوص. فالكتاب المقدّس، بِكُلِّ وضوحٍ وتأْكيدٍ، يُنبِّرُ بِقُوَّةٍ على عقيدةِ الاختيار غير المشروط (يُوحَنَّا٦: ٣٧- ٣٩؛ ١٥: ٦؛ رُومِيَة٨: ٢٩، ٣٠؛ ٩: ٦- ٢٦؛ أَفَسُس١: ٤- ٦).(٩٥)

أَمّا الاختيارُ الإِلهيُّ، فهو غيرُ مشروطٍ على الإِطْلَاقِ. وهذا الأَمرُ مَدْعَاةٌ للدّهشةِ. إِنّ الله لا يبني اختيارهُ على تفكيرِ الإِنسان، ولا على وعودِ الإِنسان، ولا حتّى على فعلِ الإِنسان. إِنَّنَا لا نعرف تمامًا أَساسَ اختيارِ الله، لكنّنا مُتَأَكِّدُون مِن أَنَّ الأَساسَ لَيْسَ بموجودٍ في الإِنسانِ. فلم يرَ الله شيئًا صالحًا محُدَّدًا في الإِنسانِ يمكن أَن يكونَ سببًا في الاختيارِ.

أَلَيْسَ هذا أَمْرًا رائعًا حقًّا؟! افْتَرِض أَنّ اختيارَ اللهِ مَبْنِيٌّ على شيءٍ نُفكِّرُ فيه، أَوْ نقولهُ، أَوْ نَعْمَلهُ، إِذًا، مَنْ مِنَّا سينال خلاصًا من خطاياه؟ مَنْ مِنَّا سينجو؟ مَنْ مِنَّا يقدر أَن يقفَ في محضرِ الله، ويدّعي أَنّهُ فَعَلَ الصَّلاح الحقيقيّ؟ إِنّنا كُلّنا أَمْوات بالذُّنُوبِ وَالْخَطَايَا (أَف٢). وَلَا أَحَد يَعْمَلُ صَلَاحًا (رُو٣). لو كان اختيارُ اللهِ مُعْتَمِدًا على شيءٍ صالحٍ يوجد فينا، فلا يمكن لأَحدٍ أَن يصيرَ من الْمُخْتَارِين. وبالتّالي لن تكونَ السَّماء المصير الأَبديّ لِأَيٍّ مِنَّا، بل كُلّنا سَنَقْضي الأَبديّةَ في الْجَحِيم. فليس فينا الصَّلاح الحقيقيّ. لذا، يجب أَنْ نَشْكُرَ الله على اختياره غير المشروط.(٩٦)

(٩٥) لمزيد من الدِّرَاسَةِ عن الاختيارِ الغير مشروط برجاءِ الرِّجوع إِلى: إِدوين بامر،٥٧- ٨٢.
(٩٦) المرجع السَّابق، ٥٩ .

الأساس الرّابع: مجد الله وحده

«نعترف ونُقرّ بأن كل الأشياء في السماء والأرض،
ما يرى وما لا يرى،
به خُلِقَت وتُحفَظ في وجودها،
وتُحكَم وتُوجَّه بعنايته الفائقة إلى غاية رسمَتْها حِكمته الأزليّة
وصلاحه وعدله
وإلى غرض إظهار مجده.»

اعتراف الإيمان الاسكتلندي[٩٧]

«إن الغرض الرئيسي للإنسان هو
أن يُمجّد الله ويتلذذ به للأبد.»

قاعدة تعليم ويستمنستر الأقصر.[٩٨]

إن الكتاب المقدس هو قصة تدور حول شخص واحد، ذاك المستحق كل المجد، وبالتعبير اللاهوتي «قصة مجده» أي قصة مجد الله. «لأَنَّ مِنْهُ وَبِهِ وَلَهُ كُلَّ الأَشْيَاءِ. لَهُ الْمَجْدُ إِلَى الأَبَدِ. آمِينَ.»(رو ١١: ٣٦).

(٩٧) دارين كنيدي، محاضرات في العقيدة المشيخية، المرجع السابق ، ٦.

(٩٨) المرجع السابق، ٦.

«فالهدف المطلَق للكون هو إظهار مجد الله. ذلك هو سبب كل الأشياء الموجودة بما فيها أنت. لقد صنَعَ الله كل شيء لمجده. وبدون مجد الله لما كان هناك أي شيء.»[٩٩] وهذه هي الترنيمة التي يتغني بها الأربعة والعشرون شيخًا وهم يسجدون ويطرحون أكاليلهم أمام عرش الله «أَنْتَ مُسْتَحِقٌّ أَيُّهَا الرَّبُّ أَنْ تَأْخُذَ الْمَجْدَ وَالْكَرَامَةَ وَالْقُدْرَةَ، لأَنَّكَ أَنْتَ خَلَقْتَ كُلَّ الأَشْيَاءِ، وَهِيَ بِإِرَادَتِكَ كَائِنَةٌ وَخُلِقَتْ». (رؤ ٤: ١١).

«مفاهيم أساسية للمجد»[١٠٠]:

المجد بالعبريّة «كابود» أي القيمة الحقيقة. وتشير كلمة المجد إلى «المركز». فكانت تُستخدَم لوصْف الملك أو السيد صاحب المكانة والسيادة والسلطان.[١٠١] ومجد الله بهذا المعني متعلق بسيادة ومُلك وسلطان الله على كل الوجود في كل التاريخ عبر الزمان والمكان: فالفكر الإنجيليّ الُمصْلَح يقوم على مبدأ سيادة الله. وسيادة الله مقصود بها سلطان الله المُعلَن على كلّ الخليقة ما يُرى فيها وما لا يُرى، وعلى كلّ الكون. إن الله هو سيّد وملك الأرض كلها. هو مَن يُدير كلّ شيء،

(٩٩)ريك وارين، الحياة المنطلقة نحو الهدف، ترجمة هناء عزيز (القاهرة: معهد تدريب القادة بالشرق الاوسط، ٢٠٠٤)، ٥٢.

(١٠٠) رالف د. ويتنر، استيفن س. هوثورن، أبعاد رسالة الإنجيل في العالم (مجموعة دراسات لاهوتية عملية) الجزء الأول- البُعد الكتابي، ترجمة رأفت بهيج (القاهرة: كلية اللاهوت الانجيلية، ٢٠٠٨)، ٥٣.

(١٠١) معجم اللاهوت الكتابي، نسخة إلكترونية، مجد.

ويُحرّك كلّ شيء، ويُوجّه كلّ شيء، في كل زمان ومكان. [١٠٢] وبرغم عمل إبليس وجنوده والخطية والشر والألم والفساد في الخليقة. لكن الكل يخضع لسيادة الله الكُليّة «ففي الفكر المُصْلَح الله هو حقًّا الله. ليس هناك، بالطبع، تقليل من قيمة الشر والفساد والشيطان. فهذه كلها واقع، لا يختلف عليها اثنان. لكن كلّها تخضع، وبشكل مُطلَق، لسيادة الله. فهو مَن تقف يداه وراء كلّ حدث، ولا يخرج أيّ فعل عن دائرة سلطانه، ويده العُليا في مملكة الناس.»[١٠٣]

لهذا تؤمن الكنيسة المشيخيّة بأن:كل التاريخ هو واضح أمام الله، فهو ليس أجزاء أو مراحل معيّنة مُتدرّجة، ولكنه وِحدة واحدة مخُطَّطة بحسب قدرته الفائقة التي لا يمكن إدراكها. فالتاريخ الإنسانيّ مُنظَّم وليس عشوائيًّا أو يسير بالصُدفة، إنما يسير في اتجاه مجد الله الخلاصيّ لفداء البشريّة وتحت سيادته وسلطانه. والله ليس إلهًا صامتًا أو مُنعزِلاً عن العالم، بل إن التاريخ هو المسرح الذي يعرض لنا قصة مجد الله في تعاملاته مع أولاده المختلفين في اللون، الجنس، العقيدة ...الخ. والله دائمًا يدعو أولاده ليكونوا مشارِكين معه في إعلان مجده عبر التاريخ الإنسانيّ.

(١٠٢) مقال للقس وجيه يوسف تم نشره كتمهيد لكتاب معجزة النعمة في: إدوين بامر، معجزة النعمة، ترجمة وتحرير وجيه يوسف (القاهرة: المؤلف، ٢٠٠٩)، ٢٦.

(١٠٣)إدوين بامر، ترجمة وتحرير وجيه يوسف، معجزة النعمة، (القاهرة: المؤلف، ٢٠٠٩) ، ٢٧.

مجد الله هو ما يمتلكه لأنه هو الله، فهو التعبير عن طبيعته وصلاحه وكل صفاته، فهو ذات الله وجوهر طبيعته، إنه طبيعته. إننا لا نستطيع أن نزيد شيئًا على مجده، كما يستحيل علينا بالضبط أن نجعل الشمس أكثر إشراقًا. لكننا مطالبون أن نعترف بمجده، ونعلن مجده، ونعكس مجده، ونعيش لمجده. لماذا؟ لأن الله يستحق ذلك إننا مديونون له بكل الإكرام الذي يمكننا أن نقدّمه. إن الله يستحق كل المجد لأنه هو الذي له كل الأشياء «أَنْتَ مُسْتَحِقٌّ أَيُّهَا الرَّبُّ أَنْ تَأْخُذَ الْمَجْدَ وَالْكَرَامَةَ وَالْقُدْرَةَ، لأَنَّكَ أَنْتَ خَلَقْتَ كُلَّ الأَشْيَاءِ، وَهِيَ بِإِرَادَتِكَ كَائِنَةٌ وَخُلِقَتْ.» (رؤ ٤: ١١). [١٠٤]

ومجد الله هو تعبير عن محضر الله، فالمجد هو الجمال البرّاق اللامع لله، والجلال والبهاء والشرف و العظمة في حضوره والكرامة السامية التي ينبغي أن تُعطى له. فالله الفريد والمتسامي في مجده أي في حضوره وجلاله وبهائه. وهذا المجد غير محدود، نظرًا للقدرة العظيمة غير المحدودة لهذا الحضور؛ لأن البشرية محدودة، والخليقة لا تستطيع أن تتحمل هذا الحضور الممجَّد العظيم. لذا نراه محجوبًا: ببروق ورعود وضباب وسحاب ونور وبنار (خر ٣: ٢، ١٩: ١٦، خر ٢٤: ٧؛ تث ٥: ٢٣). لقد طلبَ مرة موسى أن يرى مجد الله «فَقَالَ: أَرِنِي مَجْدَكَ.» (خر ٣٣: ١٨)، عندما أظهَرَ الله لموسى لمحة فقط من مجده

(١٠٤) ريك وارين، المرجع السابق، ٥٢.

دون أن تحجبه سحابة ولا نار (خر ٣٣: ١٨- ٢٣)، أصبحَ وجه موسى يشع باللمعان لدرجة اضطر معها أن يضع برقعًا على وجهه (خر ٣٤: ٢٩- ٣٥، ٢كو ٣: ٧- ١٨). وقد ظهر هذا المجد في بعض الظهورات التاريخية، ثم أقام الله في وسط شعبه في عمود السحاب والنار وفي خيمة الاجتماع والهيكل، وهذا ما يشير إليه العلماء «بالشكينة» وهي عبارة تعني «المجد المقيم» أي «الله المقيم معنا» أي «الله معنا».

المسيح تجسيد لمجد الله: الله أعلن عن مجده من خلال الخليقة:» اَلسَّمَاوَاتُ تُحَدِّثُ بِمَجْدِ اللهِ، وَالْفَلَكُ يُخْبِرُ بِعَمَلِ يَدَيْه.» (مز ١٩: ١). وكل الشعوب ترى مجده «أَخْبَرَتِ السَّمَاوَاتُ بِعَدْلِهِ، وَرَأَى جَمِيعُ الشُّعُوبِ مَجْدَهُ.»(مز٩٧: ٦). لأن على كل الأرض مجده (مز ٥٧: ٥و ١١، ١٠٨: ٥). وأيضًا الله يعلن عن مجده من خلال أعماله العظيمة وعجائبه في الخلاص والإنقاذ «مُبَارَكٌ الرَّبُّ اللهُ إِلهُ إِسْرَائِيلَ، الصَّانِعُ الْعَجَائِبَ وَحْدَهُ. وَمُبَارَكٌ اسْمُ مَجْدِهِ إِلَى الدَّهْرِ، وَلْتَمْتَلِئِ الأَرْضُ كُلُّهَا مِنْ مَجْدِهِ. آمِينَ ثُمَّ آمِينَ»(مز ٧٢: ١٨و ١٩).[١٠٥]

وعلى مدار مئات السنوات كان الله يرسل كلمته على لسان أنبيائه ليعلنوا مجده. لكن هذه الإعلانات لم تكن كاملة ولكنها كانت كافية. ولما جاء ملء الزمان أراد الله أن يعلن عن مجده بشكل كامل في المسيح يسوع «اَللهُ، بَعْدَ مَا كَلَّمَ الآبَاءَ بِالأَنْبِيَاءِ قَدِيمًا، بِأَنْوَاعٍ وَطُرُق

(١٠٥) دائرة المعارف الكتابية، نسخة إلكترونية مجد- يمجد- مجيد.

كَثِيرَةٍ، كَلَّمَنَا فِي هذِهِ الأَيَّامِ الأَخِيرَةِ فِي ابْنِهِ، الَّذِي جَعَلَهُ وَارِثًا لِكُلِّ شَيْءٍ، الَّذِي بِهِ أَيْضًا عَمِلَ الْعَالَمِينَ، الَّذِي، وَهُوَ بَهَاءُ مَجْدِهِ، وَرَسْمُ جَوْهَرِهِ، وَحَامِلٌ كُلَّ الأَشْيَاءِ بِكَلِمَةِ قُدْرَتِهِ، بَعْدَ مَا صَنَعَ بِنَفْسِهِ تَطْهِيرًا لِخَطَايَانَا، جَلَسَ فِي يَمِينِ الْعَظَمَةِ فِي الأَعَالِي،» (عب ١: ١- ٣).» إن المسيح هو ذروة قصة مجد الله. وفي نهاية كل الأشياء سيكون قد اشترى وأحضرَ شعبًا له من كل قبيلة ولسان لإكرام الآب. فلا غرابة إذًا أن نرى كيف كانت كل تفاصيل حياته جزءًا من آلية تسيير قصة مجد الله نحو تحقيقها لجميع الأمم.»[١٠٦] وهذا المجد كان في المسيح قبل تأسيس العالم» وَالآنَ مَجِّدْنِي أَنْتَ أَيُّهَا الآبُ عِنْدَ ذَاتِكَ بِالْمَجْدِ الَّذِي كَانَ لِي عِنْدَكَ قَبْلَ كَوْنِ الْعَالَمِ.» (يو ١٧: ٥)، وراه وتكلم عنه إشعياء قبل الميلاد بسبعمائة سنة (إش ٧: ١٤؛ يو ١٢: ٤١)، في الإصحاح الرابع يقول إنه «بهاءً ومجدًا». وهذه هي الحقيقة التي يؤكدها حزقيال مجد الرب في هيئة إنسان (حز ١: ٢٦- ٢٨). وهذا ما تم في المسيح «عمانوئيل» الله معنا (مت ١: ٢٣)، أي الله المقيم معنا. لأنه هو «الَّذِي، وَهُوَ بَهَاءُ مَجْدِهِ، وَرَسْمُ جَوْهَرِهِ، وَحَامِلٌ كُلَّ الأَشْيَاءِ بِكَلِمَةِ قُدْرَتِهِ» (عب ١: ٣)، وظهرَ هذا المجد واضحًا أمام التلاميذ في التجلي (مت ١٧: ١- ٨)، وفي كلمات قليلة يصف متّى هذا المجد في العدد الثاني: «وَتَغَيَّرَتْ هَيْئَتُهُ قُدَّامَهُمْ، وَأَضَاءَ وَجْهُهُ كَالشَّمْسِ، وَصَارَتْ ثِيَابُهُ بَيْضَاءَ كَالنُّورِ.» ويشهد بطرس الذي رأي هذا المجد» لأَنَّنَا لَمْ نَتْبَعْ خُرَافَاتٍ مُصَنَّعَةً، إِذْ عَرَّفْنَاكُمْ بِقُوَّةِ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ وَمَجِيئِهِ،

(١٠٦) رالف د. ويتنر، استيفن س. هوثورن، المرجع السابق، ٦٩.

بَلْ قَدْ كُنَّا مُعَايِنِينَ عَظَمَتَهُ. لأَنَّهُ أَخَذَ مِنَ اللهِ الآبِ كَرَامَةً وَمَجْدًا، إِذْ أَقْبَلَ عَلَيْهِ صَوْتٌ كَهذَا مِنَ الْمَجْدِ الأَسْنَى:«هذَا هُوَ ابْنِي الْحَبِيبُ الَّذِي أَنَا سُرِرْتُ بِهِ».» (٢ بط ١: ١٦و ١٧). فرؤية يسوع كانت رؤية «نُورَ إِعْلاَنٍ لِلأُمَمِ، وَمَجْدًا لِشَعْبِكَ إِسْرَائِيلَ.»(لو ٢: ٣٢). فهو مُكلَّل «بالمجد والكرامة» (عب ٢: ٦- ١٠)، لأنه «رب المجد» (في ٢: ١١)، لأنه هو وحده المستحق المجد (رؤ ٥: ١٢).[١٠٧]

لهذا فالكنيسة الإنجيلية تُعلّم وتركّز بشدة على:

أولوية مجد الله والاعتراف بهذا المجد وإعلانه في حياتنا وفي عائلتنا وكنائسنا ومجتماعتنا في كل مكان وزمان. وهذا كان هدف المسيح من خلال التجسد والفداء. ففي صلاته الشفاعية يناجي المسيح الآب: «أَنَا مَجَّدْتُكَ عَلَى الأَرْضِ. الْعَمَلَ الَّذِي أَعْطَيْتَنِي لأَعْمَلَ قَدْ أَكْمَلْتُهُ.» (يو ١٧: ٤). فمجد الله هو موضوع تسبيح الناس وحمدهم كما تُعلّمنا كلمة الله: «اهْتِفِي للهِ يَا كُلَّ الأَرْضِ! رَنِّمُوا بِمَجْدِ اسْمِه. اجْعَلُوا تَسْبِيحَهُ مُمَجَّدًا.»(مز٦٦: ١و ٢)، «غَنُّوا لِلرَّبِّ يَا كُلَّ الأَرْضِ. بَشِّرُوا مِنْ يَوْمٍ إِلَى يَوْمٍ بِخَلاَصِه. حَدِّثُوا فِي الأُمَمِ بِمَجْدِهِ وَفِي كُلِّ الشُّعُوبِ بِعَجَائِبِه. ... الْجَلاَلُ وَالْبَهَاءُ أَمَامَهُ. الْعِزَّةُ وَالْبَهْجَةُ فِي مَكَانِه. هَبُوا الرَّبَّ يَا عَشَائِرَ الشُّعُوبِ هَبُوا الرَّبَّ مَجْداً وَعِزَّةً. هَبُوا الرَّبَّ مَجْدَ اسْمِهِ. « (١أخ ١٦: ٢٣- ٢٩).

(١٠٧) راجع: دائرة المعارف الكتابية، المجد.

لماذا خلَقنا الله؟! هل كان وحيد فاحتاج أن يخلقنا، أو لكي نخدمه أو ربما لنعبده بالطبع لا؛ لأن الله لديه الملائكة التي تملأ محضره وتخدمه وتعبده. لقد خلقنا ليعطينا محبته ويجعلنا نستمتع به من خلال إعلان مجده، فلقد خلقَنا الله لنحيا لمجده. لذا فالكنيسة الإنجيلية تؤكد وتعلّم أن «الغاية القصوى للمؤمن هي تمجيد المسيح والاستمتاع به إلى الأبد.»[١٠٨] وما معنى تمجيد الله: «يعني الاعتراف بقيمته وجماله المتأصّلَيْن فيه، والتغنّي بتلك الصفات علانية. وبالتالي فتمجيد الله يعني تسبيحه أو التحدث عنه علانية وبالحقيقة.»[١٠٩] وهذا ما تعلّمه لنا كلمة الله: مجد الله وحده، لا أحد ولا شيء ينبغي أن نعطي له المجد غير الله. ربما تكون هذه الكلمات بديهية اليوم، لكن في ما سبَق وحتّى الآن في تاريخ البشرية في كل عصر وزمان ومكان نرى البشر يعطون مجدًا لبشر آخرين أو أشياء أو قوى غيبية يتخيلها البشر. ومثال على هذا العصور الوسطى، فقد تضاءل مجد الله أمام مجد الباباوات، ولم تعُد الناس تعطي المجد لله لأنهم مشغولون بإعطائه للقديسين. فقد بُنيَت الكنائس والأديرة والمزارات، وأصبح الناس يأتون من كل مكان من أجل زيارة رفات القديسين. وسادت القصص والخرافات والأساطير التي تنادي بقوى غيبية تستطيع أن تؤثر على مصير البشر والعالم وتتحدّى الله. وما كان من المخدوعين وعديمي الإيمان سوي تقديم الإكرام والمجد

(١٠٨) دارين كنيدي، المرجع السابق ، ٣.

(١٠٩) رالف د. ويتنر، استيفن س. هوثورن، المرجع السابق، ٥٤.

لهذه القوى. إذًا فأين مجد الله في وسط إكرام البشر وطلب المجد لبعضهم البعض ولبعض القوى الخيالية. لذا فنادى وأكّدَ الإنجيليّون على أنه لا يوجد شخص أو شيء مستحق مجد سوى الله، فهو «إله المجد» (مز ٣٩: ٣)، وهو «أبو المجد» (أف ١: ١٧)، أي مصدر كل مجد، و»ملك المجد» (مز ٢٤: ٨). وهو غيور على مجده، وغير مستعد أن يعطيه لآخَر (إش ٤٢: ٨)، ويعمل كل شيء «من أجل مجد اسمه» (مز ٧٩: ٩، إش ٤٨: ١١).»[١١٠] عن العيش من أجل مجد الله هو أعظم هدف وإنجاز في حياتك، وهذه هي دعوة الله لك أن تحيا لمجده، أم العيش بعيدًا عن مجد الله فهذه ليست حياة بل مجرد بقاء على قيد الحياة. وتكريس حياتك لمجد الله تحدّي، لأنه ببساطة أن الله يأخذ الأولوية الأولى والمركز الأول في حياتك.[١١١] ولكنه بركة عظيمة لأن الله يمجد الذين يمجدونه ويعطيهم كل ما هو لازم للحياة والتقوى والمواعيد العظمى والثمينة (٢بط ١: ٣-٤).

أن نمجّد الله من خلال عبادتنا: فمجد الرب هو جوهر وغاية عبادتنا. فعبداتنا هي استجابة لمجد الله، الله يعلن عن مجده في حياتنا من خلال شخصه المحب وعمله الخلاصي لنا. ونتيجة لمجده وحبه وعمله من أجلنا ينبغي أن نعبده. فعبادتنا هي تفاعُل تعبيري صادق عن محبة الله لنا، لذا فهو يُسرّ بالمحبة المخلِصة التي تُقدَّم إليه في العبادة

(١١٠)دائرة المعارف الكتابية، نسخة إلكترونية، مجد- يمجد- مجيد.

(١١١) ريك وارين، المرجع السابق، ٥٣- ٥٥.

الحقيقة والتي تنبع من محبته لنا. وعندما نعبد الله فهذا ليس لأنه يحتاج إلى عبادتنا بل هو يُسَرّ ويبتهج بعبادتنا؛ لأنها تعكس تفاعُلنا الصادق معه. فهو يُسَرّ بها ويرحب بتقدماتنا، ليس لأنه يحتاج إليها بل لأن العطية تأتي بالمعطي. وعندما نأتي إليه بعبادة حقيقية يمنحنا الله محبته بالكامل لنا. فالعبادة هي الوسيلة التي يمجد بها البشر الله، إلا أن في العبادة تكون وسيلة الله لمجد البشر. وقد كشفَ الرب يسوع بقوله: «تَقْبَلُونَ مَجْدًا بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ، « ثم يقول: «وَالْمَجْدُ الَّذِي مِنَ الإِلهِ الْوَاحِدِ لَسْتُمْ تَطْلُبُونَ» (يو ٥: ٤٤). فالذين عينهم ودعاهم اختارهم وبررهم مجدهم أيضًا (رو ٨: ٣٠). فنحن نصلي ونطلب كل شيء من أجل مجده «قَدِّمُوا لِلرَّبِّ يَا أَبْنَاءَ اللهِ قَدِّمُوا لِلرَّبِّ مَجْدًا وَعِزًّا. قَدِّمُوا لِلرَّبِّ مَجْدَ اسْمِهِ. اسْجُدُوا لِلرَّبِّ فِي زِينَةٍ مُقَدَّسَةٍ.» (مز ٢٩: ١و ٢)، «لَيْسَ لَنَا يَا رَبُّ لَيْسَ لَنَا، لكِنْ لاسْمِكَ أَعْطِ مَجْدًا» (مز١١٥: ١). الله يدعونا أن نرى مجده بالإيمان. ففي معجزة إقامة لعازر وجّهَ المسيح رسالة لكل مؤمن من خلال مرثا «قَالَ لَهَا يَسُوعُ: أَلَمْ أَقُلْ لَكِ: إِنْ آمَنْتِ تَرَيْنَ مَجْدَ اللهِ؟» (يو ١١: ٤و ٤٠). والايمان ينمو ويزداد في العبادة.

نمجّد الله من خلال حياتنا: فالله دعانا واختارنا وبررنا ومجدنا أيضًا (رو ٨: ٣٠). فنحن كنيسة مجيدة (أف ٥: ٢٧، في ٣: ٢١)، وأعطانا رجاء المجد (رو ٥: ٢ ، كو ١: ٢٧)، فيكون هدف حياتنا:

أن نفعل كل شيء لمجد الله (١كو ١٠: ٣١)، وأن نمجّد الله في

أجسادنا وأروحنا (١ كو ٦: ٢٠)، وأن نحيا حياة صالحة حتى أن مَن يرون أعمالنا الصالحة يمجدون أبانا الذي في السماوات (مت ٥: ١٦)، ونتغير لصورة المجد (٢كو ٣: ١٨)، وأن نعيش لمدح مجده (أف ١: ١٢)، متكلين على قدرة مجده (كو ١: ١١)، بينما نتطلع إلى المجد الأبدي الذي دعانا إليه (١ بط ٥: ١٠).[١١٢]

أن نرفض الخطية ونعيش في القداسة. لأن الخطية هي أن يعوز الإنسان مجد الله: «إِذِ الْجَمِيعُ أَخْطَأُوا وَأَعْوَزَهُمْ مَجْدُ اللهِ.» (رو ٣: ٢٣)،[١١٣] أو هي الفشل في إعطاء المجد لله أو رفض تمجيد الله كما فعل إبليس، أو العيش لمجدنا الخاص وليس لمجد الله. وعلى العكس فهدف حياتنا أن نعلن ونعيش من أجل مجد الله «وَلِمَجْدِي خَلَقْتُهُ وَجَبَلْتُهُ وَصَنَعْتُهُ.» (إش ٤٣: ٧).[١١٤]

أن نمجّد الله من خلال المحبة لله وللآخرين: إن الله يجتذب البشر من خلال محبته الفريدة غير المحدودة، وهذه المحبة تبذل نفسها من أجلنا لتغيّرنا حتى نحبه من كل قلوبنا. وعندما نمتلئ بمحبة الله نقدم مجدًا لله في عبادتنا نابعًا من محبته لنا ومحبتنا له.[١١٥] لكن «لا يمكننا أن نحب الله إلا حينما نعرفه، وهذا هو ما جعل قصة الكتاب المقدس

(١١٢) دائرة المعارف الكتابية، نسخة إلكترونية مجد- يمجد- مجيد.

(١١٣) دائرة المعارف الكتابية، نسخة إلكترونية مجد- يمجد- مجيد.

(١١٤) ريك وارين، المرجع السابق، ٥٤.

(١١٥) رالف د. ويتنر، استيفن س. هوثورن، المرجع السابق، ٥٣.

هي قصة إعلان الله عن نفسه، ليجتذب إليه الأمم فتعبده وتمجده طواعية. إننا عندما نرى محبة الله العميقة في قلب الكتاب، يصبح الكتاب المقدس حقًا قصة مجده.»[١١٦] ولكن الله ربطَ محبته بمحبة الآخرين «إِنْ قَالَ أَحَدٌ:«إِنِّي أُحِبُّ اللهَ» وَأَبْغَضَ أَخَاهُ، فَهُوَ كَاذِبٌ. لأَنَّ مَنْ لاَ يُحِبُّ أَخَاهُ الَّذِي أَبْصَرَهُ، كَيْفَ يَقْدِرُ أَنْ يُحِبَّ اللهَ الَّذِي لَمْ يُبْصِرْهُ؟» (١يو ٤: ٢٠).

نمجّد الله من خلال إعلان مجده لكل البشر «الارسالية»: وهذه دعوة قديمة، لقد أعلنَ الله عنها من آلاف السنين «حَدِّثُوا بَيْنَ الأُمَمِ بِمَجْدِهِ، بَيْنَ جَمِيعِ الشُّعُوبِ بِعَجَائِبِهِ». (مز٩٦: ٣؛ ١أخ: ١٦: ٢٤). «يتمجّد الله بإعلان رسالة الإنجيل أو بعمل طيب يتم باسم الرب، ويزداد مجد الله عَظَمة حين ترى مجتمعات بأكملها يد المسيح وهي تغيّر حياة البشر.»[١١٧] لقد رأينا مجد الله في المسيح، وأعلن وأعطى لنا المسيح هذا المجد، وعندما صعدَ أوكلَ لنا مهمة إعلان مجد الله (يو ١٧: ١٨ و٢٢). ومجد وتسبيح الله لن يتم إلا من خلال «إنجاز الغرض الإلهيّ في التاريخ»[١١٨] وهو خلاص البشرية لتُقدِّم له المجد من كل أمّة وقبيلة ولسان وشعب. فالكنيسة المشيخيّة رغم اهتمامها بالخلاص الفرديّ، إلاّ أنها تُدرِك أن الخلاص في ذات الوقت هو خلاص جماعيّ

(١١٦) رالف د. ويتنر، استيفن س. هوثورن، المرجع السابق، ٥٣.

(١١٧) المرجع السابق، ٧٤.

(١١٨) دارين كنيدي، المرجع السابق، ٩.

من خلال الكنيسة التي كانت دائمًا. وما تزال وسوف تكون في فكر الله. فبحسب الإيمان المشيخيّ: وَضَعَتْ الكنيسة المشيخيّة استراتيجية لتحقيق غايتها: «المناداة بالإنجيل لأجل خلاص الناس، وحماية أولاد الله، وتربيتهم، وإيجاد الشركة بينهم، والمحافظة على العبادة الإلهية، وحِفظ الحق وأحكام الديانة الطاهرة، ونَشْر الصلاح الاجتماعيّ، وإظهار ملكوت السماوات للعالم.»[١١٩]

وفي ختام هذا الباب من الضروري ان نعرف أن الفكر الإنجيلي يؤكد على ضرورة إعطاء المجد لله وحده، لذا فالكنيسة الإنجيليّة غايتها العظمى هي «مجد وتسبيح الله»[١٢٠]

يعتبر المشيخيّون مجد وتسبيح الله كغرضٍ مركزيّ، إن تمجيد الله هو طريقة أخرى لتأكيد مجد وجلال الله، هذا لا يعني أنه سيحدث في نعيم سماويّ ولكن أيضًا في لحظة من حياتنا، ويقودنا الكتاب المقدس إلى أن نُمجِّد الله. وتوجُّه الفكر اللاهوتيّ المُصلَح هو في كل حياتنا نُمجِّد الله ونستمتع به، وحياتنا لحظة بلحظة ويوم بيوم يجب أن نحياها لمجد الله. في المجتمع والعالم نسير ونحن نُمجِّد الله. هذه دعوة شاملة من الله ولا يوجد استثناء عندما يدعونا الله لأن نُمجِّده.[١٢١]

---

(١١٩) دستور الكنيسة الإنجيليّة، المرجع السابق، ٣٨.

(١٢٠) دارين كنيدي، المرجع السابق، ٨.

(١٢١) دارين كنيدي، المرجع السابق، ٨.

الأَساسُ الخامس «كَهَنُوت جميع المؤمنين»:

تُؤمِنُ الكنيسة المشيخيّة بكهنوتِ جميع المؤمنين: فدستورُها الوحيد هو الكتاب المقـدّس، فهي تَقْبَلُ كُلَّ ما يقـوله، وتَرْفُضُ كُلَّ أَفكارٍ أَوْ مُمَارسات يُحاول البشرُ الادّعاء بِأَنَّهَا بحسبِ الكتاب:

-كتابيًّا:

الكتاب المقدّس يُعْلِنُ كهنوت جميع المؤمنين «كُونُوا أَنْتُمْ أَيْضًا مَبْنِيِّينَ كَحِجَارَةٍ حَيَّةٍ، بَيْتًا رُوحِيًّا، كَهَنُوتًا مُقَدَّسًا، لِتَقْدِيم ذَبَائِحَ رُوحِيَّةٍ مَقْبُولَةٍ عِنْدَ الله بِيَسُوعَ الْمَسِيح.» (١بُطْ٢: ٥، ٦)، فالمسيحُ أَعطانَا كُلَّ ما لَهُ، فهو حَجَرٌ حَيٌّ جعلنا حجارةً حيّةً. وهو الكاهنُ العظيمُ جعلنا أَيضًا كهنةً مَعَهُ. كما هو جلس في السَّماءِ أَجْلَسَنَا أَيْضًا مَعَهُ. «وَأَمَّا أَنْتُمْ فَجِنْسٌ مُخْتَارٌ، وَكَهَنُوتٌ مُلُوكِيٌّ، أُمَّةٌ مُقَدَّسَةٌ، شَعْبُ اقْتِنَاء، لِكَيْ تُخْبِرُوا بِفَضَائِلِ الَّذِي دَعَاكُمْ مِنَ الظُّلْمَةِ إِلَى نُورِهِ الْعَجِيبِ.» (١بُطْ٢: ٩)، فالجنسُ هو مجموعةٌ من النَّاسِ لهم صفات واحدة ولها نوع واحد من الحياةِ، قد تختلف في الشَّكلِ الخارجيِّ لكنّها تنتمي إلى نوعٍ واحدٍ وهي متساويةٌ من حيث الجوهر. وكُلُّ أَعضاء الكنيسة مُقَدَّسِينَ، فلا يوجد فِئَةٌ مُقَدَّسةٌ وأُخرى تَتَلَقَّى القداسة من الفئةِ الأُولَى. «وَمِنْ يَسُوعَ الْمَسِيح الشَّاهِدِ الأَمِينِ، الْبِكْرِ مِنَ الأَمْوَاتِ، وَرَئِيس مُلُوك الأَرْضِ. الَّذِي أَحَبَّنَا، وَقَدْ غَسَّلَنَا مِنْ خَطَايَانَا بِدَمِهِ، وَجَعَلَنَا مُلُوكًا وَكَهَنَةً لِلَّهِ أَبِيه، لَهُ الْمَجْدُ وَالسُّلْطَانُ إِلَى

أَبَدِ الآبِدِينَ. آمِينَ.» (رُؤْ١: ٥، ٦)، «وَهُمْ يَتَرَنَّمُونَ تَرْنِيمَةً جَدِيدَةً قَائِلِينَ: «مُسْتَحِقٌّ أَنْتَ أَنْ تَأْخُذَ السِّفْرَ وَتَفْتَحَ خُتُومَهُ، لأَنَّكَ ذُبِحْتَ وَاشْتَرَيْتَنَا للّه بِدَمِكَ مِنْ كُلِّ قَبِيلَةٍ وَلِسَانٍ وَشَعْبٍ وَأُمَّةٍ، وَجَعَلْتَنَا لإِلَهِنَا مُلُوكًا وَكَهَنَةً، فَسَنَمْلِكُ عَلَى الأَرْضِ».» (رُؤْ٥: ٩، ١٠).[١٢٢]

- لاَهُوتِيًّا:

كلمة كهنوت على وزنِ «الملكوت والجبروت،» وهي المصدرُ من كلمةِ «كُوهِين» العبريّة الَّتي تُرْجِمَتْ إلى العربيّةِ «كَاهِن»، وهي تدلُّ على «الاقترابِ من اللهِ على أساسِ ذَبِيحَةٍ مَقْبُولَةٍ أَمَامَهُ»،[١٢٣] هُو الوسيطُ بَيْنَ اللهِ وَالبشرِ، وَهُوَ الوسيطُ الَّذي يُقدِّم الذَّبائحَ والقرابين والصَّلوات وَلِيَتَشَفَّعَ للشَّعْبِ ولِنَفْسِهِ أَمَامَ اللهِ. لَكن المسيح أَكْمَلَ الفداءَ وَصَارَ هُوَ الذَّبِيحَةُ الكفَّاريّة الكاملة والتَّامّة، وَمِنْ ثَمَّ، فهو الوسيطُ الوحيد، فلا يوجد وسطاء آخرون. بكونِ ذبيحته كاملةً وكافيَةً،كما يقول كاتبُ العبرانيِّين «لأَنَّهُ يَشْهَدُ أَنَّكَ «كَاهِنٌ إِلَى الأَبَدِ عَلَى رُتْبَةِ مَلْكِي صَادِقَ». فَإِنَّهُ يَصِيرُ إِبْطَالُ الْوَصِيَّةِ السَّابِقَةِ مِنْ أَجْلِ ضُعْفِهَا وَعَدَمِ نَفْعِهَا، إِذِ النَّامُوسُ لَمْ يُكَمِّلْ شَيْئًا. وَلكِنْ يَصِيرُ إِدْخَالُ رَجَاءٍ أَفْضَلَ بِهِ نَقْتَرِبُ إِلَى اللهِ. وَعَلَى قَدْرِ مَا إِنَّهُ لَيْسَ بِدُونِ قَسَمٍ -لأَنَّ أُولَئِكَ بِدُونِ قَسَمٍ قَدْ صَارُوا كَهَنَةً، وَأَمَّا هَذَا فَبِقَسَمٍ مِنَ الْقَائِلِ لَهُ: «أَقْسَمَ الرَّبُّ وَلَنْ يَنْدَمَ، أَنْتَ كَاهِنٌ إِلَى

(١٢٢) مفيد إبراهيم سعيد، الأَغصان: كهنوتٌ مُلُوكِيّ، (القاهرة: دار الثَّقافة، ١٩٧٩)، ٣.
(١٢٣)عوض سِمْعَان، الكهنوتُ، (القاهرة: دار الثَّقافة، ١٩٨٥)، ١٧.

الْأَبَد عَلَى رُتْبَةِ مَلْكِي صَادِقَ». عَلَى قَدْرِ ذَلِكَ قَدْ صَارَ يَسُوعُ ضَامِنًا لِعَهْدٍ أَفْضَلَ. وَأُولَئِكَ قَدْ صَارُوا كَهَنَةً كَثِيرِينَ لأَنَّ الْمَوْتَ مَنَعَهُمْ مِنَ الْبَقَاءِ، وَأَمَّا هَذَا فَلأَنَّهُ يَبْقَى إِلَى الأَبَدِ، لَهُ كَهَنُوتٌ لاَ يَزُولُ. فَمِنْ ثَمَّ يَقْدِرُ أَنْ يُخَلِّصَ أَيْضًا إِلَى التَّمَامِ الَّذِينَ يَتَقَدَّمُونَ بِهِ إِلَى اللهِ، إِذْ هُوَ حَيٌّ فِي كُلِّ حِينٍ لِيَشْفَعَ فِيهِمْ. لأَنَّهُ كَانَ يَلِيقُ بِنَا رَئِيسُ كَهَنَةٍ مِثْلُ هَذَا، قُدُّوسٌ بِلاَ شَرٍّ وَلاَ دَنَسٍ، قَدِ انْفَصَلَ عَنِ الْخُطَاةِ وَصَارَ أَعْلَى مِنَ السَّمَاوَاتِ الَّذِي لَيْسَ لَهُ اضْطِرَارٌ كُلَّ يَوْمٍ مِثْلُ رُؤَسَاءِ الْكَهَنَةِ أَنْ يُقَدِّمَ ذَبَائِحَ أَوَّلاً عَنْ خَطَايَا نَفْسِهِ ثُمَّ عَنْ خَطَايَا الشَّعْبِ، لأَنَّهُ فَعَلَ هَذَا مَرَّةً وَاحِدَةً، إِذْ قَدَّمَ نَفْسَهُ. فَإِنَّ النَّامُوسَ يُقِيمُ أُنَاسًا بِهِمْ ضُعْفٌ رُؤَسَاءَ كَهَنَةٍ. وَأَمَّا كَلِمَةُ الْقَسَمِ الَّتِي بَعْدَ النَّامُوسِ فَتُقِيمُ ابْناً مُكَمَّلًا إِلَى الأَبَدِ.» (عِبْ٧: ١٧- ٢٨) وهذه هي عقيدةُ كهنوت جميع المؤمنين.

فتطوُّر نظام الكهنة يدلُّ على فكرةِ كهنوت جميع المؤمنين، فقد اشترك فِي هذا النِّظَام أشخاص مِثْل: هَابِيل وَنُوح وإِبْرَاهِيم وإِسْحَاق وَيَعْقُوب وَأَيُّوب لَمْ يكونوا كهنةً «كهنوت الآباء». ثُمَّ تَمَّ السَّماح لرُؤساءِ العائلات بِتَقْدِيمِ الذَّبيحة (خُرُ١٢) «كهنوت رُؤساء العائلات». ثُمَّ فِي (خُرُ١٩: ٦؛ ٢٤: ٤- ٨) اتّسعت دائرة الكهنوت لِتَشْمَلَ كُلَّ الفتيان «الكهنوت القوميّ العام». ومع بدايةِ تنظيم العبادة، كان مِنَ الضَّروريّ تنظيم عملية تقديم الذَّبائح لِأَنَّ الله إلهُ نِظَام، لهذا اختار الله هارون ونسلَهُ لهذه الخدمة. وكذلك لأَنَّ اليهودَ لَمْ يحافظوا على قداسةِ الكهنوت لهذا

حَصَرَ الخدمة فِي سبطٍ مُقدَّسٍ بِمُقْتَضَى الشَّريعة (خُرُ٢٨: ١- ٤٣).[١٢٤]

فِي العهد القديم لم يستطعْ الإِنسانُ الاقتراب إِلى الله، لأَنَّهُ اختار بِحُرِّيَّتِهِ أَنْ يَكْسِرَ العهدَ ويَبْعُدُ بمقتضى إِرادتِهِ عَنِ اللهِ. وأَيْضًا استمرَّ فِي الإِساءةِ إِلى اللهِ، فلَمْ يستطعْ الإِنسانُ أَنْ يَتَقَرَّبَ إِلى اللهِ، لَكِنْ لَمَّا جَاءَ مِلءُ الزَّمَانِ تَدخَّل اللهُ بِنَفْسِهِ فِي المسيحِ يَسُوعَ لِيُعيدَ العَلاقة ويُجدِّد العهد من خلال عمل المصالحة. لهذا لم يَعُدْ الإِنسان يحتاج إِلى ذبائحٍ، لأَنَّهُ بالفعلِ فِي محضرِ الله الَّذي شَقَّ كُلَّ الحواجزِ (مَتَّى٢٧: ٥١) وأَصبحنا فِي حضورٍ دائمٍ فِي عرشِ الله (عِبْ٤: ١٦).

فإِذا لم نَقْبَلْ عقيدة كهنوت جميع المؤمنين، فَنَحْنُ نُقِرُّ بعدمِ كِفَاية ذبيحة المسيح. لِأَنّنا نَقْبَلُ فِي ذاتِ الوقت عمل الوساطة الكهنوتيّة، وهذا عكس تعاليم الكتاب المقدّس. فمن المعروفِ عدم كفاية الذّبيحة الحيوانيّة، فهي مُجرَّدُ رَمْزٍ للفِدْيَةِ العُظْمَى (راجع: مَزْ٤٩: ٧، ٨؛ ٥١: ١٦؛ مِيخَا٦: ٦، ٧)، أَمَّا ذبيحةُ المسيح فكانت كافيةً وكاملةً وتامّةً، ولا يحتاج الإِنسانُ إِلى ذَبيحةٍ أُخرى، والكتاب المقدّس أَكَّد على هذه الحقيقةِ الهامّةِ: (رَاجِع: لُو٢٣: ٤٣؛ يُو٣: ١٦؛ ١٩: ٣٠؛ رُو٣: ٢٤، ٢٥؛ أَفَ٢: ٨، ٩؛ عِبْ٢: ٩؛ ١بُطْ٢: ٢٤؛ ١بُطْ٣: ١٨).[١٢٥] فهدف الكنيسة لم يَعُدْ تقديم

(١٢٤) المرجع السَّابق، ٤١- ٤٢.

(١٢٥) المرجع السَّابق، ٢٥- ٢٦.

ذبائح حيوانيَّة بل رُوحيَّة (١بُطْ٢: ٥، ٦). لهذا فبدون ذبيحة لا قيمة للكاهنِ. أَمّا عقيدةُ كهنوت جميع المؤمنين فتُرسِّخ مبادئ لاهوتيّة هامّة:

أَوّلًا: الْمُسَاواةُ

لقد عَبَرَ العهدُ الجديدُ بالإنسانيّة المبنيّة على العُنْصُرِيَّةِ، إِلى الإِنسانيَّةِ المبنيّة على المساواةِ. فقد كان البشر مُقَسَّمون إِلى أَحرارٍ وعبيدٍ، يَهُودٍ يملكون الله وأُمَم تَعْبُدُ الأَصنام، أَغْنِيَاء أَسْيَاد وَفُقَرَاء خُدّام، ومن الفصل بَيْنَ المتعلِّمِين والجُهَلَاءِ إِلى دَعوةِ كُلّ البشرِ إِلى الإِيمانِ والمعرفةِ. لهذا كانت عقيدةُ كهنوت جميع المؤمنين عقيدةً أَساسيَّةً وجوهريّةً في فكرِ الرُّسلِ لأَنَّ الله ليس لديه تصنيفٌ، أَوْ مَقَايِيس للحبِّ، فالكُلُّ عندهُ واحدٌ، لهذا أَكّد الرُّسل على هذه الحقائق الهامّة ليمحو العنصرية من الكنيسة «لَيْسَ يَهُودِيٌّ وَلاَ يُونَانِيٌّ. لَيْسَ عَبْدٌ وَلاَ حُرٌّ. لَيْسَ ذَكَرٌ وَأُنْثَى، لأَنَّكُمْ جَمِيعًا وَاحِدٌ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ. فَإِنْ كُنْتُمْ لِلْمَسِيحِ فَأَنْتُمْ إِذًا نَسْلُ إِبْرَاهِيمَ، وَحَسَبَ الْمَوْعِدِ وَرَثَةٌ.» (غلا٣: ٢٨، ٢٩)، «حَيْثُ لَيْسَ يُونَانِيٌّ وَيَهُودِيٌّ، خِتَانٌ وَغُرْلَةٌ، بَرْبَرِيٌّ سِكِّيثِيٌّ، عَبْدٌ حُرٌّ، بَلِ الْمَسِيحُ الْكُلُّ وَفِي الْكُلِّ.» (كُو٣: ١١).

وعَبْر تاريخ الكنيسة رأَينا عدمَ المساواة عندما انْقَسَمَ الجسدُ الواحد إِلى شقَّين: «رِجَال الدِّين» الَّذين يملكون الكتاب المقدّس، ومَنْحَ الخلاصِ، والحِلّ والرّبط... إِلخ، «والإِكْلِيرُوس» الَّذي يَقْتَصِرُ دورهم عَلَى المشاهدة وتقديم التَّبرّعات فَقَطْ. ومع الاهتمامِ الشَّديد بالكتاب المقدّس وَجَدَ آباء

الإِصلاح بل أَعَادوا قِرَاءة نصوص الكتاب المقدّس ليكتشفوا كنزَ المساواة والعدل والشّركة في عقيدةِ كهنوت جميع المؤمنين «كُونُوا أَنْتُمْ أَيْضًا مَبْنِيِّينَ كَحِجَارَةٍ حَيَّةٍ، بَيْتًا رُوحِيًّا، كَهَنُوتًا مُقَدَّسًا، لِتَقْدِيمِ ذَبَائِحَ رُوحِيَّةٍ مَقْبُولَةٍ عِنْدَ اللهِ بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ.» (١بطْ٢: ٥، ٦)، «وَأَمَّا أَنْتُمْ فَجِنْسٌ مُخْتَارٌ، وَكَهَنُوتٌ مُلُوكِيٌّ، أُمَّةٌ مُقَدَّسَةٌ، شَعْبُ اقْتِنَاءٍ، لِكَيْ تُخْبِرُوا بِفَضَائِلِ الَّذِي دَعَاكُمْ مِنَ الظُّلْمَةِ إِلَى نُورِهِ الْعَجِيبِ.» (١بطْ٢: ٩)، «وَمِنْ يَسُوعَ الْمَسِيحِ الشَّاهِدِ الأَمِينِ، الْبِكْرِ مِنَ الأَمْوَاتِ، وَرَئِيسِ مُلُوكِ الأَرْضِ. الَّذِي أَحَبَّنَا، وَقَدْ غَسَّلَنَا مِنْ خَطَايَانَا بِدَمِهِ، وَجَعَلَنَا مُلُوكًا وَكَهَنَةً للهِ أَبِيهِ، لَهُ الْمَجْدُ وَالسُّلْطَانُ إِلَى أَبَدِ الآبِدِينَ. آمِينَ.» (رُؤْ١: ٥، ٦)، «وَهُمْ يَتَرَنَّمُونَ تَرْنِيمَةً جَدِيدَةً قَائِلِينَ: «مُسْتَحِقٌّ أَنْتَ أَنْ تَأْخُذَ السِّفْرَ وَتَفْتَحَ خُتُومَهُ، لأَنَّكَ ذُبِحْتَ وَاشْتَرَيْتَنَا للهِ بِدَمِكَ مِنْ كُلِّ قَبِيلَةٍ وَلِسَانٍ وَشَعْبٍ وَأُمَّةٍ، وَجَعَلْتَنَا لإِلهِنَا مُلُوكًا وَكَهَنَةً، فَسَنَمْلِكُ عَلَى الأَرْضِ».» (رُؤْ٥: ٩، ١٠).[١٢٦]

فعندما نُقرُّ بفئةٍ لديها حقّ الوساطة الكهنوتيّة، فإنّنا نُلْغي مساواة الله لكُلِّ أَبنائِه. وفي مُناقشةِ وساطة القدّيسين، رأَينا عدم الكفاية البشريّة في القيام بالوسَاطَةِ، لِأَنَّ الإنسان لا يمتلك القدرة والمكانة والصَّلاحيّة للقيام بهذا بحسب تعليم الكتاب المقدّس. ومَنْ ثَمّ، تَنْتَفي أَيّة وَساطة بشريّة، لأَنّ البشر لا يحتاجون إلَّا وساطة يسوع المسيح (١تي٢: ٥، ٦)، فكُلُّ مؤمنٍ هو كاهنٌ للهِ وبإمكانه أَن يقترب إِلى الله في أَيِّ مكانٍ وزمانٍ من خلال الصَّلاة والاتّحاد الشَّخصيّ. فلقد أَصبح المسيحيّون أَحرارًا من السَّيطرة

(١٢٦) عيد صلاح، الأَغصان: كهنوت جميع المؤمنين، (القاهرة: دار الفكر الإِنجيليّ، ٢٠٠٨)، ٣- ٧.

الكهنوتيّة، وتخلّصُوا من الخوفِ الإِكْلِيرِكِيِّ، وانْعَتَقُوا من السُّلطانِ الكنسيِّ الَّذي يُقلِّل من إِنسانياتِهِمْ، وتَخلّصُوا من الخوفِ والفزعِ الَّذي كان يُسببهُ سَيْفُ الحِرْمَان ومحاكم التَّفْتِيشِ.(١٢٧)

ثانيًا: المسؤوليّةُ

كهنوت جميع المؤمنين نَقَلَ جَوَّ العبادة والخدمة من مبدأ التَّلقِّي إِلى المشاركةِ والمسؤوليَّة. فبَعْدَ أَن كان المسيحيّ مُجرّد مُتلقٍّ لممارسات معيّنة، أَصبح مشارِكًا، وهذه المُشاركة وَضَعَتْ المؤمن في مسئوليّةِ:

مسئوليّة الإِنسان تجاه الله، فالسَّلام والغفران لا يُحْصَلُ عليهما إِلَّا عن طريقِ الرَّبِّ يَسُوعَ.

مسئوليّة الإِنسان تجاه نفسه، فالإِيمانُ يَنْبُعُ من داخلِهِ وليس مَفْرُوضٌ عَلِيهِ من الخارج. لهذا بدأَ النَّاسُ يسيرون في الطَّرِيقِ الجديدة الَّتي جعلتهم رجالًا ونساءً أَقوياء بالرُّوحِ والأَخلاقِ.

مسئوليّة الإِنسان تجاه أَخيهِ الإِنسان، فَبِمَا أَنَّه كاهنُ نفسِهِ هو أَيضًا كاهنُ قريبهِ وَالعكس.(١٢٨)

ثالثًا: المُشَارَكةُ

كهنوت جميع المؤمنين يجعل العبادة في مشاركةٍ وتَفَاعُلٍ حقيقيٍّ بين

(١٢٧)فريد عوده وإبراهيم مطر، ٤٥.
(١٢٨) المرجع السَّابق، ٤٥.

الله والإنسانِ. وهذا ينعكس على عَلاقَةِ الإنسان بإخوّتهِ في الإنسانيَّة. فَقَبْلَ الإِصلاحِ كانت العِبَادةُ مبنيّةً على المشاهدِة فقط للطُّقوسِ، وفي بدايةِ الإِصلاح تحوّلت العبادة نحو سماع كلمة الله، ومع نضُوجِ الفكر المُصلَح وصياغة عقيدة كهنوت جميع المؤمنين أَصبح كُلّ مؤمنٍ في الكنيسة مشارِكًا وفعّالًا بِكُلِّ إِمكانياتهِ ومواهبهِ بكونهِ عُضوًا في داخلِ شركة الجماعة.(١٢٩) «إِنَّ الكنيسة الإِنجيليّة لَمْ تُلْغِ الكهنوت، لكن على العكس من ذلك تُنَادِي بِأَنَّ الجميع في المسيح كهنةٌ، والكنيسة الإِنجيليّة لَمْ تُلْغِ الهياكل أَو المذبح في الهيكلِ، ولكن على العكس من ذلك تُعلِّمنا أَنَّنا جميعًا نعيش في هياكلٍ مُقدَّسةٍ.»(١٣٠)

رابعًا: الدِّيمُقْرَاطِيَّة

عقيدة كهنوت جميع المؤمنين تجعل الكنيسة ديمقراطيّة، فالكُلُّ مُتَسَاوٍ داخل الكنيسة، في العبادةِ والخدمةِ، فيستطيع أَيُّ عضوٍ أَنْ يَسألَ سؤالًا صحيحًا ويَتَلَقَّى إجابةً أَيْضًا صحيحةً. ففي العصورِ الوسطى لَمْ يستطِعْ المسيحيّ أَنْ يُفكِّرَ وَحتَّى أَن يتكلّمَ تجاه الكنيسة «لقد حَرَّمَتْ كنيسة القرون الوسطى على النَّاسِ التَّفكير الحُرّ، حتّى إِنَّهَا في خلالِ الأَربعين سنة الَّتي سَبَقَتْ الإِصلاح حَرَقَتْ ١٣٠٠ شخصًا بسببِ الهرطقات. وما كان يُفْهَمُ مِنَ الهرطقة سوى أَن يُفكِّرَ الإِنسانُ لنفسه! وقد كان للكنيسة فقطْ حَقّ إِصدار الأَحْكَام والقرارات المتعلِّقة بالأُمورِ

(١٢٩) مكرم نجيب، الرُّوحانيَّة: الجذور والثِّمار، (القاهرة: دار الثَّقافة، ١٩٩٧)، ٢٨.
(١٣٠) مفيد إِبراهيم سعيد، ٢٦.

الدِّينيَّة، وكان على المسيحيِّ أَن يقبلَهَا بِدُوْنِ سؤالٍ أَوْ استفهامٍ.»(١٣١)

كُلُّ أُمورِ الكنيسة فِي العَلَنِ، وهذا بفضل نِظَام الكنيسة الَّذِي بُنِيَ على تعاليم الكتاب المقدّس. فالشّيوخ يُنظِّمون عمل الكنيسة مع الشَّمَامِسَةِ والخُدّام العلمانيّين، والْقَسُّ يَرعَى الكنيسة ويُنسِّقُ الأَدوار. كُلُّ هذا تَحْتَ قِيَادَةِ مجلس الكنيسة الَّذي يَخْضَعُ للمجمع، والأَخير يَخْضَعُ للسّنودس. يقول كالڤن: «لا يوجد هناك نظامٌ يجب أَنْ يُلاحَظ بجدّيةٍ عن تَأْسِيسِ إدارة كنسيّة؛ فلا يوجد خطرٌ أَعظم من أَنْ يُصنَعَ أَيُّ شيءٍ بعدمِ تَرْتِيبٍ.»(١٣٢)

فبكُلِّ تَـأْكيدٍ وثِقَةٍ نقول إِنَّ الكنيسة المشيخيّة هي «كَنيسة الشَّعْبِ، فالشَّعْبُ هو القاعدةُ، الشَّعْبُ هو الَّذي يَخْتَار القسوس، ومن الشَّعْبِ يُنْتَخَبُ الشِّيوخ والشَّمَامِسَة.»(١٣٣) هذا النِّظامُ الكتابيّ المشيخيّ الفريد الَّذي ينبع من كهنوتِ جميع المؤمنين، جعل الكثير من الدُّول تتّخذهُ كأَساسٍ لمؤسّساتِهَا المختلفة، فالكُلُّ مُتَسَاوٍ لكنَّهُ فِي ذاتِ الوقت مسئولٌ، أَي يخضع للنِّظامِ العامِّ والمراقبةِ والمُحاسبةِ والمُسَاءَلةِ، بفضلِ دستور الكنيسة. فالكنيسة المشيخيّة «تُعْتَبَرُ وَبِحَقٍّ أَوّل كنيسة فِي مصْر يكون لها دستور مكتوب، مُتَّفَقٌ عَلَيه، ومأْخُوذٌ بِهِ... تبقى الحقيقة أَنَّ الكنيسة الإِنجيليَّة فِي مِصْرَ دعَّمتْ فكرة الدّيمقراطيَّة، وحُرِّيَّة التَّعبير عَنِ الرَّأْي،

(١٣١) فريد مطر، ٤٧.

(١٣٢)دارين كنيدي، ١٣.

(١٣٣) دستور الكنيسة الإِنجيليّة بِمِصْر، ١٤.

والمشاركة، وعَضَدَتْ الانتماء... وِفْقَ مبادئ وأُصول كَفَلَهَا الدّستور لجميعِ أَبناءِ الكنيسة.»[١٣٤]

والواقع الَّذي نعيش فيه يُثْبِتُ هذا، فمعظمُ البلاد الإِنجيليّة هي ديمقراطيةٌ لأَنَّها تؤمن بالمساواة الْمَبْنيّة على لاهوتِهَا بكهنوتِ جميع المؤمنين. فالإِنجيليُّون يُؤمنون أَنَّ اللهَ أَبٌ لِكُلِّ الخلائق البشريَّة، وقد وَهَبَ للإِنسانيَّةِ حُرِّيَّةَ الإِرادةِ والاختيار، لهذا فالإِنجيليّ بِدوره يَرْغَبُ أَنْ يَهِبَ الحُرِّيَّةَ للآخرين، فلا يحرم غيرَهُ مِنْ حُرِّيَّةِ الرَّأْي، أَوْ مِنَ القولِ، أَوْ مِنَ الْعَقِيدةِ.[١٣٥]

التَّرْتِيبُ الْهَرَمِيّ للكنيسة:

المحفلُ العامّ

سُنودس النّيل الإِنجيليّ

المَجمَعُ

الجمعيّة العموميّة للكنيسة

مجلس الكنيسة

الرُّعاة والشُّيُوخ

الأَعضاء

(١٣٤) عيد صلاح، نظرة في الفقهِ الدّستُورِيّ للكنيسة الإِنجيليّة المشيخيّة، (القاهرة: الحياة المنتصرة، ٢٠٠٧)، ٣.

(١٣٥) فريد مطر، المرجع السَّابق، ٥١.

الباب الثَّالث: تَساؤلات وأجْوِبة

هل تؤمن كنيستنا الإنجيليّة بالمُلك الألفيّ؟

تؤمن بعض الكنائس والجماعات الصغيرة بمُلك المسيح الحرفيّ لمدة ألْف سنة على الأرض بعد أن يُقيَّد الشيطان في الهاوية لمدة ألْف سنة! وذلك قبل نهاية العالم مع قديسيه! وهذا ما ترفضه كل الكنائس سواء الأرثوذكسيّة أو الكاثوليكيّة وبالطبع الإنجيليّة؛ لأن هذا التعليم ليس مسيحيًا في الأساس ويُناقِض كلمة الله. وجميع الكنائس تؤمن بمُلك المسيح الروحي الذي بدأ بمجيء المسيح وِفقًا للكتاب المقدس. وفترة الألف سنة «ما هي إلا رمز يعني كل الزمن ما بين حياة يسوع على الأرض وبين مجيئه الثاني.»[١٣٦] أمّا عن إيمان كنيستنا الإنجيلية وِفقًا لـ «إقرار الإيمان الإنجيليّ: للكنيسة الإنجيليّة المشيخيّة بمصر»:

نؤمن أنه بمجيء المسيح إلى أرضنا متجسدًا أسّسَ الملكوت: ملكوت الله الذي هو هو ملكوت السماوات (مت ١٣: ٣١؛ مر ٤: ٣٠).

(١٣٦) ليون موريس، التفسير الحديث للكتاب المقدس: العهد الجديد سفر الرؤيا، ترجمة شوقي غطاس، المحرر أندريا زكي (القاهرة: دار الثقافة، ٢٠٠٧)، ٢٤٩.

ونؤمن أنه بذلك بدأ في أن يحوّل الأنظار بعيدًا عن المملكة الأرضية التي كانت تشغل الأفكار في عصره إلي ما هو ليس من هذا العالم وبعيدًا عما هو أرضي (يو ١٨: ٣٦). ولذلك فإننا نرفض كل دعوة لأن نتطلع إلى مملكة أرضيّة للمسيح، يُتوَّج هو فيها ملكًا زمنيًا، يجلس على عرش مادّيّ، وتتحقق فيها حرفيًا طفرات زراعية وحيوانية وسياسية تفوق الإدراك (إش ٢: ٤، ١١: ٦- ٩، ٦٥: ١٧- ٢٥؛ مي ٤: ٣). فكل هذه إشارات رمزية لكل ما تحققه نعمة المسيح في الأفراد وفي المجتمع. لأن ملكوت الله ليس أكلًا وشربًا بل هو برّ وسلام وفرح في الروح القدس (رو ١٤: ١٧).[١٣٧]

فالكنيسة الإنجيليّة تؤمن بملكوت المسيح الروحي الذي أسّسه بمجيئه على أرضنا ويمتد حتى مجيئه الثاني وكُنيَ عن طول مدته بالألف سنة. وترفض كنيستنا الإنجيليّة المشيخيّة الملك الأرضيّ المزعوم لأسباب كثيرة على سبيل المثال وليس الحصر:

أولاً: عندما ندرس تاريخ الفكر المسيحي نجد أن فكرة الملك الألفي لا تنتمي للمسيحية، وعندما نرجع إلى قبل الميلاد نكتشف أنها فكرة يهودية خالصة. ومن اليهودية بدأَت هذه الفكرة وانتقلَت إلى المسيحيّة عَبْر اليهود الذين آمنوا بالمسيح. وبدأَت هذه الفكرة في فترة ما بين

(١٣٧) إقرار الإيمان الإنجيلي: للكنيسة الإنجيلية المشيخية بمصر، مجلس العمل الرعوي والكرازي- سنودس النيل الإنجيلي (القاهرة: مجلس العمل الرعوي والكرازي- سنودس النيل الإنجيلي، ٢٠٠٧)، ١٣٢.

العهدَيْن والتي تمتد من ٤٣٥ق.م إلى ميلاد السيد المسيح. وهي المسمّاة بفترة الجفاف الروحي؛ نظرًا لانقطاع الوحي بعد نبوة ملاخي، وصمتت السماء لأكثر من ٤٠٠ سنة. كذلك معاناة اليهود تحت عبودية الاحتلال الفارسيّ والسوريّ والبطلميّ على التوالي، ثم تحوّلَت إسرائيل إلى ولاية خاضعة للإمبراطورية الرومانية. وعانى اليهود من العبودية التي فرضَها المحتَل، والفقر الاقتصادي نتيجة للضرائب واغتصاب الأملاك، وتشتّتَ اليهود من بلدٍ إلى بلدٍ، وسادَ الانحلال الاجتماعيّ. وبالإضافة إلى الضعف الروحي فلا يوجد نبيّ ولا نبوة. في هذه الفترة تعلّقَ كل يهوديّ في العالم بأمل واحد وهو مجيء المخلص الذي سينتصر على الأعداء ويُعيد تأسيس مملكة داود، وترتفع إسرائيل في عهده فوق كل الأمم. ويسود السلام والبركات الأرضية المادية، ويكون مركز وعاصمة العالم أورشليم. ومن عام ٢٠٠ ق.م تبلورَت فكرة الملْك الأرضيّ المحدود للمسيّا. فقد كانت السماء صامتة ولا يوجد نبي يعلن صوت الله. وفي ظل هذه الأوضاع ظهرَت بعض الكتابات الأدبيّة التاريخيّة المسمّاة «الأبوكريفا العبريّة» وكان القديس كيرلس الأورشليميّ (+٣٨٦ م)، والقديس جيروم (+ ٤٢٠ م)، هما أول من أطلَقَ لفظ «أبو كريفا» على تلك الكتب ومعناه «الكتابات: الخفية والغامضة والزائفة الغير القانونية» التي حاوَلَ مؤلفوها تسميتها بأسماء من العهد القديم وإنسابها إلى الوحي، ولكن لم يكونوا مسوقين من الروح القدس مثل: «رؤيا عزرا الثاني وأخنوخ، ورؤيا باروخ وموسى وحكمة باروخ وسليمان.» وقد رفضَها اليهود لِما

بها من تعاليم غير صحيحة وضلالات وأخطاء مختلفة «كتابيّة، عقائديّة، تاريخيّة، جغرافيّة» وتُناقِض أسفار العهد القديم.

لكن قبِلَها بعض اليهود بسبب الضغط السياسي والمعاناة الاقتصادية وحالة العبودية. ونادَت هذه الكتابات بمُلْك المسيّا الحرفيّ على الأرض وتكون أورشليم المدينة المحبوبة سيدة العالم.(١٣٨) وقد اختلَفَت مدة مُلك المسيّا ففي (أبوكريفا عزرا الرابع ٧: ٢٨و ٢٩) نجد أن مُلك المسيّا ربعمئة سنة يموت بعدها المسيا ويصمت بعدها العالم سبعة أيام. ثم جرى نقاش كبير بين اليهود حول المدة التي سيملك فيها المسيّا العالم: أربعون سنة بحسب الربّاي «أكيبا»، وسبعة آلاف سنة وِفقًا للرابّاي «أباهو»، و وتنوّعَت الآراء: البعض مائة، والبعض ستمائة، والبعض ألْفان. ثم سادَ رأي الرابّاي «أليعازر» الذي قال إن المسيا سوف يملك ألْف سنة بحسب ما جاء (أبوكريفا أخنوخ الثاني ٣٢: ٢، ٣٣: ٢). لأن زمن العالم يساوي زمن الخليقة وقالوا إن زمن الخَلْق ستة آلاف سنة بحسب (مز ٩٠: ٤٠)، وبما أن ألف سنة تساوي يوم واحد، فيكون يوم الخَلْق بألف سنة، وسيجيء المسيح في نهاية الألف السادسة، وتكون الألف السابعة هي ألف الراحة وفيها يحكم المسيّا العالم.(١٣٩) ومن اليهودية دخلَت هذه الأفكار إلى المسيحية عبر اليهود الذين آمنوا بالمسيح. ويقول الأب متّى المسكين في دراسته العميقة «الحُكْم الألفيّ»:

(١٣٨) راجع: متّى المسكين، الحكم الألفي (دير القديس أنبا مقار، ١٩٩٧)، ٣.

(١٣٩) راجع: وليم باركلي، تفسير سفر الرؤيا، ترجمة منيس عبد النور (القاهرة: الكنيسة الانجيلية بقصر الدوبارة، ٢٠٠٧)، ٢٩٧- ٢٩٨. راجع: ليون موريس، المرجع السابق، ٢٤٩- ٢٥٠.

لقد ورثَت المسيحيّة الأولى روائع من التراث العبريّ الروحيّ...ولكن للأسف فقد ورثَت المسيحيّة أيضًا مع هذا التراث السوى تراثًا آخَر من تعاليم هي من وَضْع المجتهدين... ومن التعاليم التى تضمنتها هذه الأسفار...المناداة بالملكوت الزمنيّ لإسرائيل... وواضح أن الضغط السياسي وحالة العبودية التي كان يئن منها اليهود فى القرون الأخيرة قبل مجيء السيد المسيح كانت هي العامل الأساسيّ لانطلاق المخيّلات والأحلام والرؤى لتصوير ملكوت المشتهيات النفسية. (١٤٠)

ثانيًا: رفضَت الكنيسة الأولى هذه الفكرة من خلال مجامعها المسكونيّة وآباءها في الغرب والشرق: لقد صاغت الكنيسة في القرون الخمسة الأولى قوانين الإيمان لتحفَظ العقيدة المسيحيّة، وتكون دستور الكنيسة. وعارضَت هذه القوانين تلك الأفكار المزعومة ومنعَتها. فقوانين الإيمان تؤكّد أن المسيح في السماء جالس عن يمين الله الآب وسيأتي فقط في القيامة العامة، ولم تُشِر إلى أي مجي آخر:

«وهو جالس عن يمين الآب الضابط الكل. وسيأتي من هناك ليدين الأحياء والأموات « (قانون إيمان الرسل).

«وهو جالس عن يمين الآب. وسيأتي أيضًا بمجد، ليدين الأحياء والأموات. الذي ليس لملكه انقضاء.» (قانون الإيمان النيقاويّ ٣٢٥م).

(١٤٠) متّى المسكين، المرجع السابق، ١- ٤.

والجدير بالذِكر أن أقدم وثيقة مسيحية تحوي عقائد ونظام الكنيسة والتي تُسمّى «تعاليم الرسل الاثني عشر» (١٥٠ م) لا تحوي إشارة واحدة عن المُلْك الألفيّ.[١٤١] ويقدم القس عزت شاكر تلخيصًا لرأي الكنيسة الأولى في دراسته الرائعة «المُلْك الألفيّ»:

وعندما بدأَت هذه الأفكار تطُلّ برأسها على الكنيسة، عقدَت الكنيسة مجمعها المسكونيّ الثاني في القسطنطينيّة عام (٣٨١م)، وأصدرَت حُكمًا نهائيًا بلعن البِدَع التي تفشّت في ذلك العصر عامةً، وبدعة 'الملك الألفيّ' الحرفيّ التي كان يتزعمها أبولوناريوس في ذلك الوقت، وأضافَت إلى قانون الإيمان عبارة 'الذي ليس لملكه انقضاء.' بعد عبارة 'وسيأتي في مجده ليدين الأحياء والأموات.' ثم عادت في المجمع المسكوني الثالث في أفسس عام (٤٣١م) وشجَبَت هذه البدعة واصفةً إيّاها بأنها أوهام أحلام وأساطير خرافية.[١٤٢]

بالرغم من أن بعض آباء الكنيسة قد تبنّوا هذه الفكرة مثل «باباياس أسقف هيرابوليس ويوستين الشهيد وإيرينيئوس ميليتو وهيبوليتوس»، لكن علينا أن نلاحظ باباياس الذي كان أول مرجِع للآباء الآخرين في هذا الفكر وكان قريبًا لليهود في آسيا الصغري وتأثّر بهم، وقد أخذَ عنه «إيرينيئوس وميليتو وهيبوليتوس» دون دراسة لمصدر هذه الأفكار؛

(١٤١)راجع: عزت شاكر، الملك الألفي (القاهرة: الكنيسة الإنجيلية بمدينة نصر، ٢٠٠٦)، ١٧.
(١٤٢)عزت شاكر، المرجع السابق، ١٨.

لأنهم تلاميذه ومتأثرين بقربهم لليهود.[١٤٣] ومَن درَسَ الحق الكتابي مِن هؤلاء الآباء تخلّى عن هذا الفكر مثل يوستينوس الشهيد، الذي شهدَ بنفسه وقرّر «أن هذا التعليم لا يُعتبر جزءًا جوهريًا من الإيمان المسيحيّ، ويعترف أن كثيرين من المسيحيّين المعتبَرين لا يأخذون بهذا التعليم ولا يُقرُّونه.»[١٤٤]

لكن معظم آباء الكنيسة عارَض هذه الأفكار المزعومة بالحُكْم الحرفيّ ونادوا بالمُلْك الروحيّ مثل: «العلّامة أوريجانوس (١٨٥- ٢٥٤م)، يوسابيوس أسقف قيصرية وأبو التاريخ الكنسيّ (٢٦٣م)، أثناسيوس الرسولي (٢٩٦ - ٣٧٣م)، القديس باسيليوس الكبير (٢٢٩- ٢٧٩م)، القديس جيروم (٣٣١- ٤٢٠م)، القديس غريغوريوس النزينزي (٣٢٩-٣٩٠م)، القديس غريغوريوس النيصيّ (٣٣٠-٣٩٥م)، القديس يوحنا ذهبيّ الفم (٣٤٧- ٤٤٠م)، القديس أغسطينوس (٣٥٤- ٤٣٠م).» ويشير علماء تاريخ الفكر المسيحي إلى أن اغسطينوس قد قضى على هذه الفكرة بتعاليمه واعتبرها بسلطانه الكنسيّ والروحي هرطقة علانيةً.[١٤٥] ولكنه ظهرَت مرة أخرى في أعقاب الإصلاح الإنجيليّ داخل حركات وجماعات عدة متطرفة في فكرها في القرن السادس عشر في أوروبا، ثم ظهَر الفكر الألفي بوضوح مع نشأة التيار التدبيريّ. لذا فعَبْر تاريخ

(١٤٣)راجع: متى المسكين، المرجع السابق، ٥-٦.

(١٤٤) المرجع السابق، ٦.

(١٤٥) راجع: وليم باركلي، المرجع السابق ، ٢٩٩. راجع: متّى المسكين، المرجع السابق، ٨.

المسيحية الطويل تمّ رفْض هذا الملْك المزعوم؛ لأنه لا ينتمي للمسيحية بل هو في الأساس فكر يهودي دخيل على إيماننا. يقول العالم الكبير في العهد الجديد «وليم باركلي»:

على إنه من اللازم أن نقول إن الكنيسة كلها لم تعتنق يومًا نظرية الملك الألفي؛ فإن الحديث عن الألف سنة لم يرِد في العهد الجديد إلا في هذا الأصحاح {رؤ ٢٠}، والفرْش التاريخي لهذه الفكرة كلها يهوديّ؛ وهي تعتمد على التفسير الحرفي الذي يورد الإنسان مورد الشطط. والحق أن هذه الفكرة لم تحتل مكانة أساسية في الفكر المسيحي؛ وخليق بها أن تظل كذلك.»[١٤٦]

ثالثًا: هذا التعليم المزعوم ليس له أي أساس لاهوتي. فعندما نتتبع المعنى اللاهوتي لمصطلح «الملكوت» وتطوُّره من العهد القديم إلى الجديد بالإضافة إلى فترة ما بين العهدَيْن التي نشأَت فيها فكرة الملْك الألفيّ نراه لا يحمل أيّة إشارة إلى مُلك زمني مادّيّ. وسوف نعتمد على الشرح اللاهوتيّ لمصطلح الملكوت على الدكتور القس «فهيم عزيز» في دراسته «ملكوت الله»؛ لأنها بكل حق أدقّ دراسة عن الملكوت:

في العهد القديم توجد ثلاث كلمات بمعنى كلمة «ملكوت» اثنتان منها عبرانية والثالثة آرامية: الكلمة الأولى « مَلْكُوت» وقد جاءت مضافة إلى الضمير الذي يعود على الله (راجع: ١أخ ١٧: ١٤؛ مز ٤٥:٦،

(١٤٦) وليم باركلي، المرجع السابق ، ٣٠٠.

١٤٥: ١١ و ١٢و ١٣). والثانية: «مَمَلكَةَ» (١أخ ٢٩: ١١). أمّا الثالثة فهي الكلمة الآرامية «مَلْكُوتًا» (دا ٢: ٤٤، ٤: ٣، ٧: ٢٧). والمعنى الأساسي للكلمتَيْن العِبرية والثالثة الآرامية التي تُرجِمَت إلى العربية «ملكوت» هو «سلطان الله وحُكْمه» والمصطلح يشير إلى: سلطان الله وحُكمه على السماء والأرض بكونه الإله الخالق المتعالي فوق الجميع، ملِك السماء والأرض (مز ٤٧: ٢- ٨، ١٠٣: ١٩). وفي ذات الوقت يؤكد المعنى على إعلان مُلْك الله الفدائي. فقد وعدَ الله في القديم شعبه بالبركة والخلاص وقد تحققَ هذا الوعد من خلال المسيح المخلّص الذي ملَكَ على قلوب البشر بمحبته. وبالتالي لا يشير المصطلح إلى أي مُلْك حرفيّ. وقد جاء هذا المصطلح في لغته الأصلية غالبًا بدون أداة التعريف، وهذا ينفي عنه صفة المكانية. لذا فمَن يظن أن الكلمة تعني المكان أو المنطقة التي يُظهِر الله سُلطانه ومُلكه الحرفي فهو يُحمِّل الكلمة معانٍ لا تحتملها.

فترة ما بين العهدَيْن: انقسم التفكير اليهوديّ نظرًا إلى انقطاع الوحي إلى اتجاهَيْن: الأول هو الرؤى نسبة للكتابات الأدبية الرؤويّة «الأبوكريفا» التي حاوَلَ مؤلفوها أن ينسبوها إلى الوحي لكن تصدّى لهم علماء العهد القديم. ونادَت بفكرة المُلك الأرضي. ورفضَها علماء العهد القديم ونادوا بالتمسك بكلمة الله وبأن ملكوت الله هو سيادة الشريعة وتحقيقها في حياة الإنسان والعالم مع التطلع لمجيء المسيّا. واستخدَمَ علماء ومعلّمو العهد القديم وكُتّاب الأدب اليهودي

والمؤرخون اصطلاحًا يونانيًا Basilea Tou Theou»» أي «ملكوت الله» وقبل الميلاد تم استبدال «الله» بـ«السماوات» فأصبح المعنى «ملكوت السماوات Basilea Toon Oranoon » وهذا ينفي أي فكرة لدى اليهود المتمسكين بكلمة الله عن مُلك الله الحرفي على الأرض.

في العهد الجديد نرى كُتّاب الوحي يستخدمون المصطلحَيْن «ملكوت الله وملكوت السماوات» بالتبادل وسواء جاءت كلمة «ملكوت» وحدها أو مضافة إلى اسم أو ضمير وهي نفس الكلمة الآرامية التي كان يستخدمها المسيح ونميز ثلاثة معانٍ مستخلَصة من كلام المسيح: المعنى الأول يُظهِر أن يسوع كان يفسِّر ملكوت الله على أنه حُكْم الله وسلطانه (مر١: ٥؛ لو ١١: ٢٠؛ مت ١٤: ٢٨). وهي نفس المعنى المستخدَم في العهد القديم. المعنى الثاني وهو السلطان الفدائي (مت ١٦: ٢٤؛ ٢٣: ١٣). فكان يسوع يعلن في أمثاله وأقواله أن ملكوت الله هو المجال أو المكان الذي يظهر فيه ذلك السلطان الفدائي. أمّا المعنى الثالث الذي قصده يسوع من «ملكوت الله» هو المكافأة و المجازاة التي يهبها للذين يتبعونه ويحيون حياة مقدسة (مت ٥: ٢٣؛ لو ١٢: ٣٢).

نرى بوضوح أن الثلاثة المعاني السابقة هم نفس المعاني المستخدَمة في العهد القديم بكونه سلطان الله وحُكْمه ولا يحملون أيّ معنى مادّي أرضي. لكن يوجد فَرْق جوهريّ بين معنى الملكوت في العهد القديم والجديد، ففي القديم كان الملكوت نبوة نادى بها الأنبياء وتمنّى

تحقيقها علماء ما بين العهدَيْن، ولكن في العهد الجديد كان ملكوت الله يكمن في المسيح فهو الذي حقّقَ الملكوت وأعلنه.(١٤٧)

رابعًا: نظرًا لأن هذه الفكرة كانت منتشرة لدى اليهود في زمن المسيح التي تنادي بمُلك المسيّا الأرضيّ؛ فقد أعلنَ السيد المسيح بكل صراحة ووضوح رفضه لهذه الفكرة: «أَجَابَ يَسُوعُ: «مَمْلَكَتِي لَيْسَتْ مِنْ هذَا الْعَالَمِ. لَوْ كَانَتْ مَمْلَكَتِي مِنْ هذَا الْعَالَمِ لَكَانَ خُدَّامِي يُجَاهِدُونَ لِكَيْ لاَ أُسَلَّمَ إِلَى الْيَهُودِ. وَلكِنِ الآنَ لَيْسَتْ مَمْلَكَتِي مِنْ هُنَا».» (يو ١٨ : ٣٦). وصحّحَ المسيح الأفكار المغلوطة عن ملكوته «لأَنْ لَيْسَ مَلَكُوتُ اللهِ أَكْلاً وَشُرْباً بَلْ هُوَ بِرٌّ وَسَلاَمٌ وَفَرَحٌ فِي الرُّوحِ الْقُدُسِ. « (رو ١٤ : ١٧). وعلّمَ ايضًا أن الوسيلة الوحيدة للدخول إلى الملكوت ليس الانضمام إلى شعب مُعيّن بل الولادة الجديدة (يو ٣ : ٥ و ٦).(١٤٨) وعندما سأله الفريسيّون: «مَتَى يَأْتِي مَلَكُوتُ اللهِ؟» أجاب المسيح بكل وضوح «أَجَابَهُمْ وَقَالَ:«لاَ يَأْتِي مَلَكُوتُ اللهِ بِمُرَاقَبَةٍ، وَلاَ يَقُولُونَ: هُوَذَا ههُنَا، أَوْ: هُوَذَا هُنَاكَ! لأَنْ هَا مَلَكُوتُ اللهِ دَاخِلَكُمْ.» (لو ١٧: ٢٠- ٢١).

وكلمة الله تبيّن لنا بوضوح أن ملكوت المسيح قد أتى بالفعل في مواضع كثيرة (راجع: مت ١١: ١١- ١٢، ١١: ٢٨ ، لو ١٦: ١٦، ١٧: ٢١؛ أع ٢ : ٢٩ ــ ٣٦، ٣ : ١٣ ــ ١٥، ٤ : ٢٦ ــ ٢٨، ٥ : ٢٩ ـ ٣١؛ عب ١٠ : ١٢ و ١٣؛ رؤ ٣ : ٧ ــ ١٢).(١٤٩)

(١٤٧) راجع: فهيم عزيز، ملكوت الله (القاهرة: دار الثقافة، ١٩٨٨)،١٠ -٢٠.
(١٤٨) راجع: دائرة المعارف الكتابية، نسخة الكترونية.
(١٤٩) راجع: دائرة المعارف الكتابية، نسخة الكترونية.

خامسًا: لا يوجد مكانة للكنيسة في فِكر مَن يؤمنون بالمُلك الألفيّ فهُم يعتبرونها جملة اعتراضية في التاريخ المسيحيّ. فقد جاء المسيح ليملك على اليهود وعندما رفضوه فتحَ الباب للأمم وأسّسَ الكنيسة مؤقّتًا وتوقّفَ الزمان، وسوف يعود الزمان مرة أخرى في مُلْك المسيح الألفيّ. فالكنيسة بالنسبة لهم لا شيء، وليس لها مكان في نبوات العهد القديم وفي العهد الجديد إجراء استثنائيّ اضطر إليه المسيح نظرًا لرفض اليهود. ياللعجب! هل الله كان لا يعلم أن اليهود سوف يرفضوه؟ ماذا لو قبِلَ اليهود المسيح؟ فهذا يعني عدم وجود صليب وقيامة وفداء! وأيضًا ماذا سيكون مصيرنا نحن الأمم؟! ألا يُكرّس هذا الفكر لعنصرية الله وعدم عدله لاختياره إسرائيل فقط! رغم ما يعلّمه لنا الكتاب أن الله اختار إسرائيل ليبارك الأمم» وَتَتَبَارَكُ فِيكَ جَمِيعُ قَبَائِلِ الأَرْضِ».» (تك١٢: ٣ب). ولم يختَر الله إسرائيل لأي فضل فيهم بل لأنهم أقل الشعوب (تث ٧: ٧- ٨). ألا يعلم هؤلاء أن الكنيسة كانت موجودة قبل تأسيس العالم في مشيئة الله (أف ١: ٤- ٦)، ولها تاريخ مجيد يمتد من العهد القديم عَبْر صور مختلفة من خيمة الاجتماع (راجع: عب ٨: ٥-٦)، ثم انتقلَت الكنيسة من الخيمة إلى الهيكل، وهذا ما يصفه القديس إسطفانوس (أع ٧: ٤٤- ٤٧).[١٥٠] ويأتي المسيح ويؤسس ملكوته ويعلن عن شكل جديد لكنيسته على نفس المثل القديم كهيكل، لكنه ليس من الحجارة بل من المؤمنين الأحياء به «كُونُوا أَنْتُمْ أَيْضًا مَبْنِيِّينَ كَحِجَارَةٍ حَيَّةٍ، بَيْتاً رُوحِيًّا، كَهَنُوتًا مُقَدَّسًا، لِتَقْدِيمِ ذَبَائِحَ رُوحِيَّةٍ مَقْبُولَةٍ

(١٥٠) متّى المسكين، الكنيسة الخالدة، ط٥ (برية شهيت: دير القديس أنبا مقار، ٢٠٠٢)، ٨٠.

عِنْدَ اللهِ بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ.» (١بط ٢: ٥، ٦). وسوف تستمر الكنيسة إلى مجيء المسيح مخلّصها وفاديها.

سادسًا: ينادي أصحاب هذا التعليم أيضًا إنه بعد أن يملك المسيح في أورشليم سوف يُبنى الهيكل وتقدَّم فيه الذبائح الحيوانية مرة أخرى، أليس هذا رجوع إلى العهد القديم بطقسيّته؛ وما فائدة تقديم هذه الذبائح بعد الصليب؛ أليس هذا تقليل من ذبيحة المسيح وإقرار بعدم كفاية ذبيحة المسيح. وهذا عكس تعاليم الكتاب المقدس. فمن المعروف عدم كفاية الذبيحة الحيوانيّة، فهي مجرَّد رمز للفِدية العظمى (راجع: مز٤٩: ٧- ٨، ٥١: ١٦؛ ميخا ٦: ٦- ٧)، أمّا ذبيحة المسيح فكانت كافية وكاملة وتامّة، ولا يحتاج الإنسان إلى ذبيحةٍ أخرى، والكتاب المقدس أكَّدَ على هذه الحقيقية الهامّة: (راجع: لو ٢٣: ٤٣؛ يو ٣: ١٦، ١٩: ٣٠؛ رو ٣: ٢٤- ٢٥؛ أف ٢: ٨-٩؛ عب ٢: ٩؛ ١بط ٢: ٢٤؛ ابط ٣: ١٨) [(١٥١)] فهدف المؤمنين لم يعُد تقديم ذبائح حيوانية بل روحية (١بط ٢: ٥- ٦).

سابعًا: الفقرة الوحيدة التي تنادي بالملك الألفي هي ما جاء في سفر الرؤيا (٢٠ : ١ - ١٠). ولنا عدة ملاحظات على هذا النص:

سفر الرؤيا هو سفر رؤويّ رمزيّ، وقد كتبَه الرسول يوحنا في نهاية القرن الأول (٩٠- ٩٦م) وهو منفيّ في جزيرة بطمُس المنعزلة في فترة اضطهاد الكنيسة الأشد قسوة الذي أمَرَ به الإمبراطور الروماني دومتيان.

(١٥١)عوض سمعان، المرجع السابق، ٢٥- ٢٦.

وقد رأى يوحنا رؤيته وكتبها لتشجع الكنيسة المضطهَدة ليُعلِن أنها منتصرة بالمسيح حتى لو بدى في الظاهر أنها منكسرة أمام الاضطهاد. ونظرًا لأن كل كلمة سوف تُراجَع من قِبَل السلطات الرومانية فكَتَبَ الرسول يوحنا بطريقة رمزية من خلال رموز كانت تفهمها الكنيسة الأولى. فهو سفر مكتوب بلغة رمزية رؤويّة، ومن مبادئ التفسير أن ما كُتِب بالرمز يُفسَّر بالرمز، وسوف نضل المعنى والرسالة إذا فسرناها بطريقة حرفية.

هذا النص مكتوب بالطريقة الرمزية. وبالتالي فإن الأعداد فيه تُفسَّر بطريقة رمزية روحية ولا تفيد أيّة تحديات زمانية. فالزمان في سفر الرؤيا يكاد يكون ملغيًّا بجملته، فالسفر يبتدئ بتنبيه ذهننا: «...لأَنَّ الْوَقْتَ قَرِيبٌ.» (رؤ ١:٣)، كما ينتهي بتنبيه ذهننا: «...أَنَا آتِي سَرِيعًا « (رؤ ٢٠:٢٢). فالألف سنة باللغة الروحية هي وقت روحي غير محدد ما بين مجيء المسيح وتأسيس ملكوته بتجسده وصلبه وقيامته ومجيئه الثاني، والوقت الروحي غالب دائمًا للوقت الزمني المحدَّد، لذلك لا يمكن تحويله إلى زمن أرضيّ لأنه أعظم منه بما لا يُقاس. بل أن الكتاب المقدس يحذّرنا أن نأخذ العدد ألف حرفيًا «لأَنَّ أَلْفَ سَنَةٍ فِي عَيْنَيْكَ مِثْلُ يَوْمِ أَمْسِ بَعْدَ مَا عَبَرَ، وَكَهَزِيعٍ مِنَ اللَّيْلِ.» (مز ٩٠: ٤)، « وَلكِنْ لاَ يَخْفَ عَلَيْكُمْ هذَا الشَّيْءُ الْوَاحِدُ أَيُّهَا الأَحِبَّاءُ: أَنَّ يَوْمًا وَاحِدًا عِنْدَ الرَّبِّ كَأَلْفِ سَنَةٍ، وَأَلْفَ سَنَةٍ كَيَوْمٍ وَاحِدٍ.» (٢بط ٣: ٨). [١٥٢] أضف إلى ذلك «فالألف هي مكعب رقم ١٠ الذي يدل على الاكتمال. لقد شهدناه مستخدَمًا مِرارًا وتكرارًا في

(١٥٢) راجع: متّى المسكين، الحكم الألفي، المرجع السابق، ١٩.

هذا السفر ليدل على الاكتمال من نوع أو آخر. فمن المؤكد إذًا أن يوحنا يقول هنا إن الشيطان قد قُيِّدَ (وسيستمر مقيَّدًا) طوال المدة الكاملة التي حدّدها الله.»(١٥٣)

لقد قيّدَ المسيح الشيطان بالفعل، فكل معجزات إخراج الشياطين دليل على تقييد إبليس وتحقيق الملكوت. وقد قالها المسيح بكل وضوح عندما اتهمه الفريسيون بإنه ببعلزبول يُخرج الشيطان، وكان ردّ المسيح حاسمًا: «وَلكِنْ إِنْ كُنْتُ أَنَا بِرُوحِ الله أُخْرِجُ الشَّيَاطِينَ، فَقَدْ أَقْبَلَ عَلَيْكُمْ مَلَكُوتُ الله! أَمْ كَيْفَ يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ يَدْخُلَ بَيْتَ الْقَوِيِّ وَيَنْهَبَ أَمْتِعَتَهُ، إِنْ لَمْ يَرْبِطِ الْقَوِيَّ أَوَّلاً، وَحِينَئِذٍ يَنْهَبُ بَيْتَهُ؟» (مت ١٢: ٢٨و ٢٩). ونلاحظ هنا أن الفعل «يربط» في الآية السابقة هو نفس الفعل اليوناني «ديسي» الذي تُرجم عن تقييد الشيطان «فَقَبَضَ عَلَى التِّنِّينِ، الْحَيَّةِ الْقَدِيمَةِ، الَّذِي هُوَ إِبْلِيسُ وَالشَّيْطَانُ، وَقَيَّدَهُ {ديسي} أَلْفَ سَنَةٍ، « (رؤ٢٠ : ٢). مما يؤكد أن المسيح قيّده. وهذا ما تؤكّده كلمة الله فعندما رجعَ التلاميذ من إرسالية السبعين قالوا بفرح عظيم: «يَارَبُّ، حَتَّى الشَّيَاطِينُ تَخْضَعُ لَنَا بِاسْمِكَ!». فردَّ عليهم المسيح قائلاً: «رَأَيْتُ الشَّيْطَانَ سَاقِطًا مِثْلَ الْبَرْقِ مِنَ السَّمَاءِ.» وإعلان اخر صريح في (يو ١٢ :٣١) عندما أراد اناس يونانيون أن يروا يسوع، قال المسيح بعد ان جاء صوت من السماء « اَلآنَ يُطْرَحُ رَئِيسُ هذَا الْعَالَمِ خَارِجًا.» ونلاحظ هنا الفعل «يطرح» في الآية السابقة هو نفس الفعل الذي أستخدمه يوحنا الرأي في « وَطَرَحَهُ فِي الْهَاوِيَةِ وَأَغْلَقَ

(١٥٣) ليون موريس، المرجع السابق، ٢٥١.

عَلَيْهِ، «(رؤ٢٠ : ٣). أليس هذا تقييدًا لإبليس. هذا بالإضافة أننا نجد أن كل الأفعال التي تتحدث عن تقييد إبليس في (رؤ ٢٠: ١-١٠)، ترد في صيغة الماضي وليس المستقبل «فَقَبَضَ، وَقَيَّدَهُ، وَطَرَحَهُ، وَأَغْلَقَ، وَخَتَمَ.» أي أن تقييد إبليس قد تمّ. وإذا رجعنا للإصحاح السابق يؤكد الرأي أن المسيح يحكم من السماء «ثُمَّ رَأَيْتُ السَّمَاءَ مَفْتُوحَةً، وَإِذَا فَرَسٌ أَبْيَضُ وَالْجَالِسُ عَلَيْهِ يُدْعَى أَمِينًا وَصَادِقًا، وَبِالْعَدْلِ يَحْكُمُ وَيُحَارِبُ» (رؤ ١٩ : ١١). المسيح هَزَم وقيّدَ وربطَ وأبطلَ وجرّدَ إبليس: «إِذْ جَرَّدَ الرِّيَاسَاتِ وَالسَّلاَطِينَ أَشْهَرَهُمْ جِهَارًا، ظَافِرًا بِهِمْ فِيهِ.» (كو ٢: ١٥). وليس هذا فقط بل أن المسيح أعطانا السلطان لندوس إبليس وكل قوّاته: «هَا أَنَا أُعْطِيكُمْ سُلْطَانًا لِتَدُوسُوا الْحَيَّاتِ وَالْعَقَارِبَ وَكُلَّ قُوَّةِ الْعَدُوِّ، وَلاَ يَضُرُّكُمْ شَيْءٌ. (لو ١٠: ١٧- ١٩). [١٥٤] يتبادر هنا لذهننا سؤالان:

لماذا الشر والخطية في العالم رغم أن الشيطان مقيّد؟! نعم يقول الكتاب إن الشيطان مقيّد، وليس معنى تقييده المعنى الحرفي الحبس في سجن أو مكان لأن إبليس روح فهي رمز لهزيمة وسحْق وتجريد إبليس، فهو مقيَّد من جهة قوّته وسلطانه وأعماله حتى لا يُضِل الأمم (رؤ ٢٠: ٣). التي كانت خاضعة وتعيش تحت سلطانه. لكن مازال يعمل في العالم ونحن نعطيه الفرصة أن يسود على قلوبنا وتصرفاتنا فهو عدو مهزوم ولكن لم يفقد الأمل أن يجعلنا مثله.[١٥٥]

(١٥٤) راجع: عزت شاكر، المرجع السابق، ٢٦- ٢٩.

(١٥٥) جيمس أنس، علم اللاهوت النظامي، راجعه ونقحه وأضاف إليه منيس عبد النور (القاهرة: الكنيسة الإنجيلية بقصر الدوبارة، ١٩٩٩)، ٦٧٤.

والسؤال الثاني: ما معنى حَلّ الشيطان مدة وجيزة؟ عند نهاية الألف سنة يُحَلّ الشيطان ويحارب الكنيسة في هياج شديد لأنه يعرف أن وقته قصير، وسواء أدركنا أسباب حَلّ الشيطان وفهمنا المقاصد الإلهية فيها أم لا، فلا بد من حدوثها، لأن ما جاء في سفر الرؤيا في هذا الشأن صريح جدًا (رؤ ٢٠: ٧-٩). غير أن ما يريحنا هو تأكيد الله لنا أن النهاية تكون في يده، وأن هو يضبط شعبه ويحدد مدة وجود تلك الحوادث بموجب حكمته السامية (رؤ ٢٠: ١٠).

إذًا فماذا يقصد يوحنا بالقيامة الأولى : هي القيامة الروحية، أي القيامة من الموت الروحي فنحن فمنذ أن دخلَتْ الخطية إلى العالم، مَلَكَ الموت على العالم (رو ٥: ١٢ و١٧ و١٨، ١ كو ١٥: ٢٢)، «لأن أجرة الخطية هي موت» (رو ٦: ٢٣، عب ٩: ٢٧)، وكلنا أموات تحت سلطان الظلمة (أف٥: ١٤). فكلنا أموات بالذنوب والخطايا (أف ٢: ٥)، وأمام موتنا وضَعَ المسيح نفسه وأطاع حتى الموت تكفيرًا عن خطايانا (في ٢: ٨) ولم يُمسِكه الموت ولم يبقَ في القبر، بل قام منتصرًا (أع ٢: ٢٤) ليعطينا الحياة (رو ٦: ٦- ١١). فالحياة في الخطية موت ونقوم من هذا الموت عندما نخلُص بنعمته «وَنَحْنُ أَمْوَاتٌ بِالْخَطَايَا أَحْيَانَا مَعَ الْمَسِيحِ بِالنِّعْمَةِ أَنْتُمْ مُخَلَّصُونَ وَأَقَامَنَا مَعَهُ، وَأَجْلَسَنَا مَعَهُ فِي السَّمَاوِيَّاتِ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ» (أف ٢: ٥- ٦). ولذا فلننشكر الأب الذي نقلنا من سلطان الظلمة إلى ملكوت ابن محبته المسيح الذي بفدائه ودمه غفران الخطايا (كو ١: ١٢- ١٤). لكن يوحنا يقول: «وَرَأَيْتُ عُرُوشًا فَجَلَسُوا عَلَيْهَا، وَأُعْطُوا حُكْمًا.

وَرَأَيْتُ نُفُوسَ الَّذِينَ قُتِلُوا مِنْ أَجْلِ شَهَادَةِ يَسُوعَ وَمِنْ أَجْلِ كَلِمَةِ اللهِ، وَالَّذِينَ لَمْ يَسْجُدُوا لِلْوَحْشِ وَلاَ لِصُورَتِهِ، وَلَمْ يَقْبَلُوا السِّمَةَ عَلَى جِبَاهِهِمْ وَعَلَى أَيْدِيهِمْ، فَعَاشُوا وَمَلَكُوا مَعَ الْمَسِيحِ أَلْفَ سَنَةٍ.» كان هدف يوحنا هو تشجيع المؤمنين الذين يعانون من الاضطهاد الذي شنّه دومتيان وقطَعَ رأس الكثير من المؤمنين، ويريد تحويل الهزيمة الظاهرية وموت الشهداء إلى انتصار حقيقي وأن الشهداء يحيون مع المسيح. فهو يريد أن يعضد الكنيسة المضطهَدة، ويحوّل عينيه من الشيطان الذين رأوه منتصرًا عليهم وهو في الحقيقة مهزوم ومقيَّد ورغم أن الكثير من المؤمنين استشهدوا لكنهم أحياء بفضل أنهم قاموا من موت الخطية «القيامة الأولى» وهم يملكون مع المسيح في السماء والدليل أن يوحنا يتكلم عن «نفوس» وليس عن أجساد تملك على الأرض ويستخدم الفعل «عاشوا» وهي كلمة لا تعبّر عن القيامة بل تعني الاستمرارية فيقصد عاشوا مع المسيح في السماء.(١٥٦)

ثامنًا: ينادي الألفيّون بقيامتَيْن ودينونتَيْن، وهذا يناقض الكتاب المقدس الذي يعلّمنا عن قيامة واحدة لكل الأموات: الأبرار والأشرار في وقت واحد (دا ١٢ : ٢، يو ٥ : ٢٨ و ٢٩، ٦ : ٤٠ و ٤٤، ١١ : ٢٤، ١ كو ١٥ : ٢٢ و ٢٣، ا تس ٤ : ١٦، رؤ ٢٠ : ١١ - ١٥).كذلك ينادون بدينونتَين والكتاب المقدس يعلّمنا عن دينونة واحدة: للأبرار والأشرار والأموات ومَن سيكونون أحياءً عند مجيء المسيح (مت ٧ : ٢١ و ٢٣، ١٣ : ٣٠-

(١٥٦)ليون موريس، ٢٥٣- ٢٥٤

٤٣، ١٦ : ٢٧، ٢٥ : ٣١ –٤٦ ؛ اع ١٧ : ٣١؛ رو ٢ : ٥ و ١٦، ١٤ : ١٠؛ اكو ٣ : ١٢ -١٥، ٤ : ٥؛ ٢ كو ٥ : ٩ - ١١؛ ٢ تس ١ : ٦ - ١٠؛ يهوذا ١٥؛ رؤ ١ : ٧، ٢٠ : ١٢).

تاسعًا: هذا التعليم ينادي بمُلك أرضيّ على أورشليم والكتاب المقدس يعلّمنا عن احتراق العالم وخَلْق سماوات جديدة وأرض جديدة: (مت ٢٤ : ٣٥؛ لو ٢١ : ٣٣؛ عب ١ : ١١؛ ٢ بط ٣ : ٧ - ١٣؛ رؤ ٢٠ : ١١، ٢١ : ١).(١٥٧)

هل الكنيسة الإنجيلية كنيسة استعماريّة -أَسَّسها الاستعمار الأَجنبيّ-؟

للأَسفِ الشَّديد تَتَعَرَّضُ الكنيسة المشيخيّة لهجومٍ شَرِسٍ من الكنائس التَّقليديّة، بكونِهَا كنيسة غير وطنيّة أَسّسها الاستعمار الغربيّ، وأَنّها كنيسةٌ غربيةٌ تَسْعَى لِتَغْرِيبِ المجتمع الشَّرقيّ! وهذا أَمْرٌ غَيْرُ صحيحٍ، لِعِدَّةِ أَسباب:

تَمَّ تَأْسيس الكنيسة المشيخيّة بالفعلِ مِنْ قِبَلِ مُرْسَلُون أَجانب مِنْ أَمريكا واسكتلندا في النِّصفِ الثَّاني من القرنِ السَّابع عشر. والمُلاحَظ أَنَّهُ لَمْ يكنْ هُنَاكَ أَيُّ نشاطٍ استعماريّ لهاتَيْنِ الدَّولتَيْنِ.

(١٥٧) راجع: دائرة المعارف الكتابية، نسخة الكترونية.

يجب التَّفْرِيق بين الكنيسة المشيخيّة وبعض الكنائس الأُخرى، الَّتي تَأْسّست عن طريقِ إِرْساليّات أَتَت من بلادٍ استعماريّة، بل أَنّ بعض الإِرساليَّات بَدَأَتْ نشاطها من البلادِ الَّتي تحتلها دولها، مِثْلَ الإِرساليَّات البريطانيَّة والفرنسيَّة. ولكن لا يجب أَنْ يَتِمَّ تَعْمِيم هذا على الكنيسة المشيخيّة. ويقول اللّاهوتيّ «چورچ صبرا» في محاضرتِه «الوجود الإِنجيليّ في الشَّرقِ الأَوسط: ظاهرةٌ استعماريّة أَمْ غَرْسَةٌ غَربِيّةٌ أَمْ ماذا» إِنَّهُ: «من السَّذاجة حقًّا أَن نظنَّ بأَنَّ لا عَلاقة للإِرساليَّات والمُرْسَلِينَ الأَجانب بالاستعمار الأَجْنَبِيِّ على الإِطلاقِ، أَوْ أَنَّه لم يكنْ لَهُم أَثَرٌ سَلْبِيّ على بلادِنَا في أُمورٍ مُعَيّنة، ولكنَّهُ من السَّذاجة أَيْضًا أَن نَعْتَقدَ بأَنَّ الحركة الإِرساليَّة الأَمريكيَّة في الشَّرقِ الأَوسط تُفْهَمُ وتُشْرَحُ كُلِّيًّا على أَساسِ ارتباطها بحركةِ الاستعمار الغربيِّ.»(١٥٨) يُضِيفُ صبرا:

يُقِرُّ المؤرِّخون (غير الإِنجيليّين) بأَنَّ الإرساليات الأَمريكيَّة الَّتي تَأْسَّسَتْ في حضنِهَا الكنائس الإِنجيليَّة المشيخيَّة، والجمهورية الْكُبْرَى في تُرْكِيَا وَسُورِيًّا وَلُبْنَان وَمِصْر،كان لها في البدءِ وَحَتَّى أَواخر القرن التَّاسع عشر، طَابِعٌ رُوحِيّ لا غُبَار عَلَيْهِ، بَيْنَمَا الأَمْر اختَلَف لدى الإِرساليَّات الأُخرى. وفي هذا الصَّددِ يؤكِّد المؤرِّخ عبد اللطيف طيباوي أَنَّ "بحّارة وتُجّار فقط سبقوا مجيءِ الْمُرْسَلين الأَمريكيّين، وذلك بعكس المُرْسَلِين الأَسْبَان والهُولَنْدِيِّين والإِنجليز، الَّذين غالبًا ما تَبِعُوا خُطى جيوشهم. العمل المُرْسَلِيّ الأُوروبّيّ في البلدانِ الأَجنبيَّة، تَلَوَّنَ في مُعظمِ الأَحيان

(١٥٨) چورچ صبرا، ٨٧.

بالسِّياسةِ بالإِضافةِ إِلى طابعهِ الرُّوحيِّ. ولكن، في المقابلِ، العمل المُرْسَلِيّ الأَمريكيّ لم يستفدْ من أَيّةِ خَلْفِيَّةٍ استعماريَّةٍ أَوْ سِيَاسِيَّةٍ. لذلك كَانَ طابعهُ الرُّوحيّ غير مَشْكُوكٍ بِأَمْرِهِ.»[١٥٩]

هل الكنيسة المشيخيّة نبتةٌ غربيَّةٌ في بيئةٍ شرقيّة؟

الكنائس المشيخيَّة في الشَّرقِ الأَوسط أَصبحت شرقيّةً أَكْثر من الكنائس الموجودة من مئاتِ السِّنين، فَمَا معْيَار أَن تكونَ الكنيسة شرقيّةً أَمْ غَربِيَّةً، سوى واقع الكنيسة الَّذِي تَحْيَاهُ. ويَطْرَحُ التَّاريخُ علينا عِدَّة أَسئلة:

هل الكنيسة المشيخيّة كنيسة غَربيّة، وهي الَّتي ترجَمَتْ الكتاب المقدّس إِلى لُغَةِ الشَّرق-العربيّة؟

وهل الإِنجيليّون العرب أَصبحوا غربيّين، وهُمْ لأَوّلِ مرّةٍ يَسْتَخْدِمُونَ لُغتهم الشَّرقيَّة في قراءةِ كتابِهِ المقدّس بعد ترجمتِهِ إِلى العربيَّةِ؟

مَنْ هُوَ الشَّرقيّ: الإِنجيليّ الَّذِي يَعْبُدُ الله وَيُرَنِّمُ ويُصَلِّي بِلُغَتهِ العربيَّة، بَعْدَ قرونٍ من استخدام الكنائس لُغات غريبة عن الوطنِ في العبادةِ؟ مَنْ هُوَ الغربيّ، الإِنجيليّ الَّذي يتحدّث في كنيستهِ لُغَةَ وطنه أَمْ الآخَرون الَّذين يُصرُّونَ أَنهم شرقيّون، وهُمْ يَرْفُضُونَ استخدام لُغة وطنهم في العبادةِ؟

(١٥٩) المرجع السَّابق، ٨٧.

هل الكنيسة المشيخيّة غربيّة؟ وهي الَّتي قامت بجلبِ المطابع لأَوَّلِ مَرَّةٍ في الشَّرقِ، وَنَشْرِ الكُتب العربيَّة الأَصيلة ومناهج المدارس، ووضع القواميس والمراجع العربيّة؟، ونشر الكُتب والمجالّات.(١٦٠)

هل المشيخيّون هُمْ غربيّون؟ والتُّراث الأَدبيّ يَشْهَدُ لهم بأَنَّهم أَثْرُوهُ وساهمُوا في نهضتِهِ.

الأَمْرُ المُحَيِّر، لماذا نرفض ونهاجم الغرب، حتَّى لو كان هذا مقبول في السِّياسَة. فالمسيحيَّةُ ليس لها أَيّة علاقة بالسِّيَاسة، إِنَّها حياةٌ. هل يجوز أَنْ نَفْصِلَ بَيْنَ المسيحيَّةِ في الغربِ والشَّرقِ؟ وَنَحْنُ نُؤمِنُ بكلمةٍ مُقَدَّسةٍ واحدةٍ، وَنَعْبُدُ مسيح واحد، ونُصَلِّي في كنيسةٍ واحدةٍ ... إِلخ. لماذا نترك السِّياسة تُؤثِّرُ على وحدتنَا المسيحيَّة؟ فالمسيحيَّةُ والمسيحيّون الغرب ليسوا أَعداءَنَا، إِنَّما هُمْ أَعضاء في جسدنَا الواحد. فعلينا أَن لا نُعمِّم ونَعْتَبِرُ كُلّ الغرب شِرّير ومُنْحَلّ وعدوّ لأُمَّتِنَا. كما إِنّنا في الشَّرقِ، لَيْسَ كُلّنا قدّيسين وملائكة وشعب الله المختار!

فكرة الفصل بين الغربِ والشَّرقِ أَصبحت لا وجود لها، بفعلِ التُّكنولوجيا الحديثة. بل إِنَّ التَّفَاعُلَ بين الشَّرقِ والغربِ المبنيّ على أَساس صحيح، فيه تَتَمَسَّكُ الشّعوب الشّرقيّة بهويّتِهَا وتستفيد من التَّقَدُّمِ الشَّرقيّ، هو ما سوف يؤدِّي إِلى تَقَدُّمِ الشَّرق، لِأَنّ: "الحضارات

(١٦٠) المرجع السَّابق، ٩٢.

تَتَفَاعَل دائمًا، وَتُؤَثِّرُ على بعضِهَا وتَسْتَعِير مِنْ بَعضِهَا البعض وتُغيِّر بعضها البعض. هذا هو سِرُّ نُمُوها وازدهارها ومُفْتَاحُ غِنَاهَا، فإِنَّ المستقبل هو للتَّفاعلِ والاغتناء المتبادَل في كُلِّ المجالات وليس للتَّقوقُعِ في شرانقٍ شرقيّة أَو غَرْبِيَّة.»[١٦١]

أَخِيرًا، إِذَا كانت الكنيسة المشيخيَّة هي عودةٌ للأُصولِ -أَي للكنيسة الأُولَى- بالفعلِ تَأْسَسَتْ في الغربِ، لكنَّها بالفعلِ بَدَأتْ في الشَّرقِ، كما بَدَأَتْ الكنيسة الأُولَى في الشَّرقِ. فمُعظم تعاليمها مبنيّة على التُّراثِ الآبائيِّ الشَّرقيّ. فكالفن -مُؤسِّس الكنيسة المشيخيَّة- تميَّز بكونِهِ لاهوتيّ آبائيّ. ففي تِسْعَةٍ وخمسين مجلَّدًا، اقتبس فيها ثلاث آلاف اقتباس من أَقوالِ وتعاليم الآباء، أَغلبهم من الشَّرقِ، حتَّى بعض الآباء الغربيّين الَّذين اعتمد عليهم كالفن مِثْلَ أُغسطينوس،كانوا شرقيّين لأَنَّهم عاشوا في الشَّرقِ، كما في المِثَالِ السَّابق. فأُغسطينوس عاش في شمالِ أَفريقيا. فهم دُعُوا غَربيّون نَظَرًا لأَنَّهمْ كانوا يتحدَّثون اللُّغة اللَّاتينيَّة.[١٦٢]

قدَّم صبرا نصيحةً هَامَّةً للمشيخيّين في هذا الشَّأْنِ يجدها الباحثُ في غَايةِ الأَهَمِّيَّة:

يجب على الإنجيليّين في الشَّرقِ الأَوسط أَنْ يَعُوا ويَقْتَنعُوا بأَنَّ إنجيلَ الإِصلَاحِ هُوَ أَمْرٌ عالميٌّ يخاطب كُلّ إِنسانٍ مِنْ أَيِّ عِرْقٍ وَلِسَانٍ وَفِي كُلِّ

(١٦١) المرجع السَّابق، ٩٤، ٩٥.

(١٦٢) المرجع السَّابق، ٨- ١٣٤.

زَمَانٍ وَمَكَانٍ. وَمَعَ أَنَّه بدأَ في أَلمانيا وسويسرا، واكْتَسَى رداء أُوروبًّا في كثيرٍ مِنَ الأَحيانِ، فإِنَّهُ في الصَّمِيم ظَاهِرَةٌ إِنسانيَّةٌ عَالميَّةٌ. فإِنجيلُ الإِصلاح الَّذي أَصرّ على الرّجُوعِ إِلى كَلِمَةِ الله الحيَّة والمُحْيية كمقياسٍ نِهائيٍّ لِكُلِّ إِيمانٍ ولاهوتٍ وفكرٍ مسيحيٍّ، شَدَّد على أَوليّةِ المسيح، ومركزيّتِه المطلقة، وعلى أَوليَّةِ النِّعْمَةِ ووحدانيتها للخلاصِ، وعلى عِبَادَةِ الله وحده وتَهْدِيم كُلّ أَشكالِ الوثنيّة، وسدّ كُلّ منافذهَا. كما ركّزَ على التَّبريرِ بواسطةِ الإِيمان لا بواسطةِ الأَعمال الشَّرائعيَّة، وعلى الثَّباتِ في الحُرِّيَّة الَّتي قَدْ حَرَّرنَا المسيحُ بِهَا (غَلَاطِيَّة٥: ١). هل هذا إِنجيل أُوروبِّيّ مَحَلِّيّ، أَمْ أَنَّهُ إِنجيل يسوع المسيح؟ عندما يَعِي الإِنجيليّون هويَّتهم ويُدْرِكُونَ مكانتهم سَيَرُونَ بوضوحٍ أَنَّهُ مازال لديهم ما يقولونهُ لأَنفسهمْ أَوَّلًا ثُمَّ لبيئتِهِمْ الشَّرقيَّة.(١٦٣)

إِلى أَيِّ زَمَنٍ تَنْتَمِي؟

الكنيسة المشيخيّة هي ليست كنيسة زمنيّة، بل كنيسة مُعَاصِرة لكُلِّ زمن. بحسب إِقرارات الإِيمان المشيخّية: "الكنيسة كَانَتْ وَكَائنة إِلى الأَبَدِ: لأَنَّ الله أَرَادَ مُنْذُ البدء أَنْ يُخلِّصَ البشرَ، ويأْتُوا إِلى معرفةِ الحقِّ (١تِيمُوثَاوُس٢:٤). فالكنيسة كانت وما تزال وستبقى ضروريّة حتَّى انتهاء الدّهر."(١٦٤)

(١٦٣) المرجع السَّابق، ٩٥

(١٦٤) چورچ صبرا، نؤمن ونعترف، المرجع السَّابق، ١٦٢.

فالكنيسة المشيخيّة تَتخطّى العصور والأَزمنة، لأَنَّها كنيسة "مُصْلَحة" أَي تُصْلِح نَفْسَهَا باستمرار. لهذا يبقى شعارها الَّذي وضعه جُون كالڤن "إِنّ الكنيسة المُصلَحة يجب أَنْ تُصْلِحَ ذَاتَهَا دَائِمًا."(١٦٥) فهو أَساسُ وجودها، فهي:

تَنطلق من الحاضر: فهي كنيسة واعية مُدْرِكة، لِكُلِّ ما يدور حولها، من أَفكارٍ وأَحداثٍ، من خلال أَبنائِهَا اللَّاهوتيّين الَّذين يُعَدّوا على أَعلى مُسْتَوى أَكاديميّ. فهي تدرس الواقع دراسةً مُتَأْنيّةً، وتُقدِّم رؤيةً كتابيَّةً لاهوتيَّةً أَبائيّةً مُعَاصِرة للحاضرِ، وتضع جسرًا للانطلاقِ للمستقبلِ، من خلال ثلاث خطوات:

خطوة للماضي: لمعرفةِ الإِجابة الكتابيَّة الأَصليَّة في زمنها، وتفسيرها في الكنيسة الأُولَى.

خطوة للحاضر: معرفة ما تعنيهُ لنا هذه التَّعاليم في وَقْتِنَا الحاضر، وكيف تُطبَّق بصورةٍ كتابيَّةٍ سليمةٍ، تَحْتَرِمُ الإِنسانيّة في مفهومِهَا الفرديّ والجماعيّ.

خطوة للمستقبل: لا تَتَوقّف الكنيسة المشيخيّة أَمام الحاضر فقطْ، أَوْ تعيش أَسيرة للماضي، لكنَّها تَبْنِي الجسور لأَولادهَا لكي ينطلقوا إِلى المستقبلِ، وهم على أَساسٍ كتابيٍّ ولاهوتيٍّ وإِنسانيٍّ صَحِيحٍ، من خلال التَّنبُّؤ بالمستقبلِ الَّذي ينبع من فَهْمِ ودراسةِ الماضي والحاضر معًا.

(١٦٥)مجلس العمل الرَّعويّ والكرازيّ -سنودس النّيل الإِنجيليّ، المرجع السَّابق، ١٢.

ما هو هدفها؟

الكنيسة المشيخيّة غايتها العُظْمَى هِيَ "مَجْدُ وَتَسْبِيحُ الله"[١٦٦] و"إِنجاز الغرض الإِلهيّ في التَّاريخِ"[١٦٧]

"يَعْتَبِرُ المشيخيّون مجدَ وتسبيحَ اللهِ كغرضٍ مركزيٍّ، إنَّ تمجيد الله هو طريقةٌ أُخرى لتأْكيدِ مجد وجلال الله، هذا لا يعني أَنَّهُ سيحدث في نعيمٍ سماويٍّ ولكن أَيْضًا في لحظةِ من حياتِنَا، ولكن يقودنا الكتاب المقدّس إِلى أَن نُمجِّدَ الله. توجُّه الفكر اللاهوتيّ المُصلَح هو في كُلِّ حياتِنَا نُمجِّد الله ونَسْتَمْتِعُ بِهِ، لكن حياتنا لحظة بلحظةٍ ويوم بيومٍ يجب أَن نحياها لمجدِ الله. في المجتمع والعالَمِ نَسِيرُ وَنَحْنُ نُمجِّد الله. هذه دعوةٌ شاملةٌ من الله ولا يوجد استثناء عندما يدعونا الله لأَنْ نُمجِّدهُ."[١٦٨]

فالكنيسة المشيخيّة رغم اهتمامها بالخلاصِ الفرديّ، إِلَّا أَنَّها تُدْرِكُ أَنَّ الخلاصَ في ذاتِ الوقتِ هو خلاصٌ جماعيّ من خلال الكنيسة الَّتي كانت دائمًا وما تزال وسوف تكون في فكرِ الله. فمجدُ وتسبيحُ الله لَنْ يَتِمَّ إِلَّا من خلالِ "إِنْجاز الغرض الإِلهيّ في التَّاريخِ" وهو الفداءُ الَّذي يجب أَنْ يتمتّعَ بِهِ كُلُّ المُعيَّنين من الله. فبحسب الإِيمان المشيخيّ:

(١٦٦) دارين كنيدي، المرجع السَّابق، ٨.

(١٦٧) المرجع السَّابق، ٩.

(١٦٨) المرجع السَّابق، ٨.

الله هو سيّدُ الوجود: "إنَّ الفكر الُمصْلَح يقوم أَيْضًا على مَبْدَأ سِيَادَةِ الله. وسيادةُ الله مَقْصُودٌ بِهَا سُلطان الله الُمعلَن على كُلِّ الخليقة، وعلى كُلِّ الكونِ. إنَّ الله هو "سَيِّدُ الأَرْضِ كُلّهَا." هُوَ مَنْ يُدِيرُ كُلَّ شَيْءٍ، ويُحرّك كُلَّ شَيْءٍ، وَيُوجِّهُ كُلَّ شَيْءٍ."[١٦٩] لهذا تؤمن الكنيسة المشيخيّة بأَنَّ:

كُلُّ التَّاريخ هو واضحٌ أَمام الله، فهو ليس أَجزاء أَوْ مراحل مُعيّنة مُتدرّجة، ولكنَّهُ وِحدةٌ واحدةٌ مخُطَّطة بحسب قُدرته الفائقة الَّتي لا يُمكن إِدْرَاكهَا. فالتَّاريخُ الإنسانيّ مُنظَّمٌ وَلَيْسَ عشوائيًّا أَوْ يسير بالصُّدْفَةِ، إِنَّما يسير في اتّجاهِ قَصْدِ الله الخلاصيّ لفداءِ البشريَّة.

الله ليس إِلهًا صامتًا أَوْ مُنعزِلًا عن العالَم، بل إِنَّ التَّاريخ هو المسرحُ الَّذي يعرض لنا قصّةَ تَعَامُلَات اللهِ مع أَولادِهِ المختلفين في اللَّونِ، الجنسِ، العقيدةِ ...إلخ. تُؤمن الكنيسة المشيخيّة بوجودِ الخطيَّة والشَّرِّ والشَّيطانِ. ولكن كُلّ هذا يخضع لسيادةِ الله الكُليّة "ففي الفكرِ الُمصْلَح اللهُ هو حقًّا الله. لَيْسَ هُنَاكَ، بالطَّبع، تقليل من قيمةِ الشَّرِّ والفسادِ والشَّيطانِ. فهذه كُلّهَا وَاقِعٌ، لا يَخْتَلِفُ عليها اثنان. لكن كُلّها تخضع، وبشكلٍ مُطلَقٍ، لسيادةِ الله. فَهُوَ مَنْ تَقِفُ يداهُ وراء كُلِّ حدثٍ، ولا يخرج أَيُّ فِعلٍ عن دائرةِ سُلْطَانِهِ، ويده العُليا في مَمْلَكَةِ النَّاسِ."[١٧٠]

(١٦٩) إدوين بامر، ترجمة وتحرير وجيه يوسف، مُعْجزَةُ النِّعمة، (القاهرة: المؤِّلف، ٢٠٠٩)، ٢٦.
(١٧٠) مقالٌ للقَسِّ وجيه يُوسُف تَمَّ نَشْرَهُ كَتَمْهِيدٍ لِكِتَابِ مُعْجِزَة النِّعْمَة في: إدوين بامر، ٢٧.

الله دائمًا يدعو أَولادَهُ ليكونوا مُشَارِكِينَ مَعَهُ في صُنْعِ التَّاريخ الإِنسانيّ، والعمل على حمايتِهِ وتَطوُّرِهِ وحِفْظِهِ.

ولأَجْلِ تحقيق هذا الغرض، وَضَعَتْ الكنيسة المشيخيّة إِسْتِرَاتيجيَّة لتحقيقِ غايتها: "المناداة بالإِنجيلِ لِأَجْلِ خلاص النَّاسِ، وحماية أَولاد الله، وتربِيَتهمْ، وإِيجاد الشِّركة بينهُمْ، والمحافظة على العبادةِ الإِلهيَّة، وحِفْظ الحقّ وأَحكام الدِّيانة الطَّاهرة، ونَشْر الصَّلاح الاجتماعيّ، وإِظهار ملكوت السَّماوات للعالَمِ."(١٧١)

هل الكنيسة المشيخيّة "بِدْعة مُعَاصِرة"؟

الإِجابةُ على هذا السّؤالِ في كَلِمَتَيْنِ: الكنيسة المشيخيّة هي كنيسة "رَسُولِيَّة آبَائِيَّة"، ولكن الموضوع يحتاج إِلى تَوضِيحٍ أَكثر:

يُنادِي الكثيرُ من التَّقليديِّين بِأَنَّ الكنيسةَ الإِنجيليَّة هي مُجرّد مجموعة انحرفت عن تعاليم الكنيسة. وَعَلَينَا كإِنجيليّين أَن نُدْرِكَ أَوَّلًا جوهرَ وحقيقةَ هذا الموضوع، ثُمَّ نُوضِّح صُورتَنَا الحقيقيَّة لِكُلِّ مَنْ يرمينا بحجارةِ التَّعَصُّبِ. هُنَا أَتَذَكّر كلمات اللَّاهوتيّ چون ستوت عندما قال: "الإِيمان الإِنجيليّ ليس بدعة معاصرة، أَوْ صيغة جديدة من المسيحيَّةِ نَحْنُ مُشْغُولونَ بِابْتِكَارِهَا. بل على العكسِ، لدينا الجراءة بِأَن

(١٧١) دستور الكنيسة الإِنجيليّة، ٣٨.

نَزْعَمَ أَنَّ الإِنجيليَّةَ المسيحيَّة هي مسيحيَّةٌ أَصيلةٌ ورسوليَّة ومُسْتَمَدَّة من العهدِ الجديدِ."[١٧٢] فالمُصْلِحَونَ لَمْ يَأْتُوا بِشَيْءٍ جديدٍ، إِنَّمَا اكتَشفُوا حقيقة المسيحيَّة الأَصِليَّة من خلالِ العودة للإِنجيلِ والبدَايَات. ويقول لُوثر "نَحْنُ لَا نُعلِّمُ تَعَالِيمَ جَدِيدة، بَلْ نُعِيدُ تَثْبِيت الأُمور القديمة، الَّتي علَّمَ بها الرُّسل وكُلّ المُعلّمين الأَتقياءِ مِنْ قِبَلِنَا."[١٧٣] كان هدف المُصْلِحِينَ، وَخُصوصًا كالڤن، هو: "خطوةٌ للأَمَام بِدُونِ إِهمالٍ للتَّقليدِ الماضي، أَي أَن ترجع الكنيسة إِلى حالتِهَا بَعْدَ القيامة مُبَاشَرةً".[١٧٤] أَي أَنَّ الكنيسةَ الإِنجيليَّة بُنِيَتْ على الكتابِ المقدَّس. ولكن بِكَونِ الرُّسل هُم الأَقْرَب إِلَى المسيح، فقد سمعوا وفهموا وأَدركوا وعاشوا هذه التَّعاليم، فيكون لتعاليمِهِمْ أَهَمِّيَّةٌ خاصَّةٌ للكنيسة. ولأَنَّ الآباء هُمْ الَّذين دَوّنُوا تعاليم الرُّسل، وصَاغُوا اللَّاهوت، وشرحوا الكتاب بِكُلِّ إِيمانٍ وتقوى،[١٧٥] فتكون تعاليمهم أَسَاسًا لَنَا، لأَنَّهُمْ حَلْقَةُ الوصلِ بين الكنيسة وتعاليم المسيح والرُّسل. ولكن ليس كُلّ التَّعاليم الآبَائِيَّة مَقْبُولةٌ إِلى جَانبِ أُمورٍ أُخرى يُوضِّحها لنا اعترافُ الإِيمان:[١٧٦]

(١٧٢) چون ستوت، ١٨.

(١٧٣) المرجع السَّابق، ١٩.

(١٧٤) دارين كنيدي،٣.

(١٧٥) توماس ف. تورانس، ٢٢.

(١٧٦) اعتراف الإِيمان الهلفيتيّ الثَّاني ١٥٦٦م. في التُّراثِ الإِنجيليّ المُصْلَح شَيْءٌ يُسمّى «اعتراف إِيمان»، وهو بمثابة تَعْبِير كَنَسيّ خَطِّيّ عن التَّعاليم والعقائد الإِنجيليّة وشرح لها. وله صفةٌ مُلزِمةٌ طالما أَنَّهُ يُعَبِّرُ بأَمَانةٍ عن كلمةِ الله كَمَا هي موجودة في الكتاب المقدّس. چورچ صبرا، ٢٤.

لذا فنحن لا نحتقر تفاسير الآباء الشَّرقيِّين (اليُونَانيِّين)، وَالْغَرْبِيِّينَ (اللَّاتين)، ولا نرفض مُنَاظرتهمْ وأَبْحَاثهم فيما يختصُّ بالأُمور الدِّينيَّة بِقدرِ مَا تَتَوافَق مع الأَسْفَارِ (المُقدّسة). ولكنَّنا نُخَالفهمْ بِكُلِّ اتِّضَاعٍ، حَيْثُمَا نجد أَنَّهمْ يَقُولُونَ أَشْيَاء تَخْتَلِفُ أَوْ تَتَعَارَضُ كُلِيًّا مع الأَسْفَارِ المقدّسة. ولا نعتقد أَنَّنا نُخْطِئ بحقِّهِمْ فِي ذلك، عَالِمِينَ أَنَّهم ذاتهم، وبإجماعٍ كُلِيٍّ، لا يريدون أَن تُسَاوَى كتاباتهم بالأَسْفَارِ القانونيَّة، وإِنَّمَا يُوصونَنَا أَنَ نفحصَ مدَى تَوافُقِ كتاباتهم أَو تَعَارُضها مع الأَسْفَارِ القانونيَّة، وأَنْ نَقْبَلَ منها ما يَتَوافق وَنَرفُضَ ما لا يتوافق معها.(١٧٧)

أَمَّا فيما يُقال حول أَنَّ الكنيسة الإِنجيليَّة المشيخيَّة هي خروجٌ عنِ المسيحيَّةِ، فهذا اتّهامٌ باطلٌ وغير موضوعيٍّ؛ فإِيمانُ الكنيسة المشيخيّة مبنيٌّ على قوانين وإِقرار الإِيمان، ولا نستطيع هُنَا أَن نُركِّز على كُلِّ القوانين، لكنَّنَا سوف نَسْرِدُ فقطْ قانون الإِيمان النّيقاويّ- القُسْطنطينيّ، الَّذي يُوضّح إِيمان كنيستنا المشيخيّة:

"الإِيمان والتَّقوى": بالحقيقةِ أُؤمِـن.

وحدانية الله: بإِلهٍ وَاحِـدٍ،

الآب: الله الآب، ضَابِطُ الْكُـلِّ "قَادِر عَلَى كُلِّ شَيْءٍ".(١٧٨)

الخَـلْقُ: خـالقُ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، مَا يُرَى وَمَا لَا يُرَى،

(١٧٧) المرجع السَّابق، ١٢٥، ١٢٦.

(١٧٨) المرجع السَّابق، ٢٣.

الْابْنُ (يَسُوعَ الْمَسيح): وَبِرَبٍّ وَاحِدٍ يَسُوعَ الْمَسِيح، ابْنُ الله الْوَحِيد، المولود مِنَ الْآبِ قَبْلَ كُلِّ الدُّهُورِ، نُورٌ مِنْ نُورٍ، إِلَهُ حَقٍّ مِنْ إِلَه حَقٍّ، مَولُود غير مخلوق، واحدٌ مَعَ الْآبِ فِي الْجَوهَرِ، الَّذِي بِهِ كَانَ كُلُّ شَيْءٍ، الَّذِي مِنْ أَجْلِنَا نَحْنُ الْبَشَرِ وَمِنْ أَجْلِ خَلَاصِنَا نَزَلَ مِنَ السَّمَاءِ،

التَّجَسُّدُ: وَتَجَسَّدَ مِنَ الرُّوحِ الْقُدُس، وَمِنْ مَرْيَم الْعَذْرَاء، وَتَأَنَّس،

الْفِدَاءُ: وَصُلِبَ عَنَّا عَلَى عَهْدِ بِيلَاطُس الْبُنْطِيّ، وَتَأَلَّم، وَقُبِرَ،

قِيَامةُ الْابْنِ: وَقَامَ مِنْ بَيْنِ الْأَمْوَات فِي الْيَوْمِ الثَّالث،كَمَا فِي الْكُتُبِ،

الْصُّعُودُ: وَصَعَدَ إِلَى السَّمَاوَاتِ، وَجَلَسَ عَنْ يَمِينِ الْآبِ،

الدَّيْنُونَةُ: وَأَيْضًا يَأْتِي فِي مَجْدِهِ لِيَدِينَ الْأَحْيَاءَ وَالْأَمْوَات، الَّذِي لَيْسَ لِمُلْكِهِ انْقِضَاء،

الرُّوحُ الْقُدُس: نَعَمْ أُؤمِنُ بِالرُّوحِ الْقُدُس، الرَّبُّ الْمُحْيِي، الْمُنبَثِقُ مِنَ الْآبِ قَبْلَ كُلِّ الدُّهُورِ،

الثَّالُوث الْقُدُّوس: نَسْجُدُ لَهُ وَنُمَجِّدهُ مَعَ الْآبِ وَالْابْنِ، النَّاطِقُ فِي الْأَنْبِيَاءِ،

الْكَنِيسَة: وَبِكَنِيسَة وَاحِدَةٍ، مُقَدَّسَةٍ، جَامِعَةٍ، رَسُولِيَّة،

الْمَعْمُودِيَّةُ: وَأَعْتَرِفُ بِمَعْمُودِيَّةٍ وَاحِدَةٍ لِمَغْفِرَةِ الْخَطَايَا،

الرَّجَاءُ: وَأَنْتَظِرُ قِيَامَةَ الأَمْوَاتِ وَحَيَاةَ الدَّهرِ الآتِي.آمِين.

وَبِما أَنَّ الكنيسة المشيخيّة تُؤمن بقانونِ الإِيمان، لهذا نَرى أَنَّ هذا الإِيمان هو أَساسُ الكنيسة، وَلنأْخُذَ مِثَال وهو المتعلِّقُ بِجوهرِ الكنيسة "وَبِكَنِيسَةٍ وَاحِدَةٍ، مُقَدَّسةٍ، جَامِعَةٍ، رَسُولِيَّةٍ."

كنيسة واحدة:

يُؤمنُ وَيَعْتَرِفُ اللَّاهوت المُصلَح بأَنَّ الكنيسة هي:

جَماعةُ المؤمنين الَّتي دُعِيَتْ أَوْ جُمِعَتْ مِنَ العالَمِ. أَقول إِنَّها شَرِكةُ جميع القدّيسين، أَي شَرِكة الَّذين يعرفون الإِله الحقّ في المسيح المُخلّص معرفةً حقيقيَّةً ويعبدونهُ ويخدمونهُ بحقٍّ، والَّذي يشتركون في كُلِّ منافعهِ المُعطاة بالمسيح. إِنَّهم مواطنون جُمهوريّة واحدة: المؤمنون هُمْ مواطنو مدينة واحدة، ويعيشون تَحْتَ رَبٍّ واحدٍ وقوانين واحدة، وفي شَرِكَةٍ واحدةٍ في كُلِّ الأُمورِ الصَّالحة. فإِنَّ الرّسول يدعوهم "رَعِيَّةٌ مَعَ الْقِدِّيسِينَ وَأَهْلِ بَيْتِ الله" (أَفَسُس٢: ١٩). وَيُسَمَّى المؤمنين هُنَا على الأَرضِ "قدّيسِين" (١كُورِنْثُوس٤: ١)، وصار تقديسهم بدمِ ابن الله. إِنَّ بَنْدَ قانون الإِيمان القائل: "أُؤمن بكنيسة مُقَدَّسةٍ جَامِعَةٍ، شَرِكة القِدِّيسين" يجب فهمهُ على أَنَّهُ يتحدّث عن هَؤلاء الْقِدِّيسِين.

وبما أَنَّ الله واحدٌ للأَبدِ، والوسيط بين اللهِ والبشرِ واحدٌ -يَسُوعَ الْمَسِيح- وراعٍ واحد للقطيعِ كُلّه، وَرأَس واحد لهذا الجسد، وأَخيرًا رُوح واحد وخلاص واحد وإِيمان واحد وعَهْد أَوْ مِيثَاق واحد، فهناك بالتَّالي وبالضَّرورةِ كنيسة واحدة وحيدة.[١٧٩]

كنيسة مُقَدَّسة:

لأَنَّ رأْسَ ومركز الكنيسة هو المسيح القدُّوس، الَّذي يُقدِّس كنيسته (أَفَسُس١: ٢٢، ٢٣؛ ٤: ١٥، ١٦؛ ٥: ٢٣). فالكنيسة مُقدَّسة لِأَنَّها هيكلُ الله القُدُّوس (١كُو٣: ١٦، ١٧)، الَّذي يَعْتَنِي بها من خلال روحهِ الْقُدُس. لهذا فالكنيسة لا يوجد بها خطيّة لِأَنَّها مُقدَّسةٌ فِي حَدِّ ذَاتِهَا، مِنْ خلال قداسة الله لأَنَّهُ يُقَدِّس المؤمنين الْمَدْعُوين "قدِّيسين" مهما كان حالهم (رُو١: ٧؛ ١كُو١: ٢؛ ٢كُو١: ١؛ أَفَ١: ١). وهذا ليس معناهُ أَنَّهُ بكونِ الكنيسة مُقَدَّسة، أَنَّ الأَعضاءَ قد تَحرّروا من الخطيَّةِ. ولكن القداسة هي رحلةٌ تبدأُ مِنَ التَّبريرِ وَتَسْتَمِرُّ في حياةِ الجهاد (١كُو٩: ٢٥؛ أَفَ٦: ١٢، ١٣؛ فِي٢: ١٢، ١٣). فلديهم قُوَّة الرُّوح الْقُدُس الَّتي تُسَاعدهمْ وتَعْضدهمْ مِنْ أَجْلِ تحقيق القداسة الَّتي تَظْهَرُ فِي ثَمَرِ الرُّوح الْقُدُس (غَل٥: ٢٢، ٢٣).[١٨٠]

---

(١٧٩) المرجع السَّابق، ١٦٢.

(١٨٠) مجلس العمل الرَّعويّ والكرازيّ -سنودس النّيل الإِنجيليّ،٩٧، ٩٨.

كنيسة جامعة:

"ندعو هذه الكنيسة جامعة لِأَنَّها "عالميّةٌ"، أَي مُنْتَشرة فِي كُلِّ أَنْحَاءِ العالَم وَمُمتدّة في كُلِّ العصور، وليست محدودة بالأَزمنة أَوْ الأَمْكنَة."[١٨١] "نُؤمنُ أَنَّ الكنيسة جامعةٌ أَي تشمل جميع البشرِ مِنْ كُلِّ قَبيلَةٍ وَلِسَانٍ (رُؤْ٧: ٩)، وَكُلّ بلادِ العالَم ولا تتقيّد بعصرٍ أَوْ بجيلٍ. فَمِنْ مَشْرِقِ الشَّمْسِ إِلى مَغْرِبِهَا اسْمُ الرَّبِّ مُمَجَّد (مَزْ١١٣: ٣؛ مُلُ١: ١١). وفي الكنيسة تَزُولُ كَافّة الفوارق (غَل٣: ٢٨)."[١٨٢]

ويُؤمنُ المشيخيّون أَنّ الكنيسة جامعةٌ للكنيسة الأَرضيّة والكنيسة السَّماويّة في اتِّحادٍ: "هناك الكنيسة المجاهِدة والكنيسة المنتصرة. الأُولَى، لا تزال تُجاهِد على الأَرضِ وتُحَارِبُ الجسد والعالَم ورئيس هذا العالَم - الشّيطان- وأَيضًا الخطيئة والموت."[١٨٣] ونُميّز بين صُورَتَيْنِ للكنيسة المُجَاهِدة:

- الكنيسة غير المنظورة: "ونُؤمنُ أَنَّ الكنيسة كجماعةِ المؤمنين الحقيقيّين، فِي كُلِّ العصُورِ والأَجيالِ وَكُلِّ بلادِ العالَم، هي الكنيسة غير منظورة، شَرِكَة المؤمنين (١يُو١ : ٣؛ أَف٣: ١٦– ١٨) عَرُوس المسيح (أَف٥:

(١٨١) چورچ صبرا، نُؤمنُ وَنَعْتَرِفُ، ١٦٣.

(١٨٢) مجلس العمل الرّعويّ والكرازيّ -سنودس النّيل الإِنجيليّ، ١٠١.

(١٨٣) چورچ صبرا، ١٦٣.

٢٧، ٣٢؛ رُؤْ١٩: ٧)، مِلء الَّذِي يَمْلَأُ الْكُلَّ وَفِي الْكُلِّ (أَفَ٢: ٣٢).»[١٨٤]

- الكنيسة المنظورة: وَنَحْنُ نُؤمِنُ أَيْضًا أَنَّ الرَّبَّ يَسُوعَ قَصَدَ أَن تكونَ لَهُ فِي كُلِّ عَصْرٍ وَجِيلٍ وَفِي كُلِّ أَنْحَاءِ العالَم كنيسة منظورة، هي جماعةٌ حيَّةٌ، لا بناء ماديّ، من رجالٍ ونِسَاءٍ مِنْ كُلِّ الأَعْمَارِ والأَجْنَاسِ وَالخلفِيَّات. إلَّا إنَّ كلمة الله تُعلّمنا أَنَّ الكنيسة المنظورة قد يدخل في عضويتها أَشخاصٌ يدَّعون الإيمان بالمسيح، بل يدَّعون القيام بأَعمالٍ عظيمةٍ باسمهِ، ولكنَّهمْ لا ينتمون إليهِ حقًّا (مَتّ٧: ٢٢، ٢٣؛ ١يُو٢: ١٩)، وبذلك فقد يكون هُنَاكَ أَعْضاءٌ في الكنيسة المنظورة لا ينتمون للكنيسة غير المنظورة. ونُؤمنُ أَنَّ الرَّبَّ وحده هو الَّذي يَعْرِفُ المؤمنين الحقيقيّين (٢تِي٢: ١٩) وسيُعْلِنُ هذا في اليومِ الأَخير (١كُو٤: ٥).

إلَّا إنَّ البناء الماديّ يُمثِّل فِي أَماكن كثيرة من العالَم شهادةً وامتدادًا وتواجدًا لكنيسة المسيح.

وإِدْرَاكًا لكونِ الكنيسة في العالَم، وإِنْ لَم تَكُنْ مِنَ العالَم (يُو١٧: ١٤- ١٦). فنحن نُؤمنُ بحاجةِ الكنيسة المستمرّة إلى المراجعةِ والإِصلاح بعملِ الرُّوح الْقُدُس من خلالِ الكلمة المقدَّسة. وفي عالَمٍ مليء بالشَّرِّ والخطيَّةِ، تَحْيَا الكنيسة كعلامةٍ عَلَى عنايةِ الله وإعلان محبَّتهِ للعالَمِ (١يُو٤: ١٢).[١٨٥]

---

(١٨٤) مجلس العمل الرّعوي والكرازي -سنودس النّيل الإِنجيليّ، ٩٣.

(١٨٥) المرجع السَّابق، ٩٣، ٩٤.

وأَمَّا الثَّانيةُ، فحيث إِنَّها قد أُعْتقَتْ هُنَا على الأَرضِ، فهي تنتصرُ في السَّمَاءِ مباشرةً بَعْدَ غلبتها على كُلِّ هذه الأَشياءِ وَتَفْرح أَمَامَ الرَّبِّ. ومع ذلك فإِنَّ ثَمَّة شَرِكة واتِّحاد بين الاثنتَيْنِ... وفوق ذلك فإِنَّ الكنيسة المجاهِدة على الأَرضِ، تَتَأَلَّفُ من كنائس محليّة عديدة. ولكن وحِدَة هذه الكنائس كُلّها ترتبط بوحدةِ الكنيسة الجامعة. إِنَّ الكنيسة المجاهِدة تَخْتَلِفُ في وضعِها في ما قَبْل الشَّريعةِ أَيَّام الآباء، عَنْ وضعِهَا وهي تَحْتَ مُوسَى بالشَّرِيعةِ، وكذلك عنها بالمسيحِ بواسطة الإِنجيل.(١٨٦)

كنيسة رسوليّة:

لا يعني كَوْن الكنيسة رَسُولِيَّة أَنَّها تُنْسَبُ إِلى تِلْمِيذٍ أَوْ رَسُولٍ، فهذا غَيْرُ صَحيحٍ. لِأَنَّهُ لَوْ صَحَّ هذا الأَمر، لخَرجَت أَوّل وأَنْشط كنيسة في التَّاريخ عَنْ أَنْ تكونَ كنيسة مسيحيّة. فمن المعروف أَنَّ كنيسة أَنْطَاكِيَة الَّتي قَادَتْ المسيحيّة في القرنِ الأَوّل، وكانت مركزًا لإِرْساليّةِ الكنيسة للعالَم، ودُعِيَ فِيهَا التَّلَاميذ مَسِيحِيِّينَ.لَمْ يُنْشِئُهَا رَسُولٌ أَوْ تِلْمِيذٌ، بَلْ أَسّسهَا مجموعةٌ مِنَ الخُدَّامِ العِلمانيّين الأُمِيّين (أَعْ١١: ١٩، ٢٠):(١٨٧)

---

(١٨٦) چورچ صبرا، نُؤمنُ ونَعْتَرِفُ، ١٦٣.

(١٨٧) إِلياس مَقَار، ٤٦٣، ٤٦٤.

ونُؤمنُ أَنَّ الكنيسة رَسُولِيَّةٌ لِأَنَّهَا تَتَمَسَّكُ بِتَعَاليم الرُّسل، (أَع٢: ١٢)، وبالإِيمانِ المُسلَّم مَرّةً لِلْقِدِّيسِينَ (يَه٣)، والَّذِي نَحْنُ وُكَلاء عَلَيْهِ لِنُسَلّمهُ لِمَنْ يُؤمنونَ مِنْ بَعْدِنَا (٢تي٢: ٢). والكنيسة رسوليَّة لِأَنَّهَا تَقْبَلُ أَنْ تَأْخُذَ على عاتِقِهَا جِيلًا بَعْدَ جيلٍ، المسئوليَّة العُظْمَى الَّتي كَلَّفَ الرَّبُّ يَسُوعَ الرُّسلَ بِهَا (مَتَّ٢٨: ١٦- ٢٠). فهي لا تعتمد فِي رسوليّتِهَا عَلَى تَسَلْسُلٍ بشريٍّ تَشُوبَهُ الضَّعفات والنَّقائص، بل على التَّمسُّكِ بالتَّعليمِ الرَّسُوليِّ الصَّحيح والسَّليم المُؤسَّس على كلمةِ الله.

ونُؤمنُ أَنَّهُ كما كانت للرُّسلِ شخصيات متنوعة ومواهب مميّزة لِكُلٍ منهم. فالكنيسة مدعوَّة لأَنْ تُعبِّر عن رسوليّتِهَا فِي خدمتِهَا للعالَم بِصُورٍ وأَشْكَالٍ مُتَنَوّعةٍ تَتَنَاسَبُ مع التَّنوّعِ الَّذي نلمسهُ في المجتمعات المختلفة. وولاؤها الأَوّل والأَساسيّ هو للمسيحِ وليس للانتماءِ الطَّائِفِيِّ.(١٨٨)

ما الموقف الإِنجيليّ تجاه مَرْيَم الْعَذْرَاء؟

فِي مَطْلَعِ حديثِهِ عن مريم العذراء، يقول اللَّاهُوتِيّ الإِنجيليّ الدُّكتور القَسّ "إِلْيَاس مَقَار"، إِنَّنا نحتاج إِلى صِفَةٍ هَامَّة جِدًّا عندما ندرس حياة مريم العذراء، قد لا نحتاج هذه الصِّفة إِذا درسنا أَيّة شخصيّة أُخرى، وَهِي، صِفَةُ "الاعتدال وعدم التَّطرُّف." لِأَنَّنا أَمام اتّجاهَيْنِ كُلٌّ مِنهما مُتَطَرِّفٌ:

(١٨٨) مجلس العمل الرّعويّ والكرازيّ -سنودس النّيل الإِنجيليّ، ١٠١.

الموقف التَّقليديّ: الَّذي يرفعها إِلى مَجْدِ الْعِبَادَةِ.

الموقف الإِنجيليّ: الَّذي اضْطَرَّ إِلى إِهمالِهَا وَالتَّقْلِيلِ مِنْ قِيمَتِهَا،كَرَدِّ فِعْلٍ تِجاه الموقف الأَوَّل.(١٨٩)

لهذا في البدايةِ علينا أَن نُحرِّر أَنْفُسَنَا من خلفيَّتِنَا، لا أَقْصِدُ التَّخلّي عن عقيدتِنَا ولَاهُوتِنَا، ولكن أَقْصِدُ الخلفيّة الَّتي تكوّنت كنتيجةِ رَدِّ فعلٍ. فلم يكن أَبَدًا لاهوتنا المشيخيّ ردّ فعلٍ، بل هو دائمًا جوهريّ مُبَادِرٌ نَحو الحقِّ. وَمِنْ ثَمَّ سَوف نَسْتَعْرِضُ الموقف الإِنجيليّ مُتَمَثِّلًا في رأْي آباء الإِصلاح وبعض اللَّاهوتيّين، ثُمَّ نَعْرِضُ مَلامح لدروس من حياةِ مريم كَجُزءٍ تَطْبِيقِيٍّ.

تحليل واقعيّ للموقفِ الإِنجيليّ:

يتلخّص هذا الموقف في ثلاث كلمات "رافض، دفاعيّ، جدليّ." وهذا الموقف تكوَّن نتيجة خلْط كبير وَقَع فيه الإِنجيليّون بِشأْنِ مريم العذراء؛ عندما خَلَطُوا بَيْنَ مَاهيّة مريم الَّذي يَجلّها ويمجّدها الكتاب المقدّس، وبين تصرُّفاتِ الكنائس التَّقليديَّة الَّتي غَالَتْ في التَّمْجِيدِ حتَّى وَصَلَتْ إِلى شِبْهِ عِبَادة المُطوبة مريم. أَدَّى هذا الأَمر إِلى تَكْوِينِ موقفٍ رافضٍ غَيْر موضوعيٍّ، فالإِنجيليّون رفضوا المُختارة من الرَّبِّ، وَتتلخّص أَسباب هذا الموقف في عدّةِ نقاط:

(١٨٩) إِلياس مقار، ١٩١.

الموقفُ الإنجيليّ تجاه المسائل المريميّة، هو ردُّ فعلٍ تجاه الأَخطاء الَّتي نَتَجَتْ عن أُسلوبِ تَعَامُلِ الكنائس التَّقليديَّة بِشأْنِ القدّيسة مريم. فقد أَدّت المُغالاة في تمجيدِ مريم إِلى حَدِّ عبادتها وإِعطاءها مجد وكرامة لا يأْخذها المسيح في هذه الكنائس؛ فكان من الطَّبيعيِّ أَن يحدُثَ استياء من قِبَلِ الإنجيليّين من هذا الأَمر. وهذا ما نراهُ بأَكثرِ وضوحٍ في القرونِ الوسطى عندما "عَبَدَهَا النَّاسُ عِبادةً صريحةً، ويكفي أَن نَضْرُبَ لذلك مثلًا واحدًا من الصَّلوات المنقولة إِلينا من ذلك التَّاريخ، لقد كانوا يُنَاجُونَهَا بالقولِ: «تَعْبُدُكِ كُلُّ الأَرضِ يا خطيبة الْآبِ الأَبديّ ... تَعَطَّفي عَلينا يا مريم الحلوة، واحْفَظِينَا مِن الْآن وَإِلى الْأَبَدِ دُونَ خَطِيَّة»[١٩٠] في دراستهِ الرَّائعة "الإِنجيليُّون وَمَرْيَم الْعَذْرَاء"[١٩١] يقول اللّاهوتيّ چورچ صبرا: "لقدْ شَعَرَ الإِنجيليّون عَبْر العصورِ بأَنَّ الكنائس المسيحيّة الأُخرى، وبالأَخصِّ الكنيسة الرُّومانيَّة الكاثوليكيَّة، قَدْ تَخطّتْ شهادة كلمة الله المكتوبة في بعض نواحي التَّقوى المريميَّة وفي بعضِ العقائد المريميَّة أَيضًا. فكان ردُّ فعلِ الإِنجيليّين أَنَّهم تحفّظُوا جِدًّا حول مُعْظَم المواضيع الَّتي تتعلّق بمريم العذراء. فصارت مريم العذراء مُرتبطة بقصَّةِ الميلاد فقطْ،

(١٩٠) المرجع السَّابق، ١٩٩.

(١٩١) نُشرت هذه الدِّراسة بالإِنجليزيَّة في مَجَلَّة كُليَّة اللَّاهوت للشَّرقِ الأَدنى- بيروت: Theological Review XVI (1995)، pp. 3- 25. ، لكن الباحثُ يَعْتَمِدُ على نَفْسِ الدِّراسة الَّتي عُدِّلت بعض الشَّيء، وَأُضيف إِليها. وقد نَشرَهَا الدّكتور القَسّ/ چورچ صبرا باللُّغَة العربيَّة تَحْتَ عنوان «الإِنجيليّون ومريم العذراء»، ضمن مجموعة مقالات أَصدرتها دار منشورات النَّفير تَحْتَ عِنْوان «في سبيل الحوار المسكونيّ: مقالات لاهوتيّة إِنجيليّة.»

فَقَلَّما يُؤتى على ذِكْرِهَا خارج إِطَارِ مُنَاسَبَةِ الميلاد.»[١٩٢]

ساهَم العهد الجديد في تَبَلْوُرِ الموقف الإِنجيليّ:

فَلَمْ يَهْتَمّ كُتَّابُ الإِنجيل بإِبرازِ قيمة مريم العذراء خارج قِصَّةِ الميلاد.

يوجد صمتٌ غريبٌ فِي كُلِّ أَسْفَارِ العهد الجديد عن مريم؛ فحتَّى بُولُس الرَّسول، الَّذي تَنَاوَل فِي كثيرٍ من رسائلهِ ميلاد السَّيِّد المسيح، لم يُشِرْ إِلى مَرْيَم العذراء.

الأَمْرُ يأْخُذُ مَنْحَنَى أَكثر من ذلك؛ فتوجد بعض النُّصوص الَّتي تَنَاولَتْ عَلاقة المسيح بعائلته بِصورةٍ سَلْبِيَّة، خُصوصًا مَرْقُس الَّذي يرسم لنا صورةً سَلْبِيَّةً عن هذه العَلاقة (مَرْقُس٣: ٣١- ٣٥).[١٩٣]

الموقف الإِنجيليّ الصَّحيح تجاه العذراء مريم:

لخّص اللَّاهوتيّ صبرا الموقف الإِنجيليّ الصَّحيح في ثلاثِ كلمات هي "الاحترام والانفتاح والمحبّة"[١٩٤] وهذا الرَّأْي مَبنيٌّ على آراءِ آباءِ الإِصلاح، ودراسة موضوعيّة في اللَّاهوت الإِنجيليّ. ولِكَيْ نَتَعَمّقَ أَكثر يَعْرِضُ الباحثُ آراءَ آباءِ الإِصلاح:

(١٩٢) چورچ صبرا، في سبيل الحوار المسكونيّ: مقالات لاهوتيّة إِنجيليّة، ١٧٢.

(١٩٣) المرجع السَّابق، ١٧٢.

(١٩٤) المرجع السَّابق، ١٧٣.

مارتن لوثر: أَبو الإِصلاح الإِنجيليّ، أَلّفَ كِتَابًا عن العذراء مريم يَتَحَدّثُ فِيهِ عن "نَشِيدِ مَرْيَم" (لُوقَا١: ٤٦- ٥٦)، وتحدّث عن "العذراء المجيدة" وعن "أُمِّ الله الوديعة المُتَواضِعة"، الَّتي نَظَرَ إِليها اللهُ، بكونِهَا إِناء لنعْمَتهِ.[١٩٥] يُؤكِّد لوثر "أَنّ مريم العذراء ليست مِثَال المؤمن المسيحيّ فَحَسب، بل هي مِثَالُ الكنيسة، إِنّها رَمْزُ الكنيسة فِي إِطاعتِهَا لِأَمْرِ الرُّوح الْقُدُس، وفِي تواضعِهَا وفِي دعوتِهَا العظيمة. وهي تَالِيًا تَجْسِيمٌ للنِّعْمَةِ غَيْر المُستحَقَّة."[١٩٦]

چون كالڤن: كرّمَ كالڤن العذراء مريم، وقال عنها أَنَّها "مُعلِّمتنا"، "مِثَالًا يُحْتَذَى بِهِ" فِي: التَّلْمَذَةِ، معرفةِ الْكِتَاب، تَمْجِيدِ الله والشَّهادة للنَّاس. صَّور كالڤن مريم، وما تَعْنِيهُ للإِيمانِ المسيحيِّ، بطريقةٍ أَخلاقيَّةٍ تَعْلِيمِيَّةٍ مُرْتَكِزَة عَلَى الأَناجيل، وخصوصًا بداية إِنجيل لُوقَا.[١٩٧] كَتَبَ كالڤن مُفسِّرًا (لُوقَا١: ٤٢): "لَا نَقْدرُ الْيَوْمَ أَنْ نَحْتَفِلَ بِالْبَرَكَةِ الْمُعْطَاة لَنَا فِي الْمَسِيحِ، مِنْ دُوْنِ أَنْ نَتَذَكّرَ فِي الْوَقْتِ ذَاتِه الشَّرَفَ الرَّفِيعَ الَّذِي مَنَحَهُ اللهُ لِمَرْيَم الَّتِي اخْتَارَهَا لِتَكُونَ أُمًّا لِابْنِهِ الْوَحِيد."[١٩٨]

(١٩٥) المرجع السَّابق، ١٨١. المصدر: TRE.vol ٢٢.H. Grote، p.١٣٥.

(١٩٦) المرجع السَّابق، ١٨١. المصدر E. Gritsch، The One Mediator، The Saints and Mary. Lutherans and Catholics in Dialogue. VIII Ed. H. G. Anderson et al. (Minneapolis Augsburg Fortress، 1992)،p. 239.

(١٩٧) المرجع السَّابق، ١٨٢. المصدر: M. Heymel، Maria entddecken. (reiburg: Herder،1991)،p.28- 30.

(١٩٨) المرجع السَّابق، ١٨٢. المصدر: H. Oberman " The Virgin Mary in Evangelical Perspective" The Journal of Ecumenical Studies 1 (1964)، p. 90.

أَولريج زوينجلي: سُئِلَ عن كَيْفَ نُكرِّم العذراء بطريقةٍ صحيحةٍ، فكانت إِجابتهُ منطَقيَّةً وكتابيَّةً ذات أَبعاد لاهوتيَّة اجتماعيَّة.[(١٩٩)] قال زوينجلي: "ليس بالشّمُوعِ والبخورِ والأَغَاني... فهي لا تحتاج إِلى كُنُوزِنَا، ولا حتَّى لتدشينِ كنائس على اسْمِهَا، بل هي ترُيِدُ أَنْ تُكرَّمَ وتُمْدَحَ في نِسَاءِ هذا الْعَالِمِ وَبنَاَتِه. نُكْرَّمها بإِعطاءِ المال الَّذي نَصْرفهُ على الشّمُوعِ، مِنْ أَجْلِ الحفاظ على كَرَامَةِ النِّسَاء والفتيات الفقيرات اللّواتي شَوَّه الفقرُ جَمَالَهُنَّ.[(٢٠٠)] ويُعلِّق صبرا قائلًا: "تكريم مريم العذراء إِذًا يكون بالالتفاتِ إِلى الفُقراءِ؛ لِأَنَّ مريم وابنها، كما يقول زوينجلي، هُمَا قُرْب الفقراء منذ ميلاد يسوع { Heymel، p.28}، نَرَى هُنَا مريم في كونِها ناطقة باسْمِ فقراء شعب الله، باسم المقهورين والمساكين والمهمَّشين، وكما يرسمها لُوقَا، هي رمزٌ لأُولئكَ الَّذين يطيعون كلمة الله، للبقيَّةِ الَّتي تَرِثُ الملكوت."[(٢٠١)]

كتب القَسَّ الإِنجيليّ "شارل دريلانكور" في مُنتصفِ القرن السَّابع، صلاةً جميلةً تَقول: "أَيُّهَا الإِلهُ العظيم، إِنَّكَ في قدرتِكَ اللامُتَنَاهِية وَغَيْر المُدرَكَة، أَخْرَجْتَ مِنْ إِنْسَانٍ (آدم) أُمَّ الأَحْيَاءِ (حَوَّاء)، بِدُوْنِ مُشَاركة الْمَرْأَةِ، بحسبِ غِنَى كُنُوزِ حِكْمَتِكَ الَّتي لَا تَنْضُبُ، وَرَأَيتَ مُنَاسِبًا أَنْ

(١٩٩) المرجع السَّابق، ١٨٢.

(٢٠٠)المرجع السَّابق، ١٨٢. المصدر: M. Heymel، Maria entddecken. (Freiburg: Herder،1991)،p.26.

(٢٠١) المرجع السَّابق، ١٨٢.

تُكَوِّنَ أَميرِ الْحَيَاةِ، مِنْ جوهَر امْرَأَة، بِدُونِ تَدَخُّلِ رَجُل. لقَدْ جَلَبَتْ لَنَا امْرَأَةٌ ثَمَرَةَ الموتِ، وَهَا امْرَأَة أُخْرَى تُقَدِّمُ ثَمَرَةَ الْحَيَاةِ وَالْخُلُودِ."

اللَّاهوتيّ كَارَل بَارت: قَال، "يجب أَن نَحْتَرِمَ شهادة الَّذين كانوا قَبْلَنَا فِي الكنيسة والَّذين هُمْ مَعَنَا الْآنَ فِيها؛ لِأَنَّها شهادةُ آبائنا وإِخْوتنا الَّذين نَحْتَرِمُ وَنُحِبُّ."[٢٠٢]

القَسّ لَبيب مِشْرِقي: لا عَجَبَ أَنْ يَضطرِبَ القلمُ وَهُوَ يَقْتَرِبُ مِنْ قُدْسِ العذراء المبارَكة. فإِنَّها، وإِنْ تَكُنْ مِنَ البشرِ، إِلَّا إِنَّ أُمومتها للسَّيِّدِ تُضْفِي عَلَى شَخْصِهَا نُورًا قُدْسِيًّا يَرْفَعُهَا عَنْ طَبَقَةِ البشرِ العادِيِّين.[٢٠٣]

بَعْدَ عَرْضِ الآراء السَّابقة، يَتَجَدَّدُ السُّؤال: لماذا بَعُدَ الكثيرُ من الإِنجيليّين عن موقفِهِمْ الأَصيل تجاه مريم العذراء؟ يُجيب على هذا السُّؤال اللّاهوتيّ چورچ صبرا:

بالنِّسبةِ لإِصلاح القرن السَّادِس عشر، لم يكن تكريم العذراء يُشَكِّل أَيَّة مُشْكِلة. لقد أَبْقَى بعضُ المُصْلِحِينَ الْكِبَار على كثيرٍ مِنَ الأَعيادِ المريميَّة. ولم تَغِبْ العذراء عن التَّقوى والرُّوحانيَّة الإِنجيليَّتَيْنِ إِلَّا تَدْرِيجِيًّا، عندما احتدم الصِّراع بَيْنَ الإِنجيليّين والكاثوليك فِي أُوروبَّا، وعندما صار الكاثوليك يُطوِّرونَ عقيدة مريميّة شِبْه مُستقِلّة فِي ذاتِهَا، وذلك مُنْذُ

(٢٠٢)المرجع السَّابق، ١٧٣. المصدر: H. Oberman " The Virgin Mary in Evangelical Perspective" The Journal of Ecumenical Studies 1 (1964)، p. 273.

(٢٠٣) لبيب مشرقي، قصص الكتاب المقدس: ابن الإِنسان، (القاهرة: دار الثَّقافة، ١٩٩٠)، ١١.

أَواخر القرن السَّادِس عشر. فبقدرِ ما بات الفريق الكاثوليكيّ يُعرِّف نَفْسَهُ بالانتماءِ إِلى مريم العذراء، قَلَّ اهتمام الإِنجيليّين بها كَرَدٍّ فعلٍ. لكن هذا التَّطوُّر التَّاريخيّ المتعلِّق بأَوضاعٍ مُعَيَّنةٍ في بُلْدَانٍ مُعيَّنةٍ، يَجِبُ أَلَّا يُشَكِّل قَانونًا أَبديًّا للإِنجيليّين.[٢٠٤]

ويُميِّز الموقف الإِنجيليّ الصَّحيح بَيْنَ:

العقيدة المريميّة: وهي إِعْطَاءُ كَرامةٍ وَمَجْدٍ وَتَعْظِيم يَفُوقُ المسيح، والدُّعاء والصَّلاة لها لِطَلَبِ الشَّفاعة والمعجزات.[٢٠٥] وَصِيَاغة عقيدة خاصَّة بمريم، بل أَنَّ مَرْيَم تَحْتَلُّ خَمْس عَقائد في الكنائس التَّقليديَّة، سوف نُقدِّم أَربع عقائد منها، مع تَوضِيحِ الموقف الإِنجيليّ مِنهَا.

والتَّقوى المريميّة: وهو إِعْطَاءُ كَرَامَة وَمَكَانَة خَاصَّةٍ لمريم، كما يذكر الكتاب، ولكن يَبْقَى مَرْكَزُ الْعِبَادة وكُلّ مُمَارسات الكنيسة هو المسيحُ يَسُوع. هُنَا نَرَى الموقفَ الإِنجيليّ الكتابيّ السَّليم الَّذي يُقارِن بَيْنَ التَّقوى والعقيدةِ المريميَّة الَّتي لَا نَخْتَلِفُ في بَعْضِهَا مَعَ الكنائس التَّقليديَّة، لكن نَرْفُض تطبيقاتِهَا الخاطئة الَّتي تَتَنَافَى مَعَ كَلِمَةِ اللهِ.

---

(٢٠٤) چورچ صبرا، في سبيل الحوار المسكونيّ: مقالات لاهوتيّة إِنجيليّة، ١٧٩.

(٢٠٥) المرجع السَّابق، ١٧٣.

على الإِنجيليّين أَنْ يُدْرِكُوا:

أَنّ مَرْيَمَ الْعَذْرَاء ليست كاثوليكيَّة أَوْ أَرثُوذُكسيَّة فقطْ، بل هِيَ إِنجيليّةٌ أَيَضًا. في خِضَمِ الصِّراعات بين الكنائس، نَسَينَا هذه الحقيقة، ولكنَّنَا في هذا العصر المسكونيِّ مَدْعُوون لِنَنْظُرَ إِليها كما يَنْظُرُ إِليها العهدُ الجديدُ: أُمّ يَسُوعَ، بَشَر مِثْلنَا في كُلِّ شَيْءٍ، قَرِيبَة جِدًّا لِيَسُوعَ مَعَ أَنَّهَا بِعَيدَةٌ أَحْيانًا عَنْهُ، السَّامِع المثاليّ لِكَلِمَةِ الله، وَصَنِيعَة الرَّبِّ، والَّتي تَقُول نَعَمْ لمشيئةِ الله، المُنعَم عليها، الَّتي هِيَ لَا شَيْءٌ مِنْ ذَاتِهَا وَلكنَّها كُلّ الأَشْيَاءِ بواسطةِ الله. هَكَذَا نرى أَنَّ مَرْيَم في العهدِ الجديدِ هِيَ نَمُوذجُ البشرِ المؤمنين الَّذين يَقْبَلُونَ عَطِيَّة الله ولَا يَغْلِقُون قُلُوبهم لَهُ، إِنَّها مِثَالُ الكنيسة.(٢٠٦)

التُّراث الإِنْجيليّ غَنيٌّ باللَّاهوتيّين الَّذين يُكَرِّمون مريم بطريقةٍ تَلِيقُ بِهَا كما يُظْهِرُهَا الكتابُ المقدّس.

"لعلّنا بسببِ غَيرتنَا على الإِنجيل، قَدْ تجاهَلنا نَحْنُ الإِنجيليّين مريم العذراء كثيرًا، لكنَّها لَعِبَتْ دورًا هامًّا في خِطَّةِ الله الخلاصيَّة، ونكون نَحْنُ أَفقر رُوحانيًّا إِذَا ما استمررنا في تجاهلِهَا."(٢٠٧)

---

(٢٠٦) المرجع السَّابق، ١٨٣. المصدر: M. Heymel، Maria entddecken. (Freiburg: Herder،1991)،p.28.

(٢٠٧) المرجع السَّابق، ١٨٤.

إِذا كان إِنجيل مَرْقُس يرسم عَلاقةَ المسيح بِأُمِّهِ وَعائلته، وكذلك مَتَّى بصورةٍ أَقَلُّ سَلْبِيَّة. فهذا لَا يَعْنِي تَجاهُلًا، لِأَنَّ لُوقَا يضعها فِي صورةٍ إِيجابيَّةٍ جِدًّا، وأَيْضًا إِنجيل يُوحَنَّا. وبذلك تُصْبِحُ مريم فِي مكانةٍ عَالِيةٍ وَمِثَال للتَّلمذةِ الحقيقيّة.[٢٠٨]

"إِنَّ الإِنجيليّين يُكَرِّمُونَ وَيَحْتَفِلُونَ بِمُنَاسَبَاتٍ وَأَفْكَارٍ وَشَخْصِيَّاتٍ وَأَعْيَادٍ شَتَّى، ولكن مريم العذراء مُسْتَثْنَاة من ذلك."[٢٠٩]

"كُتُبُ التّرانيم الإِنجيليّة تحتوي على عدّةِ تَرانيم تُعَظِّمُ الكتاب المقدّس، أَي أَنَّ هُنَاك تَرَانِيمٌ عَنِ الكتابِ، وَهَذَا شَيْءٌ عَظِيمٌ وَهَامٌّ؛ لِأَنَّ الكتابَ وَسِيطُ النِّعْمَةِ، وَبِواسطتِهِ تَأْتِينَا كَلِمَةُ الله. وَلَكِن هَلْ يُكرّم الإِنجيليّون مريم الَّتي بِواسطتِهَا صار اللهُ بَشرًا لِأَجْلِنَا؟"[٢١٠]

تحتفلُ الكنائس الإِنجيليّة بعيدِ الْأُمِّ وتُكرِّم الأُمَّهات، لكنَّها لَا تَذْكُرُ حَتَّى أُمّ يَسُوعَ؟!!

الإِنجيليّون يَعِظُون وَيَدْرِسُونَ عنِ الشَّخصيَّات الكتابيَّة، وكذلك الشَّخصيَّات الَّتي كانت ضِدّ الله وَنَتَعَلّم منهم، لكن لا يهتمُّ الإِنجيليّون بدراسةِ حياة مريم، ويَقْتَصِرُونَ عِلَى إِشارةٍ لَهَا فِي قِصَّةِ الميلادِ؟!![٢١١]

(٢٠٨) المرجع السَّابق، ١٨١.

(٢٠٩) المرجع السَّابق، ١٨٠.

(٢١٠) المرجع السَّابق، ١٨٠.

(٢١١) المرجع السَّابق، ١٨٠.

"وواضحٌ أَنَّ الاهتمامَ بمريم في الكتابِ المقدّس لَا يخرج عن عَلاقته بدورِ المسيح الخلاصيّ، فماذا يمنع الإِنجيليّين من قبولِ صَلوات تُذْكَرُ مريم العذراء وَتَرَانيم عنها، مادامت هي صلواتٌ وترانيمٌ كتابيَّة وخريستُولُوجيَّة؟ هناك صلواتٌ وترانيمٌ أَرثوذُكسيّة مريميّة ممكن أَن تكونَ مقبولةً لدى الإِنجيليّين."

لمريم مكانة متميّزة لدى الكنائس التَّقليديّة، وعندما يَتَفَاعَل الإِنجيليّون مع نظرتِهِمْ الأَساسيَّة تجاه العذراء فإِنَّ هذا سوف ينعكس على علاقتِهِمْ بتلك الكنائس. "فليس كُلُّ شَيْءٍ عَنْ مريم عند الآخرين هو عَثْرَةٌ للإِنجيليّة، فأَنْ يُسمّوها مَثلًا "والدة الإله" لَيْسَ أَمْرًا كاثوليكيًّا أَو أَرْثُوذُكسيًّا مَحْضًا، بل هو ضرورةٌ لاهوتيّة مسيحيّة مشتركة."(٢١٢)

يُناشِد اللّاهوتيّ صبرا الإِنجيليّين:

أَنّ عليهم أَنْ يَقْتَدُوا بمريم كَمِثَالٍ للاستجابةِ لله. ومن المُؤسفِ أَنَّ المُغالاة في مَسْأَلَةِ مريم، أَشاحت بالنَّظرِ نَحو التَّأَمُّلِ في دورِهَا المُشارك في الخلاصِ (وَكَأَنَّ الإِنسان يُشَارِكُ في عَمَلِيَّةِ خلاصِه!). بينما من الواضح في الإِنجيلِ أَنَّ مريم هي مِثَالُ التَّعاونِ في الخدمةِ والفضيلة، "هُوَذَا أَنَا أَمَةُ الرَّبِّ لِيَكُنْ لِي كَقَولِكَ" (لُوقَا١: ٣٨). فيجب أَنْ يكون عنوان حياة كُلِّ مسيحيٍّ، إِنَّهَا حقًّا مِثَال للتَّواضُعِ، وهذا يعني أَنَّها لا تنتقص من رِسالةِ ابْنِهَا وعملِهِ الَّذي لا يُثمَّنُ، فلنتبَّع قولها حين أَشَارت إِلى الخُدَّامِ في عُرْسِ

(٢١٢) المرجع السَّابق، ١٨٣.

قَانَا الْجَلِيل: "مَهْمَا قَالَ لَكُمْ فَافْعَلُوهُ" (يُوحَنَّا٢: ٥).[٢١٣]

لماذا ترفض الكنيسة المشيخيّة فكرة الكهنوت، خُصوصًا مَعَ الرّجُوعِ إِلى (يُو٢٠: ٢٣)؟

يَرَى البعضُ كلمات المسيح في يُو٢٠ : ٢٣ "مَنْ غَفَرْتُمْ خَطَايَاهُ تُغْفَرُ لَهُ وَمَنْ أَمْسَكْتُمْ خَطَايَاهُ أُمْسِكَتْ". تَأْسيسًا للفكرِ الكهنوتيِّ بحسب السُّلطانِ الَّذي أَعْطَاهُ المسيحُ للتَّلاميذِ، ثُمَّ مِنَ التَّلاميذِ للرُّسلِ، ثُمَّ مِنَ الرُّسلِ إِلَى الْكَهَنةِ وَهكذا. لكن صاحب هذا التَّفسير لا يرى عدّة حقائق:

إِنَّ هذه الكلمات وُجِّهت لِكُلِّ المجتمعين في الْعُلِّيَّةِ بحسبِ الأَناجيلِ، وبالتَّالي لم يَكُنْ التَّلاميذ وحدهم، بل كان هناك عددٌ كبيرٌ من بينهم نساء وأَطفال.

يوجد أَشخاصٌ كثيرين لَمْ يأْخذوا من التَّلاميذِ هذا السُّلطان، ورغم ذلك فَهُمْ مِنْ أَعْظَمِ الرُّسل مِثْلَ بُولُس الرّسول.

يُؤَكِّدُ الكتابُ المقدّس أَنَّ دعوة الخدمة تأْتي من اللهِ فَقَطْ وَلَيْسَتْ مِنْ إِنْسَانٍ (غَلَا١: ١١، ١٢).

بالرّغم من تَأْكيدِ الكتاب المقدّس على كهنوتِ جميع المؤمنين، إلَّا إِنَّ الكنائس التَّقْليديَّة تَرَى أَهَمِّيَّتَهُ؛ لِأَنَّها تَرَى في العشاءِ الرَّبّانيِّ ذَبيحةً

(٢١٣) المرجع السَّابق، ١٨٤.

وَتَحْتَاجُ إِلى كَاهِنٍ. هُنَا لَابُدَّ أَنْ نُلَاحِظَ عِدّة نِقَاط:

لَا يَجُوز للكهنةِ تَقْدِيم المسيح بكونِه ذبيحة للهِ؛ لِأَنَّ هذا هو عملُ المسيحِ ذاتِهِ الَّذِي قَدَّمَ نَفْسَهُ طَواعِيَةً لِلْآبِ.

لَمْ يُعَيّنْ الكتابُ المقدّس أَوْ الرُّسل كَهَنَةً لِلْقِيَام بِالْعَشَاءِ الرَّبَّانِيِّ (أَعْ٢٠: ١٨، ٣١؛ ١كُو١١: ٢٣؛ تي١: ٧- ٩؛ ١بُطْ٥: ٢). فحين يذكر بُولُس الرّسول الخدمةَ ومواهب الخُدَّام في الكنيسة، يذكر أَنبياء وقساوسة ومعلّمين لَمْ يذكرْ مِنْ بَيْنِهِمْ كَهنة (أَفَ٤: ١١، ١٢).

لَمْ يُشِرْ الكتابُ المقدّس إِلى طَلَبِ أَي ذبيحةٍ أَوْ قُرْبَانٍ بَعْدَ ذبيحة المسيح الكاملة والتَّامَّة والكافية (عبْ١: ٣؛ ٩:١٢؛ ١٠: ١٨). والقولُ بِكَونِ المسيح رَئِيس كَهَنَةٍ لهذا لَابُدَّ مِنْ وجودِ كهنة، نَعَمْ وَلَكِنْ كُلّ المؤمنين كَهَنة كما قال الكتاب (١بُطْ٢: ٥).

الخُبْزُ وَالخَمْرُ لَا يَتَحوّلَا إلى جَسَدٍ وَدَم، وَهَذَا مَا نَرَاهُ، لِأَنَّ الذَّبيحةَ الَّتي يُسْفَكُ دَمها مَرَّةً لَا يَجُوزُ تَقْدِيمها مَرَّةً أُخرى، ولكن نُؤمِنُ رُوحيًّا أَنَّ هذا هُوَ جَسَدُ وَدَمُ الرَّبِّ. وَعِنْدَمَا أَسَّسَ السَّيِّدُ المسيح الْعَشَاءَ الرَّبَّانِيّ، استخدم الكلمة اليونانيّة "تُوتُو" أَي "هَذَا" وهي كَلِمَةٌ تُسْتَعْمَلُ لوصفِ الجمادِ. أَمَّا لَوْ كَانَ الخُبْزُ وَالخَمْرُ يَتَحوّلَا إِلى ذاتِ المسيح، كان لَابُدَّ من استخدامِ كَلِمَة "هُوتُوس" أَي "هَذَا" الَّتي تُسْتَعْمَلُ للعاقلِ.

إِنْ فَرضنَا تحوُّل الخبزِ والخمر إِلى جَسَدٍ وَدَمٍ، فالمنطقيُّ أَنْ تَكُونَ الْفَائِدَةُ لِأَجْسَادِنَا وَلَيْسَ لِأَرْواحِنَا.

عندما أَسّس المسيحُ الْعَشَاءَ الرَّبَّانِيّ كان هو موجودٌ بِالفعلِ، والتَّلاميذ كانوا يُدْرِكُونَ وجودهُ وأَنَّ الخُبْزَ وَالدَّمَ هُوَ رَمْزٌ رُوحيٌّ. ولو كان غير ذلك كان المسيح سيشير إِلى هذا، أَوْ كان الرُّسل تَحدّثوا عَنْهُ في كتاباتِهِمْ. فعلى العكسِ أَشار المسيحُ إِلى الْكَأْسِ بِأَنَّهُ نِتَاجُ الْكَرْمَةِ (مَتَّ٢٦: ٢٩، راجع لُو٢٢: ١٨).

التَّحوُّلُ الحرفيّ يُهدّد هويّة المسيح؛ فطبيعةُ المسيح اللَّاهوتيَّة بكونه الله تستطيع أَن تكونَ في أَيِّ مكانٍ، أَمَّا طبيعتُهُ الإِنسانيَّة فَمَحْدُودةٌ. فعندما كان في النَّاصرة لَمْ يُشاهَد جَسَدَهُ في أَيِّ مَكَانٍ آخَر. وبحسب إِيمان الكنيسة "لا اختلاط ولا امتزاج" وكُلّ طبيعةٍ مُحَدّدة، هُنَا نُلَاحِظُ مُشكلة كبيرة، فإِذا كان الْأَمْرُ حَرْفِيًّا، فهل جسد المسيح بكونِهِ نَاسُوت سوف يكون موجودًا في كُلِّ مَكَانٍ!

استخدم المسيحُ في تعاليمِهِ اللُّغةَ المجازيَّة: إِنّهُ خُبْزُ الحياةِ (يُو٦: ٣٥)، إِنَّهُ الماءُ الحيّ (يُو٧: ١٢)، إِنَّهُ الْبَابُ (يُو١٠: ٩)، الطَّريقُ (يو١٤: ٦)،... إِلخ. والسُّؤالُ المحيِّر: نحن نَقْبَلُ هَذَا بطريقةٍ مَجَازِيَّةٍ رُوحِيَّةٍ، لماذا لا نَقْبَل حديثَهُ عَنِ الْعَشَاءِ بِطَرِيقةٍ مَجازِيَّةٍ؟![٢١٤]

---

(٢١٤) عوض سِمْعَان، المرجع السَّابق، ٢٤٥- ٢٨٥.

هل تؤمن الكنيسة المشيخيّة بالأَسرارِ المُقدَّسة؟

تُؤمِنُ الكنيسة المشيخيّة بِوجُودِ سِرَّيْنِ فَقَطْ هُمَا "الْعَشاء الرَّبَّانيّ وَالمعموديَّة". لكنَّنا نَرَى أَنَّ الكنيسة المشيخيّة لَمْ تستخدمْ مُصْطَلح "السِّرّ " sacrament كثيراً في وصفِ مُمارساتهَا في مِصْر، رغم أَنَّ هذا إِيمانها، وذلك لِتَجَنُّبِ الوقوع في لَبْس؛ وذلك بسببِ استخدام الكنائس التَّقليديَّة نَفْسَ الْمُصْطَلَحِ الَّذي يَخْتَلِفُ عَنِ المفهومِ الإِنجيليّ، لهذا تَمَّ استخدام مصطلح الفريضة[٢١٥] ordinance. ولكن بحسب اللَّاهوت المشيخيّ، المعنى الأَوَّل هُوَ الْمُعبِّرُ بِقُوَّةٍ عِنْ إِيمانِ الكنيسة المشيخيّة. لِأَنَّ الأَسْرَارَ لها مَعنى مُتَسَام يَفُوق إِدْرَاكَنَا العقليّ، يَتِمُّ من خلالِ مُمَارَسَةِ السِّرِّ، فِهِيَ "عَلَامةٌ مَرْئِيَّةٌ يُشَارُ بِهَا إِلَى نِعْمَةٍ غَيْر مَرْئِيَّةٍ."[٢١٦] وَالسِّرُّ يبدأُ مِنْ عِنْدِ اللهِ، أَي أَنَّهُ هُو صاحبُ الْمُبَادرة تجاه الإِنسان. وعلى مدارِ تعاملات الله مع الإِنسان، نجدها كُلّها مبنيّة عَلَى مُبَادَرَةٍ مِنَ الله، مِثْلَ الصَّليبِ، المحبَّةِ، الخلاصِ... إِلخ. والأَسْرارُ لَهَا أَهَمِّيَّة عَظيمةٌ في تقويةِ وَتَثْبيتِ وَدَعمِ إِيمانِنا.[٢١٧] لا نعرف كيف يحدث هذا ولكنّنا نَشْعُرُ بالنَّتيجةِ من

(٢١٥) تَعْنِي الكلمة في أَبْسَطِ معانيها الطَّاعة والاستجابة العمليّة المصحوبة بممارسة نَحْو وصيَّة. وَمِنْ هذا التَّعريفِ فَعُنْصُرُ الْمُبادرة يبدأُ مِنَ الإِنسان تجاه عملِ الله ونعمتهِ سَواء في الماضي أَوْ في الحاضِر.

(٢١٦) چونَ كالڤن، ترجمة وتقديم چورچ صبرا، مقالة قصيرة في الْعَشَاءِ المقدّس، (القاهرة: دار الثَّقافة، ٢٠٠٤)، ١٠.

(٢١٧) المرجع السَّابق، ١١.

خلالِ الفاعليّة الَّتي تَصنعهَا فينا الأَسْرَارُ بِالْكَلِمَةِ. بحسبِ إيمان كنيستنَا، فإنَّ الأَسرار هي وسائطُ نِعْمَةٍ، وَتَمْنَحُ مَا تَعِدُ بِهِ، ولَكِنْ لَيْسَ بِقُدْرَتِهَا الذَّاتِيَّة (العناصر الماديّة)، بل بالرُّوحِ الْقُدُس، الَّذي هو المصدرُ والسَّببُ الوحيد لِفَاعِلِيَّةِ الأَسْرَارِ وَواسطتها الحقيقيّة للنِّعْمَةِ.(٢١٨) وَتُؤمِنُ الكنيسة المشيخيّة بسرَّيْن فَقَطْ هُمَا، "العشاء الرَّبَّانيّ والمعموديَّة". وقد يَتَبَادَرُ للذِّهنِ سُؤَالٌ: لماذا (يُوجَدُ) سِرَّان فقطْ؟ يجاوب على هذا السُّؤالِ اللَّاهوتيّ چورچ صبرا.

لماذا سرَّان فقطْ؟ لقد وُضِعت ثلاث مقاييس لِتَسْمِية مُمَارسة مَا سِرًّا:

أَوَّلًا: أَن يكونَ الْفِعْلُ وَالطَّقْسُ مِنْ تَأْسِيسِ الرَّبِّ يَسُوعَ المسيح صراحةً.

ثانيًا: أَنْ تَحْتَوي المُمَارسة على وعد عَامٍّ بِالخلاصِ، أَي أَنَّهُ لِجَمِيعِ النَّاسِ. إِنَّ الأَسرارَ هِيَ لِجَمِيعِ أَعضاءِ جَسَدِ المسيح، لِأَنَّ وَعْدَ الخلاصِ للجميعِ.

ثالثًا: يَجِبُ أَنْ يَتَأَلّفَ أَوْ يَتَكَوَّنَ السِّرّ مِنْ عَلامة مَاديَّةٍ وَكَلِمَة. إِذَا وضعنا هذه المقاييس الثَّلاثة فِي تَعريفِ السِّرِّ، فلا تَنْطَبِقُ إِلَّا

(٢١٨) المرجع السَّابق، ١٣.

على المعموديَّةِ وَالْإِفْخَارِسْتِيَّا. وهكذا يكون تعريف الأَسرار في اللّاهوت الإنجيليّ هو التَّالي: إِنّها عَلَامَات (أَوْ طُقثوس) مَرْئِيَّة أَسَّسَهَا الرَّبُّ يَسُوعَ وَرَبَطَ بِهَا وَعْدًا بِالنِّعْمَةِ لِجَمِيعِ المؤمنين.

هذا لا يعني بأَنَّ الممارسات الأُخْرَى أَوْ مَا يُسمَّي "بالأَسْرَارِ الخمسة" الأُخْرى... غَير مُهِمَّةٍ أَوْ غَيْر موجودةٍ لدى الإِنجيليّين. هُنَاكَ طَبْعًا طقس للزَّواج والرّسامة والاعتراف بالخطيَّةِ والصَّلاة عَلَى المرضى والتَّثْبِيتِ، ولكنَّها لَا تُسمَّى أَسْرَارًا، وهي ليست فِي مَرْتَبَةِ المعموديَّة والإِفْخَارستِيَّا.[٢١٩]

لماذا نرى دورًا محدودًا للرُّوحِ الْقُدُس فِي الكنيسة الإنجيلية؟

تُنادي بعضُ المذاهبِ الْأُخرى الَّتي تُهَاجِمُ الكنيسة المشيخيّة بأَنَّهَا كنيسة جَافَةٌ. وَأَدّى استعمالُ العقلِ إِلى جُمُودِ الكنيسة، وعدم إِعطاء دورٍ للرُّوحِ الْقُدُس. وهذه الاتّهامات غَرِيبَةٌ؛ فَمِنَ المتعارَف عِلَيهِ أَنَّ الكنيسة المشيخيّة هي كنيسة يقودها الرُّوحُ الْقُدُس. وَتُوضِّحُ النّقاطُ التَّالية خَطأَ وجْهَةِ النَّظرِ تِلْكَ:

يُوجد جُزءٌ صَحِيحٌ من وجهةِ النَّظرِ هَذه، لِأَنَّ الكنيسة المشيخيّة المِصْريَّة أَخَذَتْ مَوقِفًا مِنَ التَّعاليمِ غير اللَّاهوتيَّة الَّتي تَتَنَاوَل الرُّوح

(٢١٩) المرجع السَّابق، ١٥، ١٦.

الْقُدُس فِي بعضِ الكنائس. ومع مُرُورِ الْوَقْتِ أَدّى هذا الموقفُ إِلى ابتعادِ الكنيسة المشيخيّة عَنِ الدِّرَاسَاتِ الَّتي تَتَنَاولُ الرُّوح الْقُدُس. هذا الموقف جاءَ كَرَدِّ فِعْلٍ تجاه الممارسات الخاطئة الَّتي نُسَبَتْ إِلى الرُّوحِ الْقُدُس، والتَّعاليم الغَرِيبة الَّتي انْتَشَرَتْ فِي الفترةِ الأَخيرة. لهذا كان على الكنيسة أَنْ تَأْخُذَ مَوقفًا تجاه هذه المُغَالَطَات. لكن الْآنَ، نَرَى رِجُوعًا وَعَودةً بِقُوَّةٍ إِلى استعادةِ الحديث عن لاهوتِ الرُّوحِ الْقُدُس داخل الكنيسة.

منَ المعروفِ فِي الأَوساطِ اللَّاهوتيَّة المسيحيّة بشكلٍ عامٍّ، أَنّ الكنيسة المشيخيّة تَخْضَعُ تَحْتَ سيادةِ الرُّوحِ الْقُدُس، بَلْ هِيَ أَكْثرُ الكنائس الَّتي اهتمّت بدراسةِ الرُّوحِ الْقُدُس. فكالڤن سُمّي "لَاهُوتِي الرُّوح الْقُدُس"، نَظَرًا لِتَرْكِيزِهِ عَلَى قِيادةِ الرُّوح الْقُدُس للكنيسة.

ويَتَعَلَّقُ الْأَمْرُ هُنَا بالمواهب، فبعضُ المذاهب تَتَّهِمُ الكنيسة المشيخيّة بعدمِ إِيمانِهَا بالمواهبِ. وهذا غَيْرُ صحيحٍ، وَيَدلُّ عَلَى عَدَمِ درايةٍ وَمعرفةٍ صحيحةٍ بإِيمانِ كنيستنَا:

نُؤمنُ أَنَّ الرُّوحَ الْقُدُس إِذْ يجعل المؤمنين أَعضاءَ جسدِ المسيح، فإِنَّهُ يَمْنَحُ كُلَّ عضوٍ مَوْهِبَةً لِيُؤَدِّيَ وَظِيفَتَهُ بِكَفَاءَةٍ فِي الجسدِ (رُو١٢: ٥، ٦؛ ١كُو١٢: ١١– ١٣).

وَنُؤمِنُ أَنَّ مواهب الرُّوح الْقُدُس كَثيرةٌ ومُتَنَوّعةٌ، يُشير العهدُ الجديدُ إِلى عددٍ كَبِيرٍ مِنْهَا (رُو١٢: ٦- ٨؛ ١كُو١٢: ٨- ١٠، ٢٨– ٣١؛ أَفَ٤: ١١، ١٢؛

١بُطْ٤: ١٠ ، ١١). وهذا يَجْعَلُنَا نُدْرِكُ مَدَى وَفْرَةِ هذه المواهب وتَنَوُّعها، وَدَورها الهامّ في الكنيسة.

وَيَتَّضِحُ مِنْ دِراستِنَا للعهدِ الجديدِ، أَنَّ الرُّوحَ الْقُدُس أَعْطَى بعضَ المواهبِ لِعَصْرٍ مُعَيَّنٍ تَنْتَهِي مِنْ بَعْدِه. وَمِثَالُ ذَلِكَ مَوهِبَة الرَّسُولِيَّة، الَّتي انْتَهَتْ بِعَصْرِ الرُّسلِ (١كُو١٢: ٢٨؛ أَفَ٤: ١١).

وَنُؤمِنُ أَنَّ الرُّوحَ الْقُدُس يَمْنَحُ المواهبَ لمواجهةِ احتياجات الكنيسة من حيث الزَّمان والمكان. ولذلك فنحن نُؤمِنُ أَنَّ الرُّوحَ يَمْنَحُ مَواهبَ مُتَجَدّدة تُنَاسِبُ احتياجات كُلّ عصرٍ وَكُلّ جيلٍ، كَمَا تُنَاسِبُ المواقع المختلفة. ولذلك فإِنَّنَا نُؤمِنُ أَنَّ الرُّوحَ الْقُدُس هُوَ الَّذِي مَنَحَ الكنيسة الْيَوْمَ مَواهِبَ الموسيقا والتَّرانيم والتَّخْطيط واستخدام وسائل الإِعلام الحديثة وغيرها، وبالصُّورةِ الَّتي تُنَاسِبُ كُلّ مَوقِعٍ وَكُلّ جِيلٍ.

... وَنُؤمِنُ أَنَّ مواهبَ الرُّوح الْقُدُس عطايا، وإِنَّها ليست مُطلَقًا مُكَافَآت (١كُو٤: ٧)، ولذلك فإِنَّها يجب أَنْ تَدْفَعَنَا للشُّكرِ وَالتَّواضُع، لَا للافتخارِ والتَّباهي. ومسئوليتنا هي أن نَتَعَامَلَ معها كوكلاء ائْتُمِنُوا عليها، لا كَمَالكينَ يَتَصَرَّفُون فِيهَا كَيْفَمَا شَاءوا، أَوْ لِنَفْعِهِمْ الشَّخْصِيّ. وواجبنا هو أَنْ نَسْتَثْمِرَ المواهب أَفْضَلَ اسْتِثْمَارٍ وَنَعْمَل عَلَى تَنْمِيَتِهَا (مَتَّ٢٥: ١٦؛ لُو١٩: ١٣)، وأَلَّا نحتقرها مهما كانت، ولا نُهْمِلُهَا بحياةِ الْكَسَلِ، أَوْ بِأَعذارٍ لَا مُبرِّر لها (مَرْ٢: ١٨؛ لُو١٩: ٢٠).[٢٢٠]

---

(٢٢٠) مجلس العمل الرّعويّ والكرازيّ، المرجع السَّابق، ٨٢، ٨٣.

كما رأَينا في النّقطةِ السَّابقة المكانةَ المُتَمَيّزة الَّتي يَحْتَلّها الرُّوحُ الْقُدُس في الكنيسة، وهذا لا يعني الدّروشة أَوْ الغيبيّة. فبحسب اللَّاهوت المُصْلَح، لا يوجد تَنَاقُضٌ بَيْنَ الرُّوحِ والعقلِ، فالعقلُ هُوَ إِحْدَى الأَدواتِ الَّتي يَسْتَخْدِمُهَا الرُّوحُ الْقُدُس. فَلَا يُوجَدُ تَعَارُضٌ بَيْنَ الإيمانِ والمعرفة، فَهُمَا وَجْهَانِ لعُمْلَةٍ وَاحِدَةٍ. فالفكرُ المُصْلَح يَهْتَمُّ بالإنسانِ كَكُلٍّ: "عَاطِفَة وَعَقْل وَسُلُوك."[٢٢١] فلا يوجد فَصْلٌ في الفكرِ اللَّاهوتيّ لأَجزاءِ الإِنْسَانِ. فاللَّاهوت المشيخيّ يَعْمَلُ عَلَى إشباعِ كُلِّ مُكَوِّناتِ الإِنْسَانِ، فهو يهتمُّ بِعَمَلِ الرُّوحِ الْقُدُس وَيُعَلِّي مِنْ شَأْنِ الإيمانِ، ولكنَّهُ في ذاتِ الْوَقْتِ يحاول أَن يُبرهِنَ إِيمَاننا بطريقة منطقيّة يَقْبَلُهَا العقلُ، تُتَرجَم في حياة الإِنْسان الدَّاخليَّة والخارجيَّة. "ونُؤمنُ أَنَّ الرَّبَّ يُرِيدُ منَّا في عبَادَتنَا أَنْ نُصَلّي بالرُّوح وَأَنْ نُصَلِّي بالذّهنِ أَيْضًا، وَأَنْ نُرَتِّل بالرُّوحِ وَنُرَتِّلَ بالذّهنِ أَيْضًا. وَبِذَلكَ فَإِنَّهُ يُحَذِّرُنَا مِنْ تَغْيِيب الْوعِي وَالْحَواس (١كو١٤: ١٥)، أَوْ تَغْلِيبِ الْعَواطفِ وَالْانْجِرَاف في التَّيّارَات المُختلفة (أَف٤: ١٤)."[٢٢٢] فاللَّاهوت المشيخيّ يدعونا لكي نَسْمَعَ وَنَفْهَمَ وَنُطَبِّقَ. وَهَذَا يُفسّر لنا اهتمام المشيخيّين في كُلِّ مَكانٍ بالتَّعْليم الأَكَادِيميِّ في اللَّاهوت. فالبعضُ منَّا لَديه فكْرَة خَاطئة عَنِ الْأَكَادِيميَّة اللَّاهوتيَّة، فَيَرُونَ أَنَّ الأُمورَ الأَكاديميَّة تُحدُّ منْ عَمَلِ الرُّوح، وَهَذَا خَطَأٌ، لأَنَّ الأَسَاسَ الأَكاديميّ هُو أَحَدُ أَسَاليب الرُّوح الْقُدُس المُتَطَوِّرة. فَمِنْ خلال النِّظَام وَالأَساليبِ الأَكاديميَّة يَسْتَطِيعُ اللَّاهوتيُّون إِنجاز دراسات أَكثر عُمْقًا.

(٢٢١) دارين كنيدي، ٤.

(٢٢٢) مجلس العمل الرَّعويّ والكرازيّ، ٨١.

ما رُؤية الكنيسة المشيخيّة تجاه العمل السِّيَاسيِّ؟

تُؤمِنُ الكنيسة أَنَّ الله هُوَ مَلِكُ المُلُوكِ وَسَيِّدُ التَّاريخ (٢مُلُ٨: ٤، ٥؛ دَا٦: ١؛ مَتَّ١٠: ٢٩، ٣٠؛ لُو١٢: ٦، ٧). ولكن بحسب حِكْمَةِ الله فَقَدْ أَوْجَدَ الإِنسانيَّة فِي مَجْمُوعَاتٍ وتَجمُّعَاتٍ بشريَّةٍ لها عوامل متشابهة، ولها سِمَات مُعيّنة. نُظِّمتْ هذه التَّجمُّعات عَبْرَ الزَّمَنِ فِي أَنْظِمَةٍ مَدَنِيَّةٍ مُخْتَلِفَة، لتُحَقِّقَ للجماعةِ الاستقرار والسَّلام الاجتماعيّ والسِّياسيّ والنَّفْسيّ... إلخ. لَكِنَّها فِي ذَاتِ الْوَقْتِ تَخْضَعُ لِسِيَادَةِ وَسُلْطَةِ الله "وَنُؤمِنُ أَنَّ الحُكّامَ يَخْدِمُونَ مقاصد الله، سواء عن قصدٍ أَوْ غَيْرِ قَصْدٍ، بَطريقٍ مُبَاشرٍ أَوْ غَيْرِ مُبَاشرٍ. وَهَكَذَا كان نَبُوخَذْ نَصَّر وَكُورَش وَهِيرُودُس وَبِيلَاطُس وغيرهم على مَرِّ العُصُورِ والأَجيالِ (أَيُّ٣٦: ٢٢؛ عَز١: ١؛ دَا٢: ٢٢؛ ٤: ٣٤، ٣٥؛ أع٤: ٢٦- ٢٨)."[٢٢٣] وَتُؤمِنُ الكنيسة بوجودِ سُلْطَتَيْنِ رَئِيسِيَّتَيْنِ: الأُولَى هِي الدَّولةُ (مَدَنِيَّة)، والثَّانيةُ الكنيسة (رُوحِيَّة). ولا يوجد أَيُّ اتِّحادٍ بَيْنَهُمَا فِي شُئونِ الحُكْمِ المدَنِيّ، بل انفصال تَامّ. ولكن هناك تَعَاوُنٌ نَحْو سُبُلِ النُّهوضِ بالوطنِ. فعندما دَخَلَتْ الكنيسة والسِّياسةُ فِي شَراكةٍ بَعْدَ إِعْلَانِ الدِّيانة الرَّسمِيَّة للإِمْبراطُوريّة البيزنطيّة المسيحيّة، خَسِرَتْ الكثيرَ وضَعُفَ انتشارها.

ومَثَلٌ آخَر نَجِدَهُ فِي العصورِ الوسطى، وهي الحروب الصَّليبيَّة الَّتي كانت سياسيّةً بِاسْمٍ دِينيٍّ، لكنَّها وَصَمَتْ الكنيسة بوصمةِ عَارٍ لا

(٢٢٣) مجلس العمل الرَّعويّ والكرازيّ -سنودس النّيل الإِنجيليّ، ١٠٥.

نَسْتَطِيعُ مَحْوها مِنَ التَّاريخ. فالكنيسةُ، وأَيّةُ مُؤسَّسة دِينيَّة، لها وظائفها وأَهدافها وواجباتها، والدّولة أَيْضًا كذلك. فكُلٌّ مِنْ المؤسَّسَتَيْن يُكَمِّلَان بعضهما، فَهُمَا قَضيبَان يَحْمِلَانِ قِطَارًا واحدًا، ولا نستطيع أَنْ نَجْمَعَهُمَا في واحد، وَلَمْ نرَ إِنْسانًا يمشي بساقٍ واحدة،[٢٢٤] فالكنيسة تُؤمِنُ أَنَّ مِنْ حَقِّ أَيِّ مسيحيّ أَنْ يَشْتَرِكَ فِي الحَيَاة السِّيَاسيَّة، وَعَلَيْهِ واجبات ولَهُ حقوق. ولكن لَيْسَ مِنْ حَقِّ الكنيسة أَنْ تَعْمَلَ بالسِّيَاسَة، فالكنيسة تُشْرِفُ عَلَى مُلْكِ المسيحِ الرُّوحِيّ، فالمسيحُ رَفَضَ أَنْ يَكُونَ مُلْكهُ مَادِيًّا (يُو١٨: ٣٦).

والكنيسة المشيخيّة فِي ذَاتِ الْوَقْتِ تُشَارِكُ فِي بِنَاءِ الوطن من خِلَالِ العملِ المُستمرّ لرُقيّ الوطن في مختلَفِ الجوانب. وهذا واضحٌ في تاريخ الكنيسة، فقد قامت الكنيسة المشيخيّة بِعَمَلٍ عظيم عَبْرَ أَكْثَر مِنْ مِئَةٍ وَخَمْسِينَ عَامًا، غيّرت شكل الحياة المِصْرِيَّة مِنْ حَيْثُ:

التَّعْليم: اهتمّت الكنيسة الإِنجيليّة بالتَّعليم، لِأَنَّها كانت تُدْرِكُ أَنَّ التَّعليمَ هُوَ الطَّرِيقُ نَحْوَ الارتقاءِ بالإِنْسَانِ. لهذا أَنْشَأَتْ بجوارِ كُلِّ كنيسة مَدْرَسَةً -إِلى جانبِ المدارس والكُلِّيّات المُتَخَصّصة:

فَقَدْ أَسّست الكنيسة أَوَّلَ مَدْرَسَةٍ لِلْبَنِين في ٢٩ نوفمبر ١٨٥٥، وافْتَتَحَتْ أَوَّلَ مَدْرَسَة للبناتِ في يونيو ١٨٦٠، نُلَاحِظُ هُنَا عِدّة حقائق هامّة:

(٢٢٤) مدحت نادي، الْمُرشد في بناء مناهج التَّربية المسيحيّة، (القاهرة: المؤلِّف، ٢٠١٠)، ١٨٠.

إنَّ الكنيسة قامت بالتَّعليم، وَعَلّمت مِصْر، فِي وَقتٍ لَمْ يَكُنْ هُنَاكَ سُوى مَجْهُود قَلِيل للتَّعليمِ مِنَ الدَّولةِ. فَفِي عام ١٨٧٩، كان هناك ١٦٨ مدرسة مشيخيّة!!

اهتمّت الكنيسة بِتَعْلِيم البنين والبنات في كُلِّ المراحلِ مِنْ رَيَاضِ الأَطفال إِلى الجامعةِ، لهذا أَنْشَأَتْ الجامعةَ الأَمريكيَّة لِتَكُونَ امتدادًا لخدمةِ التَّعليم العالي، وأَيضًا بِكُلِّ الفئاتِ وذوي الاحتياجات الخاصّة وَمَا إِلى ذلك.

من خلالِ إِيمان الكنيسة بالمساواةِ الاجتماعيَّة، فقد قدّمَت خدماتها التّعليميّة للجميعِ دُوْنَ تَمييز مَاديٍّ أَوْ عقائديٍّ، أَوْ دينيٍّ أَوْ طَبَقِيٍّ. لِهَذَا نَشَرَت الكنيسة المدارس في كُلِّ المُدنِ وَالْقُرَى بِكُلِّ أَرْجَاءِ الوطن.(٢٢٥)

الرِّعاية الطِّبِّيّة: لِكَيْ ينهضَ الوطن لَابُدَّ مِنْ مُحَارَبَةِ الجهل من خلال التَّعليم، والمرض من خلالِ الرِّعاية. لهذا بدَأَتْ الكنيسة خدمتَهَا الطِّبِّيَّة مِنَ الأَماكن المحرومة. فقد بدَأَتْ أَوَّلَ خدماتِهَا مِنْ أَسْيُوط سنة ١٨٦٨، وكانت الخدمةُ تُقدَّم من خلالِ الْعِيَادَةِ وَالمنزلِ وَزِيَارَة الْقُرَى. ثُمَّ أَقَامَتْ الكنيسة المُسْتَشْفَيات فِي أَسيوط وطنطا والقاهرة إِلى جانبِ الْعِيَادَات والقوافل.(٢٢٦)

(٢٢٥) أَديب نجيب سلامة، ١٤٩- ٢٠٢.

(٢٢٦) المرجع السَّابق، ٢٠٥- ٢١٢.

الرِّعاية الاجتماعيَّة: هذا هو الضّلعُ الثَّالث نَحْوَ الارتقاءِ بالوطن، وَلَا يَخْفَى عَلَى أَحَدٍ أَنَّ الكنيسة الإِنجيلّية هِيَ الَّتي عَلّمتْ مِصْر والمنطقةَ العربيّة العملَ التَّنْمَويّ الاجتماعيّ، ومحاربة التَّقاليد الباليَة. وأَيْضًا تَأْسِيس الكثير من الجمعيّات والمؤسَّسات الَّتي خَدَمَتْ وَمَازالَتْ تُشَارِكُ فِي بناءِ الوطن، مِثْلَ الهيئةِ القبطيّة الإِنجيليّة. إِلى جانبِ الملاجئ ودُور الرِّعاية.

هناك الكثيرُ مِنَ الأَعْمَالِ العظيمةِ الَّتي قَامَتْ بِهَا الكنيسة، ولكن هذا ليس موضوع البحث، فقطْ طَرحنا الجوانب الثَّلاثة السَّابقة كمثالٍ، وَنَكْتَفِي هُنَا بِذِكْرِ بَعْض الخدماتِ:

رِعايةُ الفئات المختلفة (الطُّفولة- المُراهقة- الشَّباب).

رِعايةُ الفئات الخاصّة.

إِدخالُ وَتَطْويرُ خِدْمَةِ المطبُوعَات والنّشر.

مُسَاندةُ حَركَات التَّحْرِير المختلفة.

مُعَالجةُ الإِدمان.

رِعايةُ وَتَحْرِيرُ المرأَة.

إِدْخالُ الموسيقا فِي الْعِبَادَةِ.

نَشْرُ التَّعليم اللَّاهوتيّ.

الاهتمامُ بِالْعَمَلِ المَسْكُونيِّ وَرِعَايتهُ.

إِنْشَاءُ الهيئَات والجمعيّات والمؤسَّسات المُسانِدة للمجتمعِ والكنيسة.

"إِعلاءُ دور العلمانيّ في حَيَاةِ الكنيسة."[٢٢٧]

"إِعْلَاءُ شأْنِ الكتاب المقدّس في الكنيسة."[٢٢٨] وترجمة الكتاب المقدّس إِلى اللُّغَةِ العربيَّة، إِنْشَاءُ دَار الكتاب المقدّس والاهتمام بِهِ.

لماذا لا نرى أَبْنِيَة عظيمة وأَبراج ضخمة للكنيسة المشيخيّة؟

لأَنَّ الكنيسة المشيخيّة تُركّز على البساطةِ: مصطلَح البساطة المذكور هُنَا لا يفيد المعنى الشَّائع لَهُ، بِكَونِ البساطة هي السَّطحِيَّةُ أَوْ عدم الاهتمام أَوْ مَا إِلَى ذَلِكَ. ولكن المقصود هو البساطةُ بمعنى أَنْ يكونَ الشَّيْءُ بَسيطًا كما هو في طبيعتهِ، دُوْنَ الزِّيَاداتِ أَوْ التَّعْقيدَات الَّتي أَضافها الإِنْسَانُ عَلَى مَرِّ الْعُصُور. وهذا لا يعني تَجاهُل هذه الإِضافات، ولكنَّها لا تُصبِحُ هِيَ الجوهرُ. لِنَأْخُذَ مِثَالًا: وهو الكنيسة الأُولَى، كانت بسيطةً للغايةِ. وَيُقَدِّمُ "هنري هث كرين" تَصوُّرًا وَوَصْفًا بَارِعًا لِكَيْ نَفْهَمَ هذه النّقطة:

---

(٢٢٧) عيسى دياب، مدخل إِلى تاريخِ الكنائس الإِنجيليَّة ولاهوتِها، (بيروت: مدرسة اللاهوت المعمدانيّة العربيّة، ٢٠٠٩)،٢٨١.

(٢٢٨) المرجع السَّابق، ٢٨٠.

"فِي بَيْتِ الحياة وجدتُ مَذْبحًا عَلَيْهِ صَلِيبٌ وَشمُوعٌ مُتّقدَة، وَإِذَا انْحَنَيتُ فِي إِجْلالٍ وَاحْتِرَامٍ أُغْمِضُ عيني، رَأَيْتُ الكنيسة الحيَّة.. لَمْ تَكُنْ جدرانها من أَحجَارٍ وَطُوبٍ، بَلْ مِنْ عزائم مُكرَّسة يربطها التَّعاوُنُ وَالتَّبادلُ والولاءُ المشترَك للإعلانِ الأَسْمَى وَالأَحسن.. وَلَمْ تَكُنْ نَوافذهَا منَ الزُّجَاجِ الُملوَّن، بَلْ مِنَ الأَلْوانِ المُتَعَدّدة مِنَ الأَحْلَام وَالأَمَاني وَالأَشْوَاقِ، الَّتي يبدو منها جَمَالٌ لَا نِهَائيّ يَشِعُّ بِالأَضْواءِ اللّامِعَة الَّتي تأْتِي مِنْهَا أَلْف شَمْس.. ولَمْ تَكُنْ أَعْمِدَتهَا العالية وأَقواسها المقبَّبة مِنَ الأَحجارِ وَالصُّلب، بَلْ مِنَ الأَذْرُعِ الممتدّة المُرتفعة فِي الصَّلواتِ الضَّارِعة الَّتي لَا حَصْرَ لَهَا.. وَلَمْ تُغَطَّ أَبهاؤها بالسَّجَاجِيدِ وَالبُاسَطة المخمليّة، بلْ بِالتَّجارُب المُدَاسة تَحْتَ الأَقْدَام، وَالأَعْمَال الصَّالحة المحفوظة .. وأَبوابهَا لَا تُغْلَقُ أَبدًا، إِذْ هِيَ واسعَةٌ وَمَفْتُوحَةٌ للإِنسانيَّةِ كُلّها، القدّيسين والخُطاة، الأَغنياء والفقراء، والسُّود والسُّمْر والصُّفر والبيض عَلَى حَدٍّ سَواء. ولَمْ يَكُنْ المذبح مِنْ خَشَبٍ مَنْحُوتٍ، بَلْ مِنَ القُلُوبِ التَّائبَةِ الخَجلة من خَطَايَاها وَالْقَويَّة بإِحْسَاسِ الغُفْرَانِ.. وَلَمْ يَكُنْ المِنْبَر مَنَصَّةَ الحديثِ المُذهَّب، بَلْ كَانَ النُّورَ وَالنَّارَ، وَالَّذي يَشِعُّ مِنْهُ الحقَّ وَالْقُوَّةَ، وَالْكِتَاب المقدّس لَيس مُجلَّدًا وَاحِدًا موضُوعًا فِي مَكَانٍ مُنْعَزِلٍ عَلَى المَقرَأَة، بل الحياة الَّتي تَدُوسُ دُونَ خَجَلٍ وَتَشْهَدُ بِجَسَارةٍ وَتَخْتَبِرُ بِعُمْقٍ وَتَتَعَزّى برقّةٍ وَتَتَحَدَّى بِاسْتِمْرَارٍ .. وَلَيْسَتْ الموسيقا اختلاط الأَسواق مَعَ الأَورغُن، بَلْ فِي القيادةِ المُكرَّسة والخدماتِ النَّامِية المتنوّعة الَّتي تَتَسّقُ وَتَجْتَمعُ فِي تَعَاوُنٍ مَجِيدٍ، وَالحرارة فِي الكنيسة الحيَّة ليست الَّتي هِي تَتوهّجُ

أَوْ تُضيءُ منْ مَوقد أَوْ وَقُود، بلْ بطَاعةِ ذَاك الَّذي قال: "تُحبُّ الرَّبَّ إلَهَكَ منْ كُلِّ قَلْبِكَ. وَمنْ كُلِّ نَفْسكَ. وَمنْ كُلِّ فكْرِكَ .. وَتُحبُّ قَرِيبَكَ كَنَفْسكَ" .. أَوْ في لُغَةٍ أُخرى، إنَّ الرَّجُلَ يَقْصدُ أَنْ يَقُولَ: "إنَّ الكنيسة لا يمكن أَنْ تَكُونَ مُجَرّد مبانٍ عظيمة أَو أَبهاء واسعة أَو مناظر عالية مُرتفعة شامخة في الجوِّ، مهما يكن جمالها وعظمتها. ولا يمكن أَنْ تكونَ مُجرَّد طقوس أَوْ فرائض جامدة أَوْ مَيْتَة، مهما يَكُنْ حَظّها من حلاوةِ المظهرِ أَوْ ضجيجِ التَّعَبُد، ما دامت لا تَدْفَعُ الإنْسانَ دَفعًا مُتّصلًا مُتَزَايدًا مُتَواليًّا نَحْوَ الله... ولا يمكن أَنْ تكونَ مُجرَّد أَنْظمة إداريَّة أَوْ اجتماعيَّة أَوْ علْميَّة أَوْ طَبَقِيَّة، مهما تكن هذه الأَنْظمة دَقِيقة وَجَميلة مَا لَمْ تُنَظِّمْ حَيَاةَ الإنْسَانِ وَتَسْتَثْمِرُ وَزَنَاته وَخدمته لمجدِ اللهِ وَخَيْرِ الآخَرِين.."[٢٢٩]

(٢٢٩) إلياس مقار، نساء الكتاب المقدس، ط. ٢. (القاهرة: دار الثَّقافة، ١٩٨٦) ،٤٥٧، ٤٥٨.

المراجع

استفانوس، عبد المسيح. الإِنجيليّون-أَسماء ومفاهيم. القاهرة: مجلس الإِعلام والنّشر -سنودس النّيل الإِنجيليّ، ٢٠٠٧.

أَنس، جميس. تحرير مِنِيس عبد النُّور. علم اللّاهوت النِّظاميّ. القاهرة: الكنيسة الإِنجيليّة بقصرِ الدّوبارة، ١٩٩٩.

بامر، إِدوين. ترجمة وتحرير وجيه يُوسُف. مُعجزة النِّعمة. القاهرة: المؤِّلف، ٢٠٠٩.

بباوي، وليم وهبة. دائرة المعارف الكتابيّة.ج٧. القاهرة: دار الثَّقافة، ١٩٩٨.

توريان، ماكس. ترجمة خليل رُسْتُم. مريم أُمّ الرّبّ يسوع ورمز الكنيسة. بيروت: دار المشرق، ١٩٩٢.

جرودم، واين، المحرّر رياض قسيس. بماذا يُفكِّر الإِنجيليّون فِي أَساسيّات الإِيمان المسيحيّ: رؤيةٌ معاصِرَةٌ في ضوءِ كلمة الله. القاهرة: برنامج التَّعليم اللّاهوتيّ بالامتدادِ ومطبوعات إِيجلز، ٢٠٠٢.

الخرَّاط، إِيهاب. التَّحدِّيات اللَّاهوتيَّة والإِيمانيَّة والرَّعويَّة فِي ربيعِ الثَّورة

العربيَّة: خطاب حفل تخرّج الدُّفعة المائة والأَربعين لِكُليّة اللّاهوت الإِنجيليَّة بالقاهرة. القاهرة: كليّة اللّاهوت الإِنجيليّة بالقاهرة، ٢٠١١.

الخُضَريّ، حنّا جرجس. مارتن لوثر. القاهرة: دار الثّقافة، ١٩٨٣.

الخُضَريّ، حنّا. جون كالفن دراسة تاريخيَّة عقائديَّة. القاهرة: دار الثَّقافة، ١٩٨٩.

دستور الكنيسة الإِنجيليّة بِمِصْر.القاهرة: دار الثَّقافة، ١٩٨٥.

دياب، عيسى. مدخلٌ إِلى تاريخِ الكنائس الإِنجيليّة ولاهوته. بيروت: مدرسة اللّاهوت المعمدانيّة العربيّة، ٢٠٠٩.

ذكي، صموئيل. المسيحيّة والوظائف الكنسيّة. القاهرة: دار الثّقافة، ١٩٩٦.

ستوت، جون. ترجمة وجدي وهبة. الإِنجيليّون والحقيقة: رؤيةٌ مُعَاصِرةٌ للعقيدةِ. القاهرة: دار الثَّقافة، ٢٠٠٨.

سَعِيد، مفيد إِبراهيم. الأَغصان: كهنوتٌ ملوكيٌّ. القاهرة: دار الثَّقافة، ١٩٧٩.

سِمْعَان، عوض. الكهنوت. القاهرة: دار الثَّقافة، ١٩٨٥.

صبرا، چورچ. في سبيلِ الحوار المسكونيّ: مقالات لاهوتيّة إِنجيليّة. بيروت: دار منشورات النّفير، ٢٠٠١.

ـــــــــ. نُؤمِنُ وَنَعْتَرِفُ. بيروت: كليّة اللَّاهوت للشَّرق الأَدْنَى، ١٩٩٠.

صلاح، عيد. الأَغصان: كهنوتُ جميع المؤمنين. القاهرة: دار الفكر الإِنجيليّ، ٢٠٠٨.

صلاح، عيد. نظرة في الفقهِ الدّستوريّ للكنيسة الإِنجيليّة المشيخيّة. القاهرة:

الحياة المنتصرة، ٢٠٠٧.

عزمي، جوهر. الظُّهورات والمعجزات: نظرةُ تْأمُّل. جرجا: الكنيسة الإِنجيليّة بجرجا، ٢٠٠٠.

عزيز، فهيم. سلسلة الأَغصان: الشَّفاعة ٧. القاهرة: دار الثَّقافة، ١٩٨٠.

عوده، فريد، وإبراهيم مطر. التُّراث الإِنجيليّ. بيروت: مكتبة المِشعَل الإِنجيليّة، ١٩٥٥.

ف. تورانس، توماس. ترجمة عماد موريس اسكندر. الإِيمان بالثّالوث. القاهرة: مكتبة باناريون، ٢٠٠٧.

فارس، فايز. إِيماني الإِنجيليّ. القاهرة: دار الثَّقافة، ١٩٨٨.

فارس، فايز. أَضواء على الإِصلاح الإِنجيليّ. القاهرة: دار الثَّقافة، ١٩٨٤.

كالفن، جون. ترجمة وتقديم چورچ صبرا. مقالةٌ قصيرة في العشاءِ المقدّس. القاهرة: دار الثَّقافة، ٢٠٠٤.

كنيدي، دارين. محاضرات في العقيدة أُلْقِيتْ في كليّة اللَّاهوت الإِنجيليّة بالقاهرة. القاهرة: غير منشورة، ٢٠٠٠.

متّى، بخيت. إِيماننا الإِنجيليّ: مرجع للعقائدِ الإِنجيليّة. القاهرة: سنودس النّيل الإِنجيليّ، ٢٠٠٥.

مجلس العمل الرّعويّ والكرازيّ -سنودس النّيل الإِنجيليّ. إِقرار الإِيمان الإِنجيليّ. القاهرة: مجلس العمل الرّعويّ والكرازيّ، ٢٠٠٧.

المسكين، متّى. المدخل لشرح إِنجيل القدّيس يوحنَّا: دراسة وتحليل. ط.٢.

بريّة شهيت: دير القدّيس أَنبا مقار، ١٩٩٧.

المسكين، متّى. شرح رسالة القدّيس بُولُس الرّسول إِلى أَهْلِ رُومِيَة. بريّة شهيت: دير القدّيس أَنبا مقار، ١٩٩٢.

المسكين، متّى. مع الرُّوحِ الْقُدُس في جهادنا اليوميّ، ط. ٥. بريّة شهيت: دير القدّيس أنبا مقار، ٢٠٠٤.

مشرقي، لبيب. قصص الكتاب المقدّس: ابن الإنسان. القاهرة: دار الثّقافة، ١٩٩٠.

مقار، إِلياس. إِيماني والقضايا المسيحيّة الْكُبْرَى. القاهرة: دار الثّقافة، ١٩٨١.

________. نساء الكتاب المقدّس. ط. ٢. القاهرة: دار الثَّقافة، ١٩٨٦.

مكيم، دونالد كي. ترجمة هُدَى بهيج. العقائد المشيخيّة: شَرْحٌ مُخْتَصَرٌ للأَساسيّات الإِيمانيّة. القاهرة: دار الثَّقافة، ٢٠١٠.

نادي، مدحت. المُرشِد في بناءِ مناهج التّربية المسيحيّة. القاهرة: المؤلِّف، ٢٠١٠.

نجيب، أَديب. تاريخ الكنيسة الإِنجيليّة بمصر. القاهرة: دار الثَّقافة، ١٩٨٢.

نجيب، مكرم. الرُّوحانيّة: الجذور والثّمار. القاهرة: دار الثّقافة، ١٩٩٧.

________. العذراء مريم: رؤيةٌ إِنجيليّة. القاهرة: دار الثَّقافة، ٢٠١٠.

مصادر المراجع:

E. Gritsch، The One Mediator، The Saints and Mary. Lutherans and Catholics in Dialogue. VIII Ed.

H. G. Anderson et al. Minneapolis Augsburg Fortress، 1992.

H. Grote، TRE.vol.22.

H. Oberman " The Virgin Mary in Evangelical Perspective" The Journal of Ecumenical Studies 1 (1964).

H. Oberman " The Virgin Mary in Evangelical Perspective" The Journal of Ecumenical Studies 1 (1964).

La Revue Reformee، 1956.

M. Heymel، Maria entddecken. Freiburg: Herder،1991.

M. Heymel، Maria entddecken. Freiburg: Herder،1991.

Theological Review XVI (1995).

W. Tappolet، Das Marienable Der ReformatorenKatzmann: Tubingen،1962.

من إصدارات دار الفكر الإنجيلي

١- آية في قرينتها

٢- خلافة رسولية

٣- أمانة المهمشين

٤- إشعياء الإنجيلي

٥- الغزو الإنجيلي

٦- هل يسقط المؤمن من النعمة؟

٧- كهنوت جميع المؤمنين

٨ - قدسية الزواج في المسيحية

٩- الإنجيليون والآخر

١٠ - مشكلات في العلاقة مع الله

١١ - حقاً قام

١٢ - مَن هو إسرائيل

١٣ - أساسيات الإيمان الإنجيلي

١٤ - المسيح في نبوات إشعياء

١٥- خطوات للصعود الروحي

في عام ٢٠٠٦ بدأَتُ خدمتي في أَحد المناطق الكرازيّة بالقاهرة، وبعد سنوات تمَّ تأْسيس الكنيسة الإِنجيليّة هناك، وفي كُلِّ خدماتي كان يتوجَّه لي سؤالٌ هامٌّ: ما هي الكنيسة الإنجيلية؟! كان هذا التَّساؤل يُصيبُني بالدّهشةِ والإِحباطِ! دهشةٌ، لأنّه قادمٌ من أُناسٍ إنجيليين، وإِحباطٌ لأنّهم من المفترض أَن يكونوا هُمْ مَنْ يعرفون الإِجابة ويُعبِّروا عنها بِكُلِّ الطُّرقِ.

من أَجل هؤلاء كتبتُ هذا الكتاب، ومن أَجْلِ كُلِّ إِنجيليّ لديه نفس التَّساؤل. وقد قُمْتُ بمناقشةِ محتواه معهم، وقد استفدتُ كثيرًا منهم، وأَعدتُ صياغتهُ أَكثر من مرَّةٍ حسب طريقة تفكيرهم.

أَمّا إِذَا كُنْتَ غير إنجيلي، فهذا الكتاب ليس هدفهُ أَن تتّبع الكنيسة الإنجيلية. لكنّه دعوة لكي تَتَعَرَّف على فكرِنَا الإِنجيليّ الأَصيل بعيدًا عن اتّهاماتٍ وافْتِرَاءاتٍ، رُبَّمَا تكون قد تكوّنت بدخلكَ بسبب هجوم الكنيسة التّقليديّة.

في هذا الكتاب نرى ما هي الكنيسة الإنجيلية، من خلال توضيح المعنى وسرد التَّاريخ، ثُمَّ نناقش خمسة أَساسيّات رئيسيّة في الإِيمانِ الإنجيلي. ثُمَّ نُقدِّم موقفَ الكنيسة من الاتّهامات الَّتي تُنسَب إِليها، وَالرّدُّ على هذا من خلالِ أَسئلة وأَجوبة.

دار الفكر الإنجيلي